كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السّعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الثاني والعشرون

دار صادر

بيروت

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م



تأسست سنة 1863

ص . ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[460] ـ أخبار خالد بن عبد الله

[نسبه]

هو خالدُ بنُ عبد الله بنِ يزيدَ بن أسدِ بن كُرْزِ بن عامرِ بن عبد الله بن عبد شمس بن غَمغمةَ بن جرير بن شِقٍّ بن صَعْب ، وشقٌّ بن صعب هذا هو الكاهن المشهور ، بن يشكرَ بن رُهم بن أقزل ، وهو سعدُ الصبح ، بن زيد بن قَسْر بن عَبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن لحيانَ بن الغوث بن القرز ، ويقال : القرز بن نَبْتَ بن مالك بن زيد بن كَهلانَ بن سبأ بن يَشجُب بن يعرُبَ بن قحطانَ .

فأما غَلبةُ بجيلَة على هذا النسب في شهرته بها فإن بجيلةَ ليست برجل ، إنما هي امرأة قد اختُلِف في نسبها ، فقال ابن الكلبي : يقال لها بجيلةُ بنت صعب بن سعد العشيرة ، تزوجها أنمار بن إراش فولدت له الغوث ووداعة وصُهَيْبَة وجَذيمَة وأشهل وشهلاءَ وطريفاً والحارث ومالكاً وفهْماً وشيبة . قال ابنُ الكلبي : ويقال : إن بجيلةَ إمرأةٌ حبشيَّة كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غير خَثعَم ، فإنه انفرد ، فصار قبيلة على حِدَتِه ، ولم تحضنْهُ بجيلةُ ، واحتج من قال هذا القول بقول شاعرهم : [من الوافر]

وما قَرُبت بجيلةُ منك دوني ... بشيء غيرِ ما دُعِيَتْ بجَيلَهْ
وما للغوثِ عندك أن نُسِبْنا ... علينا في القرابة من فضيلَهْ[1]
ولكنّا وإيَّاكم كثُرنا ... فصِرنا في المحلِّ على جَديلَهْ

جَدِيلة ها هنا موضع لا قبيلة ، وهم أهلُ بيت شرف في بجيلةَ ، لولا ما يقال في عبد الله بن أسد ؛ فإن أصحابَ المثالب ينفونه عن أبيه ، ويقولون فيه أقوالاً أنا ذاكرها في موضعها من أخبار خالد المذمومة في هذا الموضع من كتابنا ، إن شاء الله ، وعلى ما قيل فيه أيضاً ؛ فقد كان له ولابنه خالدٍ سُؤْدُدٌ وشرف وجود .

[جده كرز]

وكان يقال لكُرْز كُرْزُ الأعِنَّة ، وإياه عنى قيسُ بن الخطيم بقوله ، لما خرج يطلب النصر على الخزرج : [من الوافر]

فإن تنزلْ بذي النَّجدَاتِ كُرْزٍ ... تُلاقِ لديه شَرْبا غيرَ نَزْرِ

---

1 الغوث : من أجداد خالد .

لــه سَجْلانِ سَجْلٌ من صريحٍ وسجلُ رثيئــةٍ بعتيق خمرِ[1]
ويمنــعُ مــن أراد ولا يُعايــا مُقاماً في المَحَلــة وسطَ قسرِ[2]

[جده أسد بن كرز]

وكان أسدُ بن كُرْز يُدْعَى في الجاهلية رَبّ بجيلة ، وكان ممن حرّم الخمر في جاهليته تنزُّهاً عنها ، وله يقول القتّال السُّحَميّ : [من الوافر]

فأبلِغ ربَّنــا أسَدَ بن كُــرْزٍ بأنّ النأيَ لم يـكُ عن تَقالي

وله يقول القتّال يعتذر : [من الوافر]

فأبلغ ربَّنــا أسدَ بنَ كُـرْزٍ بأنّي قد ضَلَلْت وما اهتديْتُ

وله يقول تأبّط شرّاً : [من الطويل]

وجدتُ ابنَ كُرْز تستهلُّ يمينُه ويُطلق أغـلالَ الأسير المكَبَّلِ[3]

[جده أسد وبنو سحمة]

وكان قوم من سُحْمة عرضوا لجار لأسد بن كرز ، فأطْرَدوا إبلاً له ، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة في الجاهلية ، وتتبعهم حتى عاذوا به ، فقال القتّال فيه عدة قصائد يعتذر إليه لقومه ، ويستقيله فعلَهم[4] بجاره ، ولم أذكرها ههنا لطولها ، وأنَّ ذلك ليس من الغرض المطلوب في هذا الكتاب ، وإنما نذكر ها هنا لُمَعاً[5] وسائِرُه مذكور في جمهرة أنساب العرب الذي جمعت فيه أنسابَها وأخبارها ، وسَمَّيته كتاب التعديل والانتصاف . ولبني سُحمة يقول أسد بن كرز في هذه القصة ، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً : [من الطويل]

ألا أبلِغــا أبنــاءَ سُحْمَةَ كلَّهــا بنــي خثعــمٍ عنّــي وذلَّ لخثعمِ
فمــا أنتُــم منّــي ولا أنــا منكم فراش حريــقِ العَرْفَـجِ المتضرِّمِ[6]

1 سجلان : مثنى سجل ، وهو الدلو العظيمة . صريح : لبن صريح . الرثيئة : اللبن المحلوب على حامض ، وفي رواية أخرى الربيلة : الخفض والنعمة .
2 لا يعايا : من المعاياة بمعنى لا يضار . قسر : بطن من بجيلة .
3 تستهلُّ يمينه : تجود .
4 يستقيله فعلهم : يطلب إليه إقالتهم من عقوبة ذنبهم .
5 لمعاً : جمع لمعة : بلغة من العيش .
6 العرفج : شجر يتخذ منه الوقود .

فلستُ كمن تُزري المقالةُ عِرضَه دنيئاً كعودِ الدوحةِ المترنِّمِ[1]
وما جارُ بيتي بالذليل فَتُرْتَجى ظُلامَتُه يوماً ولا المتهضَّمِ
وَأَقْزَلُ آبائي وقسرٌ عَمارتي هما ردَّياني عِزَّتي وتكرُّمي
وأحمسُ يوماً إن دعوتُ أجابني عرانينُ منهم أهل أيدٍ وأنعمِ
فمن جار مَوْلًى يدفعُ الضيمَ جارُهُ مع الشمس ما إن يستطاع بسلَّمِ
وكيف يخافُ الضيمَ من كان جاره إذا ضاع جاري يا أميمةُ أوْ دمي

وهي قصيدة طويلة .

ولأسد أشعار كثيرة ذكرتُ هذه منها ها هنا لأن تعلم إعراقَهم في العلم والشعر ، وسائرُها يُذكر في كتاب النسب مع أخبار شعراء القبائل ، إن شاء الله تعالى .

[إسلام جده أسد وابنه يزيد]

وأدرك أسدُ بنُ كُرْزٍ الإسلامَ هو وابنُه يزيد بنُ أسد ، فأسلما ، فأما أسدٌ فلا أعلمه رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلِه رواية كثيرة ، بل ما روى شيئاً .

وأما يزيد ابنُه فروى عنه رواية يسيرة ، وذكر جريرُ بن عبد الله خبرَ إسلامه ، حدَّث بذلك عنه خالدُ بن يزيدَ عن إسماعيلَ بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال : أسلم أسدُ بن كرز ، ومعه رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبي ﷺ قوساً ، فقال له : يا أسد ، من أين لك هذه النَّبْعَةُ ؟ فقال : يا رسول الله تنبُتُ بجبلنا بالسراة ، فقال الثقّفيّ : يا رسول الله ، الجبلُ لنا أم لهم ؟ فال : بل الجبل جبل قسْرٍ ، به سمي أبوهم قسْر عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، ادْعُ لي . فقال : اللهم اجعل نصرك ونصرَ دينك في عقب أسد بن كُرْز . وما أدري ما أقول في هذا الحديث ، وأكره أن أكذِّب بما رُوِيَ عن رسول الله ﷺ ، ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه لو كان رسول الله ﷺ دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية بصفّين على عليٍّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه . ولا كان ابن ابنه خالدٌ يلعنه ، على المنبر . ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره ، قبحه الله ولعنه ، إلا أني أذكر الشيءَ كما رُوي ، ومَن قال على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وآله ما لم يَقُل فقد تبوَّأ مقعده من النار . كما وعده عليه السلام .

[منافرة بين جده جرير وقضاعة]

وكان جريرُ بن عبد الله نافرَ قضاعة ، فبلغ ذلك أسدَ بن عبد الله ، وكان بينه وبينه ، أعني

---

1 المترنم : من الرنمة ، وهي نبات دقيق .

جريراً ، تباعدٌ ، فأقبل في فوارسَ من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً ، فزعموا أن أسداً لما أقبل في أصحابه ، فرآه جرير ، ورأى أصحابَه في السلاح ارتاع ، وخافه ، فقيل له : هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك ، فقال جرير : ليت لي بكل بلد ابن عمّ عاقّاً مثلَ أسد ، فقال جعدةُ بن عبد الله الخزاعي يذكر ذلك من فعل أسد : [من الطويل]

تدارك رَكْضُ المرء من آل عبقر جريراً وقد رانت عليه حلائبُهْ

فنفَّسَ واسترخى به العَقْدُ بعد ما تغشَّاه يوم لا تَوارى كواكبُهْ[1]

وقاك ابن كُرْزٍ ذو الفَعَال بنفسه وما كنتَ وَصَّالاً له إذ تحاربُهْ

إلى أسدٍ يأوي الذليلُ ببيتِه ويلجأ إذ أعيت عليه مذاهبُهْ

فتى لا يزال الدهرَ يحمل مُعْظَماً إذا المجتدَى المسؤول ضَنَّت رواجِبُهْ[2]

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومَه مع أبيه على النبي ﷺ ، وقد روى عنه أيضاً حديثاً ذكره هُشَيْمُ بن بشر الواسطيّ عن سنان بن أبي الحكم قال : سمعتُ خالدَ بن عبد الله القسريّ ، وهو على المنبر يقول : حدثني أبي عن جدّي يزيدَ بن أسد ، قال : قال رسول الله ﷺ : يا يزيد ، أحِبْ للناس ما تُحبُّه لنفسك . وخرج يزيدُ بن أسد في أيام عمر بن الخطاب في بعوث المسلمين إلى الشام ، فكان بها ، وكان مطاعاً في اليمن عَظِيم الشأن .

[جده ينتصر لعثمان]

ولما كتب عثمان إلى معاويةَ حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد في أربعة آلاف من أهل الشام ، فوجد عثمانَ قد قُتِل .

[خطبة جده يزيد في صفين]

فانصرف إلى معاويةَ ، ولم يُحْدِثْ شيئاً ، ولما كان يوم صفِّينَ قام في الناس فخطب خطبة مذكورة ، حرضهم فيها . فذكر من روى عنه خبره في ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامةُ خَزٍّ سوداء ، وهو متكئ على قائم سيفه ، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ : وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهلَ ديننا في هذه الرقعة من الأرض ، واللهُ يعلم أني كنت لذلك كارها ، ولكنهم لم يُبْلِعُونا ريقنا ، ولم يدعونا نَرْتاد لديننا وننظر لمعادنا ، حتى نزلوا في حريمنا وبيضتنا[3] . وقد علمنا أنَّ بالقوم حلماءَ وطَغاماً . فلسنا نأمن طَغامهم على

1 نَفَّس : تنفّس .
2 الرواجب : أصول الأصابع . معظماً : عظيماً من الأعطية والدِّيات . ضنت رواجبه : بخلتْ يده .
3 البيضة : الحوزة والحمى .

ذرارينا ونسائنا ، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهلَ ديننا ، فأحرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالُنا حَمِيّةً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، والذي بعث محمداً بالحق لوددتُ أنّي مِتّ قبل هذا ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمراً لم يستطع العبادُ ردّه ، فنستعين بالله العظيم ، ثم انكفأ .

[خمول أبيه عبد الله]

ولم تكن لعبد الله بن يزيد نباهةُ من ذكرت من آبائه ، وأهلُ المثالب يقولون : إنه دعيّ ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيامَ خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قُتِل عمرو هرَبَ حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمَّن من الناس عامَ الجماعة ، فأمَّنه .

[تخنثه في حداثته]

ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان في حداثته يتخنّث ، ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشي بين عمرَ بن أبي ربيعة وبين النساء في رسائلهن إليه وفي رسائله إليهن ، وكان يقال له خالد الخِرِّيت[1] فقال مصعب الزبيري : كل ما ذكره عمر بن أبي ربيعة في شعره ، فقال : أرسلت الخِرِّيت أو قال : أرسلت الجَرِيّ[2] فإنما يعني خالداً القسريّ ، وكان يترسل بينه وبين النساء .

[يظلل ابن أبي ربيعة وعشيقته]

أخبرني بذلك الحِرْميّ ومحمد بن مزيْد وغيرُهما ، عن الزبير ، عن عمه ، وأخبرني عمي : قال : حدثني الكراني ؛ عن العمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، قال : بينما عمر بن أبي ربيعة ذات يوم يمشي ومعه خالد بن عبد الله القسري ، وهو خالد الخزاعي الذي يذكره في شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبّب بهما ، وهما يتماشيان فقصداهما ، وجلسا معهما مليّاً ، فأخذتهم السماء ، ومُطِروا ، فقام خالد وجاريتان للمرأتين ، فظللوا عليهم بمِطرفة[3] وبردين له ، حتى كفّ المطر وتفرقوا ، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

أفي رسم دارٍ دمعُـكَ المترقـرقُ سفَاهاً وما استِنطاق ما ليس ينطِقُ ؟
بحيثُ التقى جَمعٌ ومُفْضَى مُحسّرٍ معالمُ قد كادت على الدهر تَخْلَقُ[4]

---

1 الخريت : الدّليل الماهر في أمر الدلالة .
2 الجري : الرسول ، أو الوكيل .
3 المطرفة : رداء من خز مربع فيه أعلام .
4 محسر : اسم مكان .

ذكرتُ بها ما قد مضى من زماننا وذكـرُك رسمَ الدّار ممّـا يشوّقُ
مُقاما لنا عنـد العشاء ومَجْلسا لنـا لم يكـدِّره علينـا مُعوّقُ
وممشَى فتـاةٍ بالكساء يَكُنُّهـا بـه تحـت عـينٍ برقُهـا يتألّقُ
يُبلُّ أعالي الثـوب قطـرٌ وتحتـه شُعاعٌ بدا يُعشي العيونَ ويُشرِقُ
فأحسنُ شيء بـدءُ أولِ ليلـةٍ وآخرُهـا حُـزنٌ إذا نَتَفرقُ

الغناء في هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكي ، وذكر الهشامي أنه منحول .

[خالد وابن أبي عتيق يستنجزان ابن أبي ربيعة وعده]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو العباس المرْوَزِيّ ، قال : حدّثنا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عُمَرَ بن أبي ربيعة يوماً وهو ينشد قوله : [من الطويل]

ومـن كان محروباً لإهْراق دمعة وَهَـى غربُهـا فليأتنا نَبْكِهِ غدا[1]
نُعِنه على الإثكال إن كان ثاكـلاً وإن كان محزوناً وإن كان مُقْصَدا[2]

قال : فلما أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخرِّيت ، وقال : قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه ، فقال له ابن أبي عتيق : قد جئنا لموعدك ، قال : وأي موعد بيننا ؟ قال : قولك . فليأتنا نَبْكِهِ غدا .

قد جئناك لموعدك ، والله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف على أنّك غير صادق ، ثم مضى وتركه .

قال ابن عائشة : خالد الخريت هو خالد القسري .

[يجمع بين ابن أبي ربيعة ومعشوقاته]

أخبرنا علي بن صالح بن الهيثم : قال : حدثنا أبو هِفّان عن إسحاق ، وأخبرنا محمد بن مزيْد ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الحزاميِّ والمثّنى ومحمد بن سلام ، قالوا : خرجت هند والرّباب إلى متنزّه لهما بالعقيق في نسوة فجلستا هناك تتحدثان مليّاً ، ثم أقبل إليهما خالدٌ القَسريُّ ، وهو يومئذ غلام مؤنث ، يصحب المغنّين والمخنّثين ، ويترسّل بين عمر بن أبي ربيعة وبين النساء . فجلس إليهما . فذكرتا عمر بن أبي ربيعة ، وتشوقتاه ، فقالتا لخالد : يا خِرِّيت ، وكان يعرف بذلك ، لك عندنا حُكمُك إن جئتنا بعمر بن أبي ربيعة من غير أن يعلم

1 الغرب : مسيل الدمع من العيون .
2 المقصد : من أقصد فلان فلاناً : طعنه فلم يخطىء مقاتله .

أنا بعثنا بك إليه ، فقال : أفعل فكيف تريان أن أقول له ؟ قالتا : تُؤذنه[1] بنا ، وتُعلمه أنا خرجنا في سرٍّ منه ، ومُرْهُ أن يتنكِر ، ويلبس لِبسة الأعراب ، ليرانا في أحسن صورة ، ونراه في أسوأ حال ، فنمزح بذلك معه ، فجاء خالد إلى عمر ، فقال له : هل لك في هند والرباب وصواحبات لهما قد خرجن إلى العقيق على حال حَذَر منك وكِتمانٍ لك أمْرَهما ؟ قال : والله إني إلى لقائهن لمشتاق ، قال : فتنكر ، والبِس لِبْسة الأعراب ، وهلمّ نمض إليهن ، ففعل ذلك عمر ، ولبس ثياباً جافِيةً ، وتعمّم عمّة الأعراب ، وركب قعوداً له على رحل غير جيد ، وصار إليهن ، فوقف منهن قريباً ، وسلّم ، فعرفنه ، فقلن : هلُمّ إلينا يا أعرابيّ ، فجاءهن ، وأناخ قعوده ، وجعل يحدثهن ، وينشدهن ، فقلن له : يا أعرابي : ما أظرفك ، وأحسن إنشادَك ! فما جاء بك إلى هذه الناحية ؟ قال : جئتُ أَنْشُدُ ضالّة لي ، فقالت له هند : انزل إلينا ، واحسِرْ عمامتك عن وجهك ، فقد عرفنا ضالّتك ، وأنت الآن تُقَدِّرُ أنّك قد احتلت علينا ، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخِرّيت ، حتى قال لك ما قال ، فجئتنا على أسوأ حالاتك ، وأقبح ملابسك ، فضحك عمرُ ، ونزل إليهن ، فتحدّث معهن ، حتى أمسوا ، ثم إنهم تفرقوا ، ففي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

صوت

ألم تعــرفِ الأطــلالَ والمتربَّعا	ببطــن حُليّــات دوارسَ بَلقعا[2]
إلى السّرْح من وادي المغمَّس بُدِّلَت	معالمــه وبــلا ونكبــاءَ زعزعا[3]
فيَبْخَلنَ أو يُخبرن بالعلم بعد ما	نَكَــأنَ فؤادا كان قِدْمــاً مفجَّعا
لهندٍ وأتــرابٍ لهنــد إذ الهوى	جميــع وإذ لم نَخْشَ أن يتصدّعا

في هذه الأبيات ثقيل أول لمعبد :

تبَالَهْــنَ بالعِرفــان لّمــا رأينني	وقُلْنَ امــرؤ بــاغٍ أكلَّ وأوضعَا[4]
وقرّبـن أسبابَ الهــوى لمتيّــمٍ	يقيس ذِراعاً كلّمــا قِسْنَ إصْبعَا

[جده كان عبداً آبقاً]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، وذكر مثل

---

1 تؤذنه : تعلمه .

2 حليات : جمع حلية ، وهو نبت سبط من أجود المراعي .

3 المغمس : مكان النكباء . الزعزع : الريح العاتية .

4 أكل : أرهق دابته . أوضع : أسرع بدابته حتى أنهكها .

ذلك أبو عبيدة معمر بن المثنى : أن كُرزَ بن عامر جدَّ خالد بن عبد الله عبدٌ كان آبقاً عن مواليه عبد القيس من هَجَر ، ويقال : إن أصله من يهود تَيْماء ، وكان أَبَقَ ، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غمغمةَ بن شِقٍّ الكاهن ، ثم وهبوه لقوم من بني طُهَيَّة ، فكان عندهم حتى أدرك ، وهرب ، فأخذَتْه بنو أسد بن خزيمة ، فكان فيهم ، وتزوج مولاة لهم يقال لها زَرْنَب ، ويقال : إنها كانت بغيّاً ، فأصابها ، فولدت له أسدَ بن كُرْز ، سماه باسم أسد بن خزيمة لِرِقَّةٍ كانت فيهم ، ثم أعتقوه ، ثم إن نَفراً من أهل هجر مرّوا به ، فعرفوه ، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه ، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم ، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف ، فلما رأى دار بجيلة أعجبته ، فاشترى نفسه وابنه ، فجاء ، فنزل فيهم ، فأقام مدة ، ثم ادّعى إليهم وعاونه على ذلك حيٌّ من أحمس يقال لهم : بنو مُنَبّة ، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة ، سُمِّي بذلك لأن عينَه أُصيبت . فكان يغطيها بخرقة ، وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شِقّ ، فنزل كرز في بني سُحْمة هارباً من ذي الرُّقعة ، ثم وثب على ابن عم للقتّال بن مالك السُّحميّ فقتله ، وهرب إلى البحرين مع التجار ، فأقام مدة ، ثم مات ، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدّعي في بَجِيلة ، ولا تُلحِقُه إلى أن مات ، ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد ، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهري ، وكتب له ، وكان كاتباً مُفوَّها ، وذلك في إمارة عثمان بن عفان .

[أبوه خطيب الشيطان]

فنال حظاً وشرفاً ، وكان يقال له : خطيب الشيطان ، ووسَم خيلَه : القسريّ ، ثم تَدَسَّسَ ليملك خيلاً في بلاد قسر ، فمنعته بجيلة ذلك أشدّ المنع ، فلم يقدر عليه ، حتى عظم أمره ، ونشأ ابنه خالد ، ومات هو ، فكان خالد في مرتبته ، ثم ولي العراق ، وقال قيس بن القتال له في هذا المعنى : [من الوافر]

ومن سَمَّاك باسمك يا ابن كـرز ؟ وأين المولـد المعروف تـدري ؟

وقال بُجير بن ربيعة السُّحْميُّ : [من الطويل]

نفتـه مـن الشِّعبين قَسر بِعزهـا إلى دارِ عبـد القيس نَفْي المُزَنَّم[1]

[بين أبيه وأبي موسى بن نصير]

قال أبو عبيدة : وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبي موسى بن نُصير كلام عند عبد الملك بن مروان . فقال له عبد الله : إنما أنت عبد لعبد القيس ، فقال :

1 المزنّم : الدّعي في قوم ليس منهم .

اسكت ، فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك ، فقال له عبد الله : أنا ابن أسد بن كرز ، نحن الذين نضْمَن الشَّهر ، ونُطعِم الدهر ، فقال له : تلك قَسْرٌ ، ولستَ منهم ، وإنَّما أنت عبدٌ آبِقٌ ، قد كنتُ أرَاك تروم مثل ذلك ، فلا تقدر عليه ، ثم نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام ، فأقام بها مدة ، ثم مضى إلى حبيب ، فقال له : دع ذكر البحرين لفرارك ، أتراك منهم وأنت عَبْدٌ ، وأهلك من يهود تيماء فأسكتهما عبد الملك ، ولم يسرّه ما قال عبد الله لأبي موسى بن نصير ، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله ، فقال في ذلك أبو موسى بن نصير : [من البسيط]

جاريــت غيرَ سَؤومٍ في مطاولة يا ابنَ الوشائط من أبناء ذي هجر[1]

لا من نزارٍ ولا قحطان تعرفكم سوى عبيدٍ لعبــد القيس أو مُضر

[الكذب متوارث في أسرته]

وقال أبو عبيدة : فأخبرني عبد الله بن عمر بن زيد الحكمي قال : كان يزيد بن أسد يلقب خطيب الشيطان ، وكان أكذب الناس في كل شيء معروفاً بذلك ، ثم نشأ ابنُه عبد الله فسلك منهاجَه في الكذب ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وسخاء كانا فيه سترا ذلك من أمره .

قال عُمَر بن زيد : فإني لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة ، فجعل يأتي بأحاديث أنكرها ، فقلت له : من أنت يا ابن أخي ؟ قال إسماعيل بن عبد الله بن يزيد القسريّ . فقلت : يا ابن أخي . لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفتُ نسبَك فجعل يضحك .

[يطلب على المنبر أن يطعموه ماء]

أخبرني اليزيديُّ ، عن سليمانَ بن أبي شيخ ، عن محمد بن الحكم ، وذكره أبو عبيدة ، واللفظ له ، قالا : كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس ، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر ، فدهش وتحيّر ، فقال : أطعموني ماء ، فقال الكميْتُ في ذلك ، ومدح يوسفَ بن عمر : [من الطويل]

خرجتَ لهم تمشي البَراحَ ولم تكن كمن حِصْنُه فيه الرِّتَاجُ المُضَبَّبُ[2]

1 الوشائط : الدّخلاء . ينتمون إلى قوم ليسوا منهم .

2 البراح : البيّن الواضح . والرتاج المضبب : غلق الباب المصنوع من الحديد .

ومــا خالــدٌ يستطعم الماءَ فاغراً ... بِعْدِلِكَ والداعي إلى الموت ينعَبُ[1]

[أولى كذبات ابن الكلبي]

وقال ابن الكلبي : أول كذبة كذبتها في النسب أن خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كُرز ، وكانت أمةً بغيّاً لبني أسد يقال لها : زرنب . فقلت له : هي زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين ، فَسُرَّ بذلك ، ووصلني .

[بنو أسد ينكرونه]

قال : قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسدي : يا أبا الصباح ، قد ولدتمونا ، فقال : ما أعرف فينا ولادة لكم ، وإن هذا لكذب . فقيل له : لو أقررت للأمير بولادة ما ضرّك ، قال : أأفسُد وأستنبط ما ليس مني ، وأقرّ بالكذب على قومي ؟ فأمر خالدٌ خِداشاً الكنديَّ ، وكان عاملَهُ ، بضرب مولًى لعبّاد بن إياس الأسدّي ، فقتله ، فرُفِع إلى خالد ، فلم يُقِده ، فوثب عبّادٌ على خِداش فقتله ، وقال : [من الطويل]

لعمــري لئن جــارتْ قضيةُ خالدٍ ... عن القصد ما جارت سيوفُ بني نَصْرْ

[يتطاول على السماء]

فأخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائني ، عن سحيم بن حصين قال : قتل خِداش الكِنديّ رجلاً من بني أسد ، وكان الكنديّ عاملاً لخالد القسري ، فطُولِب بالقَوَد ، وهو على دَهْلَك[2] فقال : والله لئن أقدتُ من عاملي لأقيدنّ من نفسي ، ولئن أقدتُ من نفسي لَيُقيدن أمير المؤمنين من نفسه ، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه ، لَيُقيدَنّ رسول الله ﷺ من نفسه ، ولئن أقاد رسول الله من نفسه هاهْ هاهْ ! يعرِّض بالله عز وجل ، لعنة الله على خالد .

[أمه نصرانية]

أخبرني الحسن : قال : حدثنا الخراز ، عن المدائني ، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبي اليقظان ، قالوا : كانت أم خالد رومية نصرانية ، فبنى لها كَنِيسةً في ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن في المسجد أن يؤذن ضُربَ لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم .

[أعشى همدان يفحش في هجائه]

فقال أعشى همدان يهجوه ، ويعيّره بأمه ، وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه في ذلك

---

1 العِدل : المعادل .

2 الدهلك : جزيرة بين اليمن وأرض الحبشة ، أو واحد الدهالك : آكام سوداء معروفة بجزيرة العرب .

الوقت قالوا ابن البظراء ، فأنف من ذلك ، فيقال : إنه ختن أمه وهي كارهة ، فعَيَّره الأعشى بذلك حين يقول : [من الطويل]

لعمرُكَ مـا أدري وإني لسائلٌ ... أبظـراءُ أم مختونـةٌ أمُّ خالدِ
فإن كانت الموسى جرتْ فوق بَظرها ... فمـا خُتِنـت إلا وَمَصَّانُ قاعدِ[1]
يرى سوأة من حيث أطلع رأسه ... تمـرّ عليهـا مرهفـاتُ الحدائِدِ

وقال أيضاً فيه ، يرميه باللّواط : [من الوافر]

ألم تَـرَ خالـداً يَختارُ مِيماً ... ويترِكُ في النِّكاح مَشَقَّ صادِ
ويُبغِض كلَّ آنسةٍ لعـوبٍ ... ويَنكِـح كلَّ عبـدٍ مستقادِ[2]
ألا لعـن الإلهُ بنـي كُرَيْـزٍ ... فكرزٌ مـن خنازيـر السوادِ[3]

[يكره مضر ، ويسب علي بن أبي طالب]

قال المدائني في خبره : وأخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال : قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتبْ لي النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياماً ، ثم أتيته . فقال : ما صنعت ؟ فقلت : بدأت بنسب مضر وما أتممته . فقال : اقطعْه ، قطعه الله مع أصولهم ، واكتب لي السيرة ، فقلت له : فإنه يمرّ بي الشيء من سَيرِ علي بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، فأذكُره ، فقال : لا ، إلا أن تراه في قعر الجحيم . لعن الله خالداً ومَن ولاّه ، وقبّحهم ، وصلوات الله على أمير المؤمنين .

[من مظاهر زندقته]

وقال أبو عبيدة : حدثني أبو الهذيل العلاّف ، قال : صعِدَ خالدٌ القسري المنبر ، فقال : إلى كم يغلبُ باطلنا حقَّكم ، أما آن لربكم أن يغضب لكم ؟ وكان زنديقاً ، أمه نصرانية ، فكان يولّي النصارى والمجوسَ على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضَرْبهم ، وكان أهل الذمة يشترون الجواريَ المسلماتِ ويطئونهن ، فيطلق لهم ذلك ، ولا يُغَيِّر عليهم .

وقال المدائني : كان خالد يقول : لو أمرني أمير المؤمنين نقضتُ الكعبة حجراً حجراً ، ونقلتها إلى الشام .

قال : ودخل عليه فراسُ بن جعدةَ بن هبيرةَ وبين يديه نبقٌ ، فقال له : العَن عليَّ بن أبي

---

1 مصّان : أي ماص بظر أمه .
2 مستقاد : تابع مقود .
3 كريز : تصغير كرز جد خالد . والسواد : اسم يطلق على العراق .

طالب ولك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة ديناراً .

قال المدائني : وكان له عامل يقال له : خالدُ بن أُمَيّ . وكان يقول : والله لخالد ابنُ أُميّ أفضل أمانة من علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .

وقال له يوماً : أيّما أعظم ركيتنا[1] أم زمزم ؟ فقال له : أيها الأمير : من يجعل الماء العذب النُّقَاخ[2] مثل الملح الأجاج ؟ وكان يسمي زمزم أم الجعلان[3] .

[بينه وبين الفرزدق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدّثنا أبو غسّانَ دَماذُ ، عن أبي عبيدة ، قال : أتى الفرزدقُ خالد بن عبد الله القسري ، يَستحمِله في ديات حَمَلها ، فقال له : إيه يا فرزدق ، كأني بك قد قلتَ : آتي الحائكَ بن الحائك ، فأخدعَه عن ماله إن أعطاني ، أو أذمّه إن منعني . فأنا حائكٌ ابن حائك . ولستُ أعطيك شيئاً . فاذممني كيف شئت ، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها : [من الخفيف]

ليتني مــن بَجيلةِ اللؤم حتــى ... يُعْزلَ العامــلُ الذي بالعراقِ

فــإذا عامــل العراقــين ولّــى ... عدت في أسرة الكرام العتاقِ

قال : وإنما أراد خالد بقوله : الحائكَ بن الحائك تصحيح نسبه في اليمن ، والانتفاء من العبودية لأهل هجر .

[يتطاول على الخليفة وابنه فيعزله]

وكان خالد شديدَ العصبية على مضر . وبلغ هشاماً أنه قال : ما ابني يزيدُ بن خالدٍ بدون مسلمةَ بن هشام ، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق .

[يتطاول على مقام النبوّة]

قال : وخطب بمكة وقد أخذ بعضَ التابعين ، فحبسه في دور آل الحضرمي ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه ، فقال : قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدوَّ أمير المؤمنين ومن حاربه ، والله لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبةَ حجراً حجراً لنقضتُها ، واللهِ لأميرُ المؤمنين أكرمُ على الله من أنبيائه عليهم السلام ، ولعن الله تعالى خالداً وأخزاه .

أخبرني أبو عبيدة الصيّرفي ، قال : حدّثنا الفضلُ بنُ الحسن المصريّ ، قال : حدّثني عمر بن شبّة ، قال : حدّثني عبيد الله بن حُباب ، قال : حدّثني عطاءُ بنُ مسلم قال : قال

1 الركية : البئر غير مطوية .
2 النقاخ : الماء العذب الصافي المورد .
3 الجعلان : جمع جعل .

خالدُ بنُ عبد الله ، وذكر النبي ﷺ ، فقال : أيُّما أكرم عندكم على الرجل : رسوله في حاجته أو خليفته في أهله ؟ يُعرِّض بأنَّ هشاماً خيرٌ من النبي ﷺ .

[يوازن بين إبراهيم الخليل والخليفة]

قال أبو عبيدة : خطب خالد يوماً ، فقال : إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء ، فسقاه الله ملحاً أجاجاً ، وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماء فسقاه الله عَذباً نُقاخاً ، وكان الوليد حفر بئراً بين ثنيّة ذي طُوى وثنيّة الحَجون ، فكان خالد ينقل ماءها ، فيوضع في حوض إلى جنب زمزم . ليرى الناسُ فضلها . قال : فغارت تلك البئر ، فلا يُدْرَى أين هي إلى اليوم ؟

[ينال من علي بن أبي طالب]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ : قال حدثنا العباس بن ميمون طايع ، عن ابن عائشة ، قال : كان خالد بن عبد الله زِنْديقاً ، وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه فرأى يوماً عِكرمةَ ، مولى ابن عباس ، وعلى رأسه عمامةٌ سوداءُ ، فقال : إنه بَلَغني أنَّ هذا العبَدَ يشبه علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وسلامُه ، وإني لأرجو أن يسَوِّد اللهُ وجهَه كما سوّد وجه ذاك .

قال : حدثني مَنْ سمعه ، وقد لعن عليّاً ، صلوات الله عليه وسلامه ، فقال في ذكره : عليُّ بن أبي طالب بنُ عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وزوجُ ابنته فاطمةَ ، وأبو الحسن والحسين ، هل كَنَّيْتُ . اللهم ألْعن خالداً واخزِه ، وجدِّد على روحه العذابَ .

[إسماعيل بن خالد يسب بني أميّة في مجلس السفاح]

وقال أبو عبيدة : ذكر إسماعيل بن خالد بنُ عبد الله القسريُّ بني أمية عند أبي العباس السفاح في دولة بني هاشم ، فذمهم وسبهم ، وقال له حمّاس الشاعر مولى عثمان بن عفان : يا أمير المؤمنين : أيُسبُّ بني عمك وعُمَّالَهم وعماتِك رجلٌ اجتمع هو والخِرِّيتُ في نسب ؟ إن بني أمية لحمُك ودمُك ، فكلْهم ولا تؤكَلْهم . فقال له : صدقتَ . وأمسك إسماعيل فلم يُحرْ جواباً .

[سليمان يضربه مائة سوط]

وقال ابن الكلبي : كان خالدُ بن عبد الله أميراً على مكةَ فأمر رأس الحجبة[1] أن يفتح له الباب وهو ينظر ، فأبى فضربه مائة سوط . فخرج الشَّيْبيُّ[2] إلى سليمان بن عبد الملك يشكوه

1 رأس الحجبة : رأس حجبة الكعبة .

2 الشيبي : نسبة إلى شيبة الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة .

فصادفَ الفرزدقَ بالباب ، فاسترفده[1] . فلما أذن للناس ، ودخلا شكا الشيبيُّ ما لحقه من خالد ، ووثب الفرزدق ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

سلُوا خالداً لا أكـرم الله خالـداً متى ولِيَتْ قسرٌ قريشاً تَدينُها[2]
أقبلَ رسول الله أم ذاك بعـدَه ! فتلك قريشٌ قـد أغـثَّ سمينُها[3]
رَجَونا هُدَاه لا هدَى الله خالداً فما أمُّـه بـالأم يُهْدَى جنينُها

فحميَ سليمان وأمر بقطع يد خالد ، وكان يزيدُ بن المهلَّب عنده ، فما زالَ يُفَدِّيه ، ويقبِّل يدَه ، حتى أمر بضربه مائةَ سوط ، ويُعفَى عن يمينه ، فقال الفرزدق في ذلك : [من الطويل]

لعمري لقد صُبَّتْ على ظهر خالد شآبيبُ ما استَهْلَلْنَ من سَبَل القَطرِ
أيُضْرَبُ في العِصيان من كان طائعاً ويَعصي أميرَ المؤمنين أخو قَسْرِ ؟
فنفسَك لُـمْ فيمـا أتيـتَ فإنما جُزيت جزاءً بالُمحَدْرَجَةِ السُّمرِ[4]
وأنتَ ابنُ نصرانيَّةٍ طال بظَرْهـا غذَتْـك بأولاد الخنازير والخمرِ
فلولا يزيدُ بـن المهلَّـب حَلَّقَتْ بكفك فتخاءُ إلى الفرخِ في الوكرِ[5]
لَعمري لقد صالَ ابنُ شيبةَ صولةً أرتْك نجومَ الليل ظاهرةً تسري

[يحبس الفرزدق]

فحقدها خالد على الفرزدق فلما وُلِّي ، وحفر نهر العراق بواسط قال فيه الفرزدق أبياتاً يهجوه منها : [من الطويل]

وأهلكتَ مالَ اللهِ في غيرِ حقِّـهِ على النَّهَـر المشئوم غيرِ المباركِ
وتضربُ أقواماً صِحاحاً ظهُورُهم وتتركُ حـقَّ الله في ظهر مالِكِ

وقال ، ويقال : إنها للمفرج بن المرقع . [من الوافر]

كأنَّـك بالمباركِ بعـدَ شهـرٍ يخـوضُ غمـارَهُ بُقْعُ الكلابِ[6]

1 استرفده : استعان به .
2 تدينها : تخضعها وتذلها .
3 أغث سمينها : هزل ما كان سميناً من إبلها وشائها .
4 المحدرجة السمر : السياط .
5 الفتخاء : العقاب اللينة الجناحين .
6 بقع الكلاب : جيف الكلاب المنقوعة في الماء .

كذبت خليفةَ الرحمن عنه وكيف يرى الكذوبُ جَزا الكِذابِ

فأخذ خالد الفرزدق ، فحبسَه ، واعتل عليه بهجائه إياه في حفر المبارك ، فقال الفرزدق في السجن : [من الطويل]

أبلغْ أميرَ المؤمنين رسالةً فعجِّل هداكَ اللهُ نزعَكَ خالدًا
بَنَى بِيعةً فيها الصَّليبُ لأمِّه وهدَّم من بغض الإله المساجدًا

فبعث هشامٌ إلى خالدِ بنَ سويد يأمره بإطلاق الفرزدق ، فأطلقه ، فقال الفرزدقُ يهجو خالداً القَسْريّ : [من الطويل]

ألا لعَن الرحمنُ ظهرَ مطيةٍ أتتْنا تَخَطَّى من بعيد بخالدِ
وكيف يؤمُّ المسلمين وأمُّه تدينُ بأنّ اللهَ ليس بواحدِ ؟

[ابن عيّاش يشتمه]

أخبرنا الحسن ، قال : حدّثنا أحمدُ بن الحارث ، قال : حدّثنا المدائني ، قال : شتم عبد الله بن عيّاش الهمذانيّ خالدَ بن عبد الله في أيام منصور بن جمهور ، فسمِعه رجل من لَخم ، فقدَّمه إلى منصور واستعداه عليه ، فقال له منصور : ما تريدُ ؟ فقال ابنُ عيّاش : أمرنا أيها الأمير برقية العقرب . وفيه عجب ، لخميٌّ يستنصر كلبيّاً على هَمَذَانيٌّ لبَجَليٌّ دَعِيّ[1] .

[يدل على هشام]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله قريباً من هشام بن عبد الملك مكِيناً عنده فأدَلَّ ، وتمرَّغ[2] عليه ، حتى إنه التفت يوماً إلى ابنه يزيدَ بن خالد عند هشام ، فقال له : كيف بك يا بنيَّ إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين ؟ قال : أُواسيهم ولو في قميصي . فتبين الغضب في وجه هشام ، واحتملها .

[يلقب هشاماً بابن الحمقاء]

قال المدائني : حدثني بذلك عبد الكريم مولى هشام : إنه كان واقفاً على رأس هشام ، فسمع هذا من خالد ، قال : وكان إذا ذُكر هشامٌ قال له : ابن الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إن هذا البَطِر الأشِر الكافر لنعمتك ونعمةِ أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر ، فقال : ماذا يقول ؟ لعله يقول : الأحول قال : لا والله ، ولكن ما لا تنشق به الشفتان قال : فلعله قال : ابنُ الحمقاء ، فأمسك الشاميّ ، فقال : قد بلغني كل ذلك عنه .

1 اللخمي هو الواشي . والكلبي هو منصور بن جمهور ، والهمذاني هو المتكلم . والبجلي الدعي هو خالد .
2 تمرّغ عليه : تلبّث عنده ، وأطال الترداد عليه .

[يجمع مالاً كثيراً]

واتخذ خالدٌ ضيعاً كثيرة حتى بلغت غلّتهُ عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دِهقانٌ كان يأنس به فقال له : إن الناس يحبون جسمَك ، وأنا أحِبُّ جسمك وروحك ، قد بلغت غَلةُ ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلّتك ، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا ، فاحذر ، فقال له خالد : إن أخي أسدَ بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا ، أفأنت أمرته ؟ قال : نعم ، قال : ويحك ! دعْه ، فرُبَّ يومٍ كان يَطلُب فيه الدرهم ، فلا يجده .

[كان بخيلاً بطعامه]

وقال المدائني في خبره : كان خالد بن عبد الله بخيلاً على الطعام ، فوفد إليه رجل له به حرمة ، فأمر أن يكتبَ له بعشرة آلاف درهم ، وحَضر الطعامُ ، فأُتِيَ به ، فأكل أكلاً منكراً ، فأغضبه ، وقال للخازن : لا تعرض عليّ صكّه ، فعرَّفه الخازن ذلك ، فقال له : ويحك ! فما الحيلة ؟ قال : تشتري غداً كل ما يُحتاجُ إليه في مَطْبخه ، وتهَبُ الطبَّاخَ دراهم ، حتى لا يشتري شيئاً ، وتسألُه إذا أكل خالد أن يقول له : إنك اليومَ في ضيافة فلان ، فاشترى كل ما أراد ، حتى الحطبَ ، فبلغَ خمسمائة درهم ، فأكل خالد ؛ فاستطاب ما صُنِعَ له . فقال له الطبَّاخ : إنك كنتَ اليومَ في ضيافة فلان ، قال له : وكيف ذاك ؟ فأخبرَه ، فاستحيا خالد ودعا بصكِّه ، فصيَّره ثلاثين ألفاً ، ووقع فيه ، وأمر الخازن بتسليمها إليه .

[حيلة تاجر]

قال : وكان لبعض التجار على رجل دينٌ ، فأراد استعداءَ خالدٍ عليه ، فلاذَ الرجلُ ببواب خالد ، وبرَه ، فقال له : سأحتال لك في أمر هذا بحيلة ، لا يُدخِلْه عليه أبداً ، قال : فافعل ، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل ، وخالد يأكل سمكاً ، فجعل يأكل أكلا شنيعاً كثيراً ، فغاظ ذلك خالداً ، فلمّا خرج قال لبوابه : فيم أتاني هذا ؟ قال : يستعدي على فلان في دَين يدعيه عليه . قال : والله إني لأعلم أنه كاذب ، فلا يدخلنّ عليّ . وتقدَّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه ، وقال المدائني في خبره :

[يعرف لغة الحمير]

كان خالدُ يوماً يخطب على المنبر . وكان لُحَنَةً ، وكان له مؤدب يقال له : الحسين بن رَهمة الكلبيّ ، وكان يجلس بإزائه ، فإذا شك في شيء أومأ إليه ، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم ، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبي في وسط خطبته ، وقال : قد حضرتني مسألة ، قال : ويحك ! أما ترى الشيطان عينه في عيني ، يعني حُسينا ، قال : لا بد والله منها ، قال : هاتها ، قال : أخبرني ، فَلمسانُ إذا

ساف[1] ، ثم رفع رأسه وكرف[2] أي شيء يقول ؟ قال : أراه يقول : ما أطيبه يا رباه ، قال : صدقتَ ما كان ليستشهدَ على هذا سوى ربه .

[رأيه في حفظة القرآن]

قال المدائني : وقال خالد يوماً على المنبر : هذا كما قال الله عز وجل : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ثم أُرتجَ عليه ، فقال للتغلبي : قم فافتح عليّ يا أبا زمزم سورة كذا وكذا ، فقال : خفِّضْ عليكَ أيها الأمير ، لا يهولنَّك ذلك ، فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن ، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال ، قال : صدقتَ ، يرحمُك الله .

[يهب المغنية للقصاص]

وقال المدائنيّ : حدثني أبو يعقوب الثقفيّ ، قال : قال خالد بن عبد الله للعُريان : يا عُريَانُ ، أعجزتَ عن الشرَط ، حتى أوَلّي غيرَك ! فإن الغناء قد فشا وظهر قال : لم أعجزْ ، وإن شئت فاعزِلني ، فقال له : خذ لي المغنّيات ، فأحضرهُ خمساً منهن أو ستّاً ، فأدخلهُنّ إليه ، فنظر إلى واحدة منهن بيضَاءَ دعجاءَ ؛ كأنّـها أُشرِبتْ ماءَ الذهب ، فدعا لها بكرسيٍّ ، فجلست . ثم قال لها : أين البَرْبط[3] الذي كانت تضرب به ؟ فأُحضِر ، ثم سوّته ، فغنت : [من الطويل]

إلى خالدٍ حتّى أنخـنَ بخالدٍ فنعمَ الفتى يُرجَى ونعم المؤمّلُ

فقال : اعْدلي عن هذا إلى غيره ، فغنّت : [من الطويل]

أروحُ إلى القصَّاص كل عَشيَّةٍ أرجِّي ثوابَ الله في عدد الخُطَا

قال : وأقبل قاصٌّ المِصر . فقال له خالد : أكانت هذه تروح إليك ؟ قال : لا ، وما مثلها يروحُ إليَّ ، قال : خذ بيدها فهي لك ، ومولاها بالباب ، فسأل عنها فقيل : وهبَها للقاصّ ، فتحمّل[4] عليه بأشراف الكوفة ، فلم يردُدْها ، حتى اشتراها منه بمائتي دينار .

[هشام يضيق به ذرعاً فيقرعه]

وقال المدائني : قال خالد في خطبته : والله ما إمارة العِراق مما يشرفني ، فبلغ ذلك هشاماً ، فغاظه جدّاً ، وكتب إليه : بلغني يا ابنَ النَّصرانية أنك تقول : إن إمارةَ العراق ليست مما يشرفك ، صدقتَ والله ، ما شيءٌ يشرفك ، وكيف تشرُف وأنت دَعيٌّ إلى

1 ساف : شم .

2 كرف الحمار وغيره : شم بول الأتان ، ثم رفع رأسه ، وقلب جحفلته .

3 البربط : العود .

4 تحمّل : توسّل .

بجيلةَ القبيلةِ القليلةِ الذليلةِ ، أما واللهِ إني لأظنُّ أن أولَ ما يأتيكَ ضَغِنٌ[1] من قيس ، فيُشد يديك إلى عنقك .

[هشام ينكل به]

وقال المدائني : حدثني شَبيبُ بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم قال : لم تزل أفعالُ خالد به ، حتى عزلَه هشام ، وعذَّبه ، وقتل ابنَه يزيد بن خالد ، فرأيتُ في رِجْلِهِ شريطاً قد شُدَّ به ، والصبيان يجرونه ، فدخلتُ إلى هشام يوماً ، فحدثته ، وأطلت ، فتنفس . ثم قال : يا خالدُ ، رُبَّ خالدٍ كان أحبَّ إليَّ قربا ، وألذَّ عندي حديثا منك ، قال : يعني خالداً القسري ، فانتهزتها ، ورجوت أن أشفَع له فتكون لي عند خالدٍ يدٌ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده ؟ فقد أدَّبْته بما فَرَطَ منه ، فقال : هيهاتَ ، إن خالداً أوجف فأعجف ، وأدلّ فأملّ ، وأفرط في الإساءة فأفرطنا في المكافأة ، فَحِلم الأديمُ[2] ، ونغل الجرح[3] ، وبلغ السيلُ الزُّبى[4] والحزام الطُّبيْن[5] ، فلم يبق فيه مُسْتَصْلح ، ولا للصنيعة عنده موضع عُد إلى حديثك .

[عود إلى تخنثه ودورانه في فلك عمر بن أبي ربيعة]

فأمَّا أخباره في تخنثه وإرسال عمرَ بن أبي ربيعة إياه إلى النساء ، فأخبرني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هِفّان ، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبي ، وأخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير بن بكّار ، قال : حدثني محمد بن الحارث بن سعد السعيدي ، عن إبراهيم بن قُدَامة الحاطبيّ ، عن أبيه ، واللفظ لعلي بن صالح في خبره ، قالا : قال الحاطبي : أتيتُ عمرَ بن أبي ربيعة بعد أن نَسَك بسنين ، فانتظرته في مجلس قومه ، حتى إذا تفرق القومُ دنوتُ منه ، ومعي صاحب لي ، فقال لي صاحبي : هل لك في أن تُرِيغَه[6] عن الغزل ، فننظر هل بقي منه شيء عنده ؟

---

1 ضَغِن : حاقد .

2 الأديم : الجلد . حلم : كثر دوده ، حتى تثقب وفسد . وهنا مثل : «كدابغة وقد حلم الأديم» ورد في مجمع الأمثال 150/2 والمستقصى للزمخشري 216/2 والأمثال للقاسم بن سلام 343 والجمهرة للعسكري 137/2 ، 158 .

3 نغل الجرح : تعفن وفسد .

4 الزّبى : جمع زبية ، وهي الربوة التي لا يصل إليها الماء وهنا مثل : ورد في مجمع الأمثال 91/1 ، 93 ، 96 و142/12 والجمهرة للعسكري 203 ، 220 والمستقصى للزمخشري 14/2 وفصل المقال 472 .

5 الطبي : حلمة ثدي الناقة . وهنا مثل : يضرب به في تفاقم الأمر .

6 تريغه : من أراغه عن الأمر وعليه : طلبه منه .

فقلت له : دونك . فقال : يا أبا الخطاب أحسنَ والله رَيْسان العذري ، قاتله الله ، قال : وفيمَ أحسن ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

لو جُزَّ بالسيف رأسي في مودَّتها لمالَ لا شك يَهوي نحوَها رأسي

فقال : نعم أحسن ، فقلت : يا أبا الخطاب ، وأحسنَ واللهِ تحيَّةُ بنُ جنادة العذريّ ، قال : في ماذا ؟ قلت : حيث يقول : [من البسيط]

سرت لعينيك سَلْمى بعد مغْفاها فبِتُّ مستوهناً مِن بَعْدِ مسراها
فقلتُ : أهلاً وسهلاً من هَدَاكِ لنا إن كنتِ تمثالَها أو كنتِ إيَّاها

وفي رواية الزبيري خاصة :

تأتي الرياحُ التي من نَحْوِ أرضكم حتى أقولَ : دنَتْ منّا برَيّاها
وقد تراخت بها عنّا نوىً قَذَفٌ هيهاتَ مُصْبَحُها من بعدِ مُمساها[1]
من حُبِّها أتمنّى أن يلاقيَني من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها
كيما أقولَ : فِراقٌ لا لقاءَ له وتُضمرَ اليأسَ نفسي ثم تَسْلاها
ولو تموت لراعتني وقلتُ لها : يا بؤسَ للدهر ليت الدهرَ أبقاها

ويروى :

. . . . . . لراعتني مَنِيَّتُها وقلتُ يا بؤسَ ليت الدهرَ أبقاها

فضحك عمر ثم قال : يا ويحه أحسن والله ، لقد هيجتما عليَّ ما كان ساكناً مني فلأحَدِّثنّكما حديثاً حُلواً : بينا أنا أوَّل أعوامي جالس إذا بخالد الخريت قال : مررت بأربع نسوة قبيلٍ[2] ، يَرِدْنَ ناحية كذا وكذا من مكة ، لم أرَ مثلهن قط ، فيهن هند ، فهل لك أن تأتيهن متنكراً فتسمَع من حديثهن ، ولا يعلمن ؟ فقلت : وكيف لي بأن يخفى ذلك ؟ قال : تلبس لِبسةَ الأعراب ، ثم تقعدُ على قَعود ، كأنك تَنشُدُ ضالة ، فلا يَشعُرْنَ حتى تهجمَ عليهن ، قال : فجلست على قعود . ثم أتيتُهنَّ فسلّمت عليهن ، فآنسْنني ، وسألنَني أن أنشدَهن ، فأنشدتهن لكُثّير وجميل وغيرهما ، وقلن : يا أعرابي ، ما أملحك ، لو نزلت ، فتحدثت معنا يومنا هذا ، فإذا أمسيت انصرفت ، فأنختُ قعودي ، وجلستُ معهن ، فحدثتهن ، وأنشدتهن ، فدنت هند ، فمدّتْ يدها ، فجذَبت عِمامتي ،

1 قَذَف : بعيدة تتقاذف بمن تصيبه .

2 قبيل : متشابهات .

فألقتها عن رأسي ، ثم قالت : تالله لظننتَ أنك خدعتنا ، نحن والله خدَعْناك ، أرسلنا إليك خالداً الخِرِّيتَ في إتياننا بك على أقبح هَيئتِك ، ونحن على أحسن هيئتنا . ثم أخذنَ بنا في الحديث ، فقالت إحداهن : يا سيدي لو رأيتني منذ أيام ، وأصبحت عند أهلي ، فأدخلت رأسي في جيبي ، فنظرت إلى حِري ، فرأيته ملءَ العُسِّ[1] والقَسّ فصحتُ : يا عمراه ! فصحتَ : لبيك لبيك ، ولم أزل معهن في أحسن وقت إلى أن أمسينا ، فتفرقنا ، عن أنعم عيش ، فذلك حين أقول : [من الطويل]

ألم تعرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ببطنِ حُليّات دوَارسَ بلقعا

وذكر الأبيات .

انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً .

صوت

[من الطويل]

أنائلُ ما رؤيا زعمتِ رأيْتِها لنا عجبٌ لو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

أنائلُ ما للعيشِ بعدكَ لذةٌ ولا مشربٌ نلقاه إلا مُرَنَّقُ[2]

أنائلُ إني والذي أنا عبدُه لقد جعلتْ نفسي من البينِ تُشفِقُ

لعمرُك إن البينَ منك يشوقني وبعض بُعادِ البين والنأي أشوقُ

الشعر لصخر بن الجعد الخُضرِيّ .

أخبرنا بذلك محمد بن مزيد ، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر بن الجعد الخضري ، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر . ومن الناس من يروي هذه الأبيات لجميل ، ولم يأتِ ذلك من وجه يصحّ ، والزبيرُ أعلم بأشعار الحجازيين .

والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامي ، وفيه لابن المكي ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

1 العس : القدح الكبير .

2 مشرب مرنّق : مشوب غير صاف .

[461] ـ أخبار صخر بن الجعد ونسبه

[نسبه]

صخرُ بنُ الجعدِ الخُضْريّ ، والخُضرُ ولدُ مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر ، وصخر أحد بني جِحاش بن سَلَمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف ، قال : وسُمّي ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادِهم ، وكان مالك شديد الأُدْمة[1] . وخرج ولدُه إليه فقيل لهم الخُضْر ، والعربُ تسمي الأسودَ الأخْضَرَ .

[ابن ميادة يترفع عن مهاجاته]

وهو شاعر فصيحٌ من مُخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وقد كان يَعْرِض لابن ميادة لمَّا انقضى ما بينه وبين حَكَمٍ الخُضْريّ من المهاجاة ، ورام أن يهاجيَه ، فترفّع ابنُ ميّادة عنه .

أخبرني بخبره عليٌّ بن سليمان الأخفش ، عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيات ، عن الزبير بن بكار مجموعاً ، وأخبرني بأخبار له متفرقة الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، عن الزبير ابنِ بكار .

وحدثني بها غيرُهما من غير رواية الزبير ، فذكرت كلَّ شيء من ذلك مفرداً ، ونسبته إلى راويه .

[قصته مع كأس]

قال الزبير فيما رواه هارون عنه : حدثني مَنْ أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجَون قال : كان صخرُ بن الجعد مُغرماً بكأسٍ بنت بُجَيْر بن جُنْدب ، وكان يشبب بها ، فلقيه أخوها وقّاصٌ ، وكان شجاعاً ، فقال له : يا صخرُ ، إنك تشبب بابنة عمك ، وشَهَرْتَها ، ولعمري ما بها عنك مذهبٌ ؛ ولا لنا عنك مرغَب ، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوّجُكَها ، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمَنْ ما عرضت لها بذكر ، ولا أسمعَنّه منك . فأُقسمُ بالله لئن فعلتَ ذلك ليخالطَنّك سيفي ، فقال له : بل والله إن لي لأشدَّ الحاجة إليها ، فوعده موعداً وخرج صخرٌ لموعِدِه ، حتى نزل بأبياتِ القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقّاصٌ فذَبَح ، وجمع أصحابَه . وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقّاص بعث إليه : أن هلمَّ لحاجتك ، فأبطأ ، ورجع الرسولُ فقال مثلَ قوله ، فغضِب . وعمِدَ إلى رجل من الحيِّ ليس يُعْدَلُ بصخر ، يقال له حِصْنٌ ، وهو مُغضَب لما صنع ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ، وزوَّجه كأسَ ، وافترق القوم ، ومروا بصخر ،

1 الأدمة : السواد .

فأعلَموه تزويجَ كأسٍ بحصن ، فرحل عنهم من تحت الليل ، واندفع يهجوها بالأبياتِ التي قذَفها فيها فيما قذفَها ، وذلك قوله حين يقول : [من الطويل]

وأنكحَها حصناً لِيَطْمِسَ حَملَها ... وقد حملَتْ من قبلِ حصنٍ وجرَّتِ

أي زادت على تسعة أشهر ، قال : وترافع القومُ إلى المدينة ، وأميرُها يومئذٍ طارق مولى عثمان ، قال : فتنازعوا إليه . ومعهم يومئذ رجل يقال له حَزْمٌ ، وكان من أشد الناس على صخر شرّاً . فقال : وفيه يقول صخر : [من الطويل]

كفى حَزَناً لو يعلمُ النّاسُ أنني ... أدافعُ كأساً عند أبوابِ طارقِ[1]

أتنسيْنَ أياماً لنا بسُوَيْقَةٍ ... وأيامَنا بالجزعِ جِزْعِ الخلائقِ

لياليَ لا نخشى انصِداعاً من الهوى ... وأيامَ حزمٌ عندنا غيرُ لائقِ

إذا قلت لا تَفْشي حديثي تعجرفَت ... زياداً لِوُدٌّ ها هنا غير صادقِ[2]

قال : فأقاموا عليه البيِّنة بقَذف كأس ، فضُرِبَ الحَدَّ ، وعاد إلى قومه ، وأسِف على ما فاته من تزويج كأس ، فطفِق يقول فيها الشعر .

[مطولته في كأس]

قال الزُّبير : فأنشدني عمّي وغيرُه لصخر قوله : [من الطويل]

لقد عاود النفسَ الشقيَّةَ عِيدُها ... نعم إنَّهُ قد عادَ نحساً سُعودُها[3]

وَعاوَدَهُ من حُبِّ كأسٍ ضَمانةٌ ... على النأي كانت هيضةً تستقيدُها[4]

وأنَّى ترجِّيها وأصبحَ وصلُها ... ضعيفاً وأمستْ هَمَّه لا يكيدُها

وقد مَرَّ عَصْرٌ وهي لا تستزيدُني ... لما استُوْدِعتْ عندي ولا أستزيدُها

فما زلتَ حتى زَلَّتِ النعلُ زَلَّة ... برِجْلك في زوراءَ وعثٍ صعودُها[5]

ألا قلْ لكأسٍ إن عرضتَ لبيتِها ... فأينَ بُكا عيني وأين قصيدُها ؟

لعل البُكا يا كأسُ إن نفعَ البُكا ... يُقرِّب دنيانا لنا فيعيدُها

1 المدافعة : المقاضاة .
2 تعجرفت : تكبّرت .
3 العيد : العادة .
4 الضمانة : العلة . والهيضة : المرض بعد المرض .
5 زوراء : أرض بعيدة . وعث صعودها : من وعث الطريق وعثاً : تعسّر سلوكه .

وكانت تناهتْ لوعــةُ الودِّ بيننا فقد أصبَحَتْ يُبْساً وأُذبل عودُها

ويروى : وقد ذَاء عودُها يقال : ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد .

ليالِيَ ذاتُ الرمْسِ لا زال هيْجُها جنوباً ولا زالتْ سحابٌ تجودُها[1]

وعيشٌ لنا في الدهرِ إذ كان قَلْبُه يطيبُ لديه بُخْلُ كأسٍ وجودُها[2]

تذكَّرْتُ كأساً إذ سَمِعْتُ حمامةً بكت في ذُرَا نخل طِوالٍ جريدُها

دعت ساقَ حُرٍّ فاستَجبتُ لصوتها مولَّهَــةً لم يبــقَ إلا شريدُها[3]

فيا نفسُ صبراً كلُّ أسبابِ واصلٍ ستنمي لهــا أسباب هَجْــرٍ تُبيدُها

قال أبو الحسن الأخفش : ستنمي لها أسباب صَرْم تُبيدها أجود .

وليلٍ بَــدَتْ للعين نــارٌ كأنّها سنا كوكبٍ للمستبين خُمودُها

فقلت : عساها نــارُ كأسٍ وعلَّها تَشكَّى فأمْضي نحوَهــا وأعودُها

فتسمع قولي قبل حتف يَصِيدُني تُسَرُّ بِهِ أو قَبْــلَ حتفٍ يصيدُها

كأن لم نكُنْ يا كأسُ إلفَي مَودةٍ إذِ الناسُ والأيامُ تُرْعَــى عهودُها

[من شعره في تجواله]

أخبرني عبدُ الله بن مالك النحويّ ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال : لما ضُرِبَ صخرُ بن الجعد الحدَّ لكأسٍ ، وصارت إلى زوجها نَدِمَ على ما فرط منه ، واستحيا من الناس للحدّ الذي ضُرِبَه ، فلحِقَ بالشام ، فطالتْ غيبتُه بها ، ثمّ عادَ فمرَّ بنخلٍ كانَ لأهلِه ولأهلِ كأْسٍ ، فباعوه ، وانتقلوا إلى الشام ، فمرَّ بها صخر ورأى المبتاعين لها يَصرِمونها[4] ، فبكى عند ذلك بكاء شديداً ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

مررتُ على خَيماتِ كأسٍ فأسبلتْ مدامــعُ عينــي والرياحُ تُميلُها

وفي دارهمْ قومٌ سواهم فأسبلتْ دموعٌ من الأجفانِ فاضَ مسيلُها

كذاكَ الليالي ليسَ فيهــا بسالمٍ صديقٌ ولا يبقــى عليهــا خَليلُها

وقال وهو بالشام : [من الطويل]

---

1 ذات الرمس : مكان . الهيج : الريح .

2 قلبه في ل : فلتة .

3 ساق حرّ : ذكر القماري .

4 صرم النخلة : جذّها .

ألا ليتَ شعري هـــل تغيَّرَ بَعدَنا عن العهدِ أم أمْسَى على حالِه نجدُ ؟
وعهدي بنجدٍ منذ عشرينَ حِجَّةً ونحنُ بِدُنيا ثَــمَّ لم نَلقهَــا بعدُ
بــه الخوصَةُ الدهماءُ تحتَ ظلالِها رياضٌ بها الحَوْذان والنَّفَل الجعدُ[1]

قال : ومرَّ على غديرٍ كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعون عليه ، فوقف طويلاً عليه يبكي وكان يقال لذلك الغدير جَنان فقال صخرُ : [من الطويل]

بِلِيتُ كما يَبْلَى الرِّداءُ ولا أرَى جَناناً ولا أكنافَ ذِرْوَةَ تَخْلُقُ[2]
أُلَــوِّي حيازيمي بِهِــنَّ صبابةً كما تتلــوَّى الحَيَّــةُ المُتَشَرِّقُ[3]

[تموت كأس فيرثيها]

أخبرني عبدُ الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : قال السّعيديّ : حدّثني سَبرةُ مولى يزيدَ بن العوّام ، قال : كان صخر بن الجعد المحاربي خِدْنا لعوَّام بن عقبة ، وكان عوّام يهوَى امرأة من قومِه ، يقال لها : سوداء ، فماتت ، فرثاها ، فلما سمعَ صخرُ بن الجَعْد المرثية ، قال : وددتُ أن أعيش حتى تموتَ : كأس ، فأرثيَها ، فماتت كأس ، فقال : [من الطويل]

عـــلى أمّ داودَ السلامُ ورحمـةٌ مــن اللهِ يجري كلَّ يوم بشيرُها
غداةَ غد الغادون عنهــا وغُودِرَتْ بلمَّاعــةِ القِيعــان يستنُّ مورُها[4]
وغُيِّبتُ عنهــا يــومَ ذاكَ وليْتَني شهِدتُ فيحوي مَنْكِبيَّ سريرُها

ويروى : فيعلو منكبي .

نـــزَت كبــدي لمــا أتاني نعيُّها فقلتُ : أدانٍ صدعُها فمُطيرُها ؟

[أمير المؤمنين يسأل عن قائل شعره]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، قال : حدثني الزبير ، قال : حدثني خالد بن الوضاح قال : قال عَبدُ الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجُمَحِيُّ لعبد الله بن مصعب : سألني أمير المؤمنين اليوم في موكبه : مَنِ الذي يقول : [من الوافر]

ألا يا كأسُ قد أفنيتُ شِعْري فلستُ بقائــلٍ إلا رجيعــا ؟

1 الخوص : ورق النخل والمقل والنارجيل . الحوذان : نبات عشبي . النفل : نبت طيب الرائحة أصفر الزهر .
2 جنان ، وذروة : مكانان .
3 الحيزوم : الصدر أو وسطه . الحية المتشرق : التي تحاول الدفء عند شروق الشمس .
4 لمّاعة القيعان : فلاة يلمع السراب أو البرق في قيعانها . يستن : يسرع . المور : الغبار الذي تطير به الريح .

ولم أدرِ لمن الشعر ؟ فقال عبدُ الله بن مصعب : هو لصخرٍ الخُضْرِيِّ ، وأنشدَ باقيَ الأبيات ، وهي :

تُرجِّــي أن تلاقــيَ آلَ كأسٍ كما يرْجو أخو السَّنةِ الربيعا[1]

فلستَ بنائـمٍ إلا بحُــزْنٍ ولا مستيقظــاً إلا مَرُوعـا

فإنَّكَ لـو نظـرتَ إذا التقينا إلى كبدي رأيتَ بها صُدوعا

[من شعره حينما ندم على عدم زواجها]

قال ابنُ حبيب في رواية عبد الله بن مالك : لما زُوِّجَتْ كأسٌ جزع صخرُ بن الجعد لما فرط منه وندِم وأسِفَ ، وقال في ذلك : [من الطويل]

هنيئاً لكأسٍ قطعُها الحبـلَ بعدما عقدْنـا لكأس موثِقـاً لا نخونُها

وإشماتُها الأعـداءَ لمّـا تألَّبوا حـواليَّ واشتدَّت علـيَّ ضُغُونُها

فإن حَراماً أن أخونَـك مادعا بيَلْيَلَ قُمْـرِيُّ الحمـام وجُونُها[2]

وقد أيقَنَت نفسي لقد حِيل دونها ودونكَ لـو يأتــي بيـأسٍ يَقينُها

ولكن أبتْ لا تستفيقُ ولا تَـرى عَــزَاءً ولا مجلودَ صَبْرٍ يُعينُها[3]

لـوَ انَّا إذ الدّنيـا لنـا مطمئنَّةٌ دَحَا ظِلُّها ثم ارجحنَّت غُصونُها[4]

لهونـا ولكنـا بغــرَّة عيشِنا عجبنا لدُنيانـا فكِدنـا نُعينُها

وكنا إذا نحـنُ التقيْنا ومـا نُرى لعينين إلا مـن حجابٍ يَصونُها

أخذنا بأطرافِ الأحاديـث بيننا وأوساطِهـا حتى تُمَـلَّ فنونُها

[تراه كأس في النوم]

قال ابنُ حبيب : أرسلتْ كأسٌ بعد أن زُوِّجَت إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يرى النائم : كأنه يُلبِسُها خماراً ، وأنَّ ذلك جدّد لها شوقاً إليه وصَبابة ، فقال صخر : [من الطويل]

أنائــلُ مـا رؤيا زعمتِ رأيتِها لنا عجَب لـو أنَّ رؤياكِ تَصْدُقُ

---

1 السنة : الجدب والمحل .

2 يَلْيَل : اسم موضع . الجون جمع جوناء : وهي الناقة السوداء .

3 مجلود : من جلده على الأمر : أكرهه عليه .

4 دحا الظلّ : استرخى وامتد . ارجحنّت : تمايلت .

أنائلُ لولا الودُّ ما كان بيننا نضاً مثل ما ينضو الخضابُ فيخلُقُ[1]

[يشتري نسيئة ثم يهرب من البائع]

أخبرنا حبيب بن نصر ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب ، قال : حدثني محمد بن عبد الله البكري ، قال : قدم صخر بن الجعد الخُضْريّ المدينة ، فأتى تاجراً من تجارها ، يقال له سَيَّارٌ فابتاع منه بُرّاً وعِطراً ، وقال : تأتينا غُدوة فأقضيك ، وركب من تحت ليلته ، فخرج إلى البادية ، فلما أصبح سيَّار سأل عنه ، فعُرف خبرُه ، فركب في جماعة من أصحابه في طلبه ، حتى أتوا بئرَ مُطَّلِب ، وهي على سبعة أميال من المدينة ، وقد جهدوا من الحرِّ ، فنزلوا عليها ، فأكلوا تمراً كان معهم ، وأراحوا دوابَّهم وسَقَوْها ، حتى إذا بَرَد النهار انصرفوا راجعين ، وبلغ الخبرُ صخرَ بن الجعد ، فقال : [من البسيط]

أهْونْ عليَّ بسيّارٍ وصفوته إذا جعلتُ صِراراً دون سيَّارِ[2]

إن القضاءَ سيأتي دونه زمن فاطوِ الصّحيفةَ واحفَظها من العارِ[3]

يسائلُ الناسَ هل أحْسَسْتُمُ جَلباً محاربيّاً أتى مِن نحو أظفارِ[4]

وما جَلَبْتُ إليهمْ غيرَ راحلة وغيرَ رحل وسيف جَفنةُ عارِ

وما أُرِيتُ لهم إلا لأدفعهم عني ويخرجُني نقضي وإمراري[5]

حتى استغاثُوا بأروَى بئرِ مُطّلب وقد تحرَّق منهم كلُّ تَمّارِ[6]

وقال أوّلُهم نُصحاً لآخرهم : ألا ارجعُوا واتركوا الأعرابَ في النارِ

[جاريته تخدعه]

أخبرني عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا ابن الأعرابي ، قال : كان الجعد المحاربيّ أبو صخر بن الجعد قد عُمِّرَ حتى خَرِف ، وكان يكنى أبا الصَّموت ؛ وكانت له وليدة[7] يقال لها سمحاء[8] ، فقالت له يوماً : يا أبا الصَّموت ، زعم بَنُوكَ أنك إن مِتَّ

---

1 نضا : نصل .

2 صرار : موضع قرب المدينة .

3 قضاء : قضاء الدين .

4 الجلب : ما جلب من متاع وشاء وإبل ونحو ذلك . أظفار : طائفة من الكواكب .

5 الإمرار : فتل الحبل ونحوه . النقض : ضد الفتل .

6 الأروى : أنثى الوعل . وبئر مطلب : المكان الذي نزل فيه سيار ورفقته .

7 وليدة : جارية .

8 ل : سحماء .

قَتَلُوني ، قال : ولِمَ ؟ قالت : ما لي إليهم ذنب غير حبّي لك ، فأعتَقها على أن تكونَ معه ، فمكثت يسيراً ، ثم قالت له : يا أبا الصَّمُوت ، هذا عَرابة من أهل المعدِن يَخطُبني ، قال : أين هذا مما قلت لي ؟ قالت : إنَّه ذو مال ، وإنّما أردتُ مالَهُ لك ، قال : فأتني به ، فأتته فزوّجه إياها ، فولدت له أولاداً ، وقَوَّتْهُ بما كانت تصيبُه من الجَعْد ، وكانت تأتي الجعدَ في أيّام ، فتخضب رأسه ، ثم قطعته ، فأنشأ الجعْدُ يقول : [من البسيط]

أمْسَى عَرابَةُ ذا مال وذا ولدٍ — من مالِ جَعْدٍ وجعدٌ غيرُ محمودِ
تظل تُنشِقُه الكافورَ متكئاً — على السريرِ وتعطيني على العُودِ

[من قوله لامرأته]

قال والجَعْدُ هو القائل لامرأته : [من الطويل]

تُعالجني أمّ الصَّموت كأنّما — تُدَاوي حِصاناً أوهنَ العظمَ كاسِرُهْ
فلا تعجبي أمَّ الصَّموتِ فإنه — لكلِّ جواد مَعْثَرٌ هو عاثِرُهْ
وقد كنتُ أصطاد الظباءَ مُوَطِّئا — وأضربُ رأسَ القِرن والرمحُ شاجِرُهْ[1]
فأصبَحتُ مثل العشِّ طارَتْ فراخه — وغودر في رأسِ الهشيمةِ سائِرُهْ[2]

[أولاده يرثونه حيّاً]

فلما كبر حَمَلَهُ بنوه ، فأتوا به مكة ، وقالوا له : تعبَّدْ ها هنا ، ثم اقتسموا المال ، وتركوا له منه ما يُصلِحُه ، فقال : [من الوافر]

ألا أبلِغْ بني جَعْدٍ رسولاً — وإن حالتْ جبالُ الغَوْرِ دُوني
فلم أرَ مَعْشَراً تركوا أباهم — من الآفاقِ حيثُ تركتموني
فإني والرَّواقِص حول جَمْعٍ — ومَحْطِمُهُنّ من حَصْبا الحجونِ[3]
لو آني ذو مدافعةٍ وحولي — كما قد كنت أحياناً كمُوني
إذا لَمَنَعْتُكُمْ مالي ونفسي — بنصلِ السّيفِ أو لقتلتموني

[يعيا وعبده حاضر البديهة]

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء ، قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثنا محمدُ بن

1 موطئاً : منحدراً . شاجره : داخل فيه مشتبك به .
2 الهشيمة : الشجرة البالية . سائره : باقيه .
3 الرواقص : الإبل التي تحمل الحجيج . جمع : علم على المزدلفة . الحجون : جبل بمعلاة مكة .

عبد الله بن عثمان البكريّ ، عن عروة بن زيد الخضري ، عن أبيه قال : كنتُ في ركب فيهم صخر بن الجعد ، ودرنٌ مولى الخضريين معنا ، ونحن نريد خيبر ، فنزلنا منزلاً تعشّينا فيه ، فهيّجنا إبلَ صخر ، فلمّا ركبنا ساق بنا واندفع يَرجُز ، ويقول : [من الرجز]

لقد بعثت حاديا قراصِفا[1]

فردَّده قِطْعاً من الليل لا يُنْفِده ، ولا يقول غيرَه ، ثم قال لنا : إنّي نسيت عِقالا ، فرجع يطلبه في المَتَعشَّى ، ونزل دَرَنٌ يسوق بالقوم ، فارتجز دَرَن ببيت صخر ، وقال : [من الرجز]

لقد بعثتُ حادياً قُراصِفَا ... من منزلٍ رَحَلْتُ عنه آنفا
يسوقُ خُوصاً رجَّفاً حواجفا ... مثلَ القسيّ تقذفُ المقاذفا[2]
حتى ترى الرِّباعِيَ العُتارِفا ... من شدّةِ السيرِ يُزَجّي واجفا[3]

قال : فأدركه صخر ، وهو في ذلك ، فقال له : يا ابن الخبيثة أتجترىء على أن تنفذ بيتاً أعياني ؟ فقاتله ، فضربه ، حتى نزلنا ، ففرقنا بينهما .

صوت

[من الطويل]

إذا سَرَّها أَمرٌ وفيه مَساءتي ... قضيْتُ لها فيما تُحِبُّ على نفسي
وما مرَّ يومٌ أرتجي منه راحةً ... فأذكُرَه إلاّ بكيتُ على أَمْسي

الشعر لأبي حفصٍ الشِّطرنجيّ ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو .

---

1 قراصفا : مسرعا .

2 خوصاً : جمع خوصاء ، وهي الناقة ونحوها غارت عينها . رجفاً : مهتزة .

3 الرّباعي : من ربعت الإبل : سرحت في المراعي . واجفا : مسرعا .

[462] ـ أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

[نشأته]

أبو حفص : عمر بن عبد العزيز ، مولى بني العبّاس ، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال ، وكان اسمه اسماً أعجميّاً ، فلمّا نشأ أبو حفص وتأدّب ، غيّرهُ وسمّاه عبد العزيز .

أخبرني بذلك عمّي ، عن أحمد بن الطّيب ، عن جماعة من موالي المهديّ .

ونشأ أبو حفص في دار المهديّ ومع أولاد مواليه ، وكان كأحدِهم ، وتأدّب ، وكان لاعباً بالشّطرنج مشغوفاً به ، فلُقّب به لغلَبته عليه .

[انقطاعه إلى عليّة بنت المهديّ]

فلمّا مات المهديّ انقطع إلى عُليّة ، وخرج معها لمّا زوّجت ، وعاد معها لمّا عادت إلى القصر ، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء ، فتَنتحِل بعض ذلك ، وتترك بعضه ، وممّا ينسب إليها من شعر . ولها فيه غناء ، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارِها : [من الطويل]

تَحبَّبْ فإنّ الحبّ داعيةُ الحبّ

وهو صوت مشهور لها .

[يخلعون عليه أحبّ الأوصاف]

حدّثني الحسن بن عليّ الخفاف ، قال : حدّثني أحمد بن الطيب السَّرَخسي قال : حدّثني الكنديّ ، عن محمد بن الجهم البرمكيّ ، قال : رأيت أبا حفص الشطرنجيّ الشاعر ، فرأيت منه إنساناً يُلهيك حضورُه عن كلّ غائب وتُسليك مجالستُه عن هموم المصائب ، قُرْبُهُ عُرْس ، وحديثُه أُنْس ، جِدُّه لَعِب ، ولَعِبه جد ، ديِّن ماجد ، إن لبستَهُ على ظاهره لبِسْتَ مَوموقاً لا تملّه ، وإن تتبّعتَه لتستبطِنَ خبرتَه وقفتَ على مُرُوَّة لا تطير الفواحشُ بجَنباتها ، وكان فيما علمته أقلّ ما فيه الشعر ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

صوت

تَحبَّبْ فإنّ الحُبَّ داعيةُ الحبِّ	وكم من بعيدِ الدّار مُسْتَوجِب القُربِ
إذا لم يكن في الحبِّ عَتبٌ ولا رضاً	فأين حلاوات الرسائل والكُتُبِ ؟

تفكَّرْ فإن حُدِّثتَ أَنَّ أخا هوًى نجا سالماً فارجُ النّجاة من الكربِ[1]
وأَطيبُ أَيّامِ الهوى يومُك الذي تُرَوَّعُ بالتّحريشِ فيه وبالعَتْبِ[2]

قال : وفي هذه الأبيات غناء لعُلَيَّةَ بنتِ المهديّ ، وكانت تأمره أن يقول الشعر في المعاني التي تريدها ، فيقولها ، وتغنّي فيها .

قال وأنشدني لأبي حفص أيضاً : [من الخفيف]

صوت

عَرِّضَنْ للذي تُحِبّ بحبٍّ ثمّ دَعْهُ يَرُوضُهُ إبليسُ
فلعَلَّ الزّمانَ يُدْنيك منه إن هذا الهوى جليلٌ نفيسُ
صابِرِ الحبَّ لا يُصرِّفْكَ فيه من حبيب تجهُّمٌ وعبوسُ
وأَقِلَّ اللَّجاجَ واصبرْ على الجهـ ـدِ فإنَّ الهوى نعيمٌ وبُوسُ

في هذه الأبيات للمَسْدُودِ هزج ذكره لي جحظة وغيرُه عنه .

وأمّا قوله :

تحبَّب فإنّ الحبّ داعية الحبّ

فقد مضت نسبته في أخبار عُلَيَّة .

[مساجلة بينه وبين الرشيد على لسان ماردة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أبو العبّاس الكاتب قال : كان الرشيد يحبّ ماردةَ جاريتَه ، وكان خلّفها بالرَّقّة ، فلمّا قدم إلى مدينة السلام اشتاقها ، فكتب إليها : [من المتقارب]

صوت

سلامٌ على النازحِ المغتربْ تحيّةَ صَبٍّ به مكتئبْ
غَزالٌ مراتعُه بالبليخِ إلى دَيْرِ زكّى فقصرِ الخشبْ
أيا مَنْ أعان على نفسه بتخليفه طائعاً مَنْ أحبْ

---

1 الكرب في ل : الحب .

2 التحريش : الحك والدلك بمشط ونحوه .

سأستر والسَّترُ مـــن شيمتي هوى مَن أُحِبُّ بمَنْ لا أُحِبْ

فلمّا ورد كتابُه عليها أمرت أبا حفص الشِّطرنجيّ صاحب عُلَيَّة ، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات ، فقال : [من المتقارب]

أتـــاني كتابُـــك يــا سيِّدي وفيــه العجائـــبُ كلّ العجَبْ
أتزعـــمُ أنّـــك لي عاشقٌ وأنّـــك بـــي مُستهامٌ وصبّ
فلــو كان هـــذا كذا لم تكنْ لتتركنـــي نُهْـــزَةً للكُرَبْ
وأنـــتَ ببغدادَ ترعـــى بهـــا نبـــاتَ اللَّذاذةِ مـَعْ مَنْ تُحِبّ
فيـــا مَـــن جفاني ولم أجفُه ويا مَن شجاني بما في الكتبْ
كتابُك قـــد زادني صَبـــوةً وأَسْعَرَ قلبـــي بحَـــرّ اللّهبْ
فهَبني نَعَمْ قـد كتمتُ الهوى فكيف بكتمانِ دَمْعٍ سَرَبْ
ولـــولا اتّقـــاؤك يـــا سيِّدي لوافتك بي النّاجيات النُّجُبْ[1]

فلمّا قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد ، حتى حَدَرَها[2] إلى بغداد في الفرات ، وأمر المغنّين جميعاً ، فغنَّوْا في شعره .

قال الأصفهانيّ : فمِمَّن غنّى فيه إبراهيم الموصليّ ؛ غنّى فيه لحَنْين ، أحدهما ماخوريّ ، والآخر ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وغنّى يحيى بن سعد بن بكر بن صَغِير العين فيه رملاً . ولابن جامع فيه رمل بالبنصر ، ولفليح بن العوراء ثاني ثقيل بالوسطى ، وللمعلّى خفيف رمل بالوسطى ، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى ، ولأبي زكار الأعمى هزج بالبنصر ، هذه الحكايات كلّها عن الهشاميّ ، وقال : كان المختار من هذه الألحان كلّها عند الرشيد الذي اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم .

[يصلح بين الرشيد وعليّة بشعره]

أخبرني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ، قال : حدّثنـي محمد بن يزيد النحويّ ، قال : حدَّثني جماعة من كتّاب السلطان : أنّ الرشيد غضب على عُلَيَّة بنت المهديّ ، فأمرت أبا حفص الشِّطرنجيَّ شاعرَها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد ، ويسأله الرضا عنها ، فيستعطفه لها فقال : [من البسيط]

1 الناجيات النُّجب : الإبل الأصيلة المسرعة .
2 حدر الشيء : دحرجه من علو إلى أسفل .

صوت

لو كان يمنعُ حسنُ العقل صاحِبَه   من أن يكونَ له ذنبٌ إلى أحدِ
كانت عُلَيَّــةُ أبـرا الناس كلِّهمُ   من أن تُكافا بسوءٍ آخــرَ الأبدِ[1]
ما لي إذا غِبتُ لم أُذكَـر بواحدةٍ   وإن سَقِمْتُ فطال السُّقْمُ لم أُعَدِ
ما أعجبَ الشيءَ ترجوه فتُحْرَمُه   قد كنتُ أحسبُ أنّي قد ملأتُ يدي

فأتاها بالأبيات ، فاستَحسَنتها ، وغنّت فيها ، وألقَت الغناء على جماعة من جواري الرشيد ، فغنّيْنَه إيّاه في أوّل مجلس جلس فيه معهن ، فطرِبَ طرباً شديداً ، وسألهن عن القصّة ، فأخبرنه بها ، فبعث إليها ، فحضرت ، فقبَّل رأسَها ، واعتذرت ، فقَبِل عُذرَها ، وسألها إعادةَ الصوت ، فأعادته عليه ، فبكى ، وقال : لا جرم أنّي لا أغضب أبداً عليك ما عشت .

[بيتان في دنانير بمائتي دينار]

حدَّثني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثنا الحسين بن يحيى ، عن عمرو بن بانة ، قال : دخل أبو حفص الشِّطرنجيّ على يحيى بن خالد ، وعنده ابن جامع ، وهو يلقي على دنانيرَ صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها ، وقال لأبي حفص : قُل في دنانير بيتين يغنّي فيهما ابنُ جامع ، ولك بكلّ بيت مائة دينار إن جاءت كما أُريد ، فقال أبو حفص : [من السريع]

صوت

أشبَهكِ المسكُ وأَشبهتِه   قائمــةً في لونــه قاعدَهْ
لا شكَّ إذْ لونُكما واحدٌ   أنّكما مــن طينةٍ واحدَهْ

قال : فأمر له يحيى بمائة دينار ، وغنّى فيهما ابنُ جامع .

قال الأصفهانيّ : لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج .

[صديق حميم لأسرة الخليفة]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان أبو حفص الشِّطرنجيّ ينادم أبا عيسى بنَ الرشيد ، ويقول له الشعر ، فينتحله ، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأُخته ، وكذلك بعُليَّة عمّتهم .

---

1 أبرا : من البراءة .

[يُعاتب عيسى بن الرشيد]

وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأنسون به ، فمرض ، فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى فكتب إليه : [من الطويل]

إخاءُ أبي عيسى إخاءُ ابنِ ضَرَّةٍ ... ووُدِّيَ وُدٌّ لابــنِ أُمٍّ ووالـــدِ
ألَـم يأتِـــه أنّ التـــأدّبَ نِسبةٌ ... تلاصق أهــواءَ الرّجــالِ الأباعدِ
فَما بالُـــه مُستعذباً مـــن جفائِنا ... مــواردَ لم تَعذُبْ لنا من مواردِ
أقمتُ ثلاثــاً حِلْفَ حُمَّى مُضِرَّةٍ ... فلم أرَه في أهـــلِ ودِّي وعائدي
سلامٌ هـــي الدُّنيـــا قروضٌ وإنّما ... أخوك مُديمُ الوصلِ عند الشدائدِ

[بيتان ليسا له]

حدَّثني جعفر بن الحسين ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : حدَّثنا أبي عن أبي حفص الشطرنجيّ : قال : قال لي الرشيد يوماً : يـا حبيبي ، لقد أحسنتَ ما شئتَ في بيتين قلتَهما ، قلت : ما هما يا سيِّدي ؟ فمِنْ شرفهما استحسانُك لهما ، فقال : قولك : [من الكامل]

صوت

لم ألْقَ ذا شَجَن يبوح بحُبِّــه ... إلاّ حَسِبتُــكِ ذلــك المحبوبا
حذراً عليكِ وإنّني بكِ واثقٌ ... ألاَّ ينــالَ سوايَ منــكِ نصيبا

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، ليسا لي ، هما للعبّاس بن الأحنف ، فقال : صِدْقُك والله أعجبُ إليَّ ، وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول : [من الطويل]

إذا سرَّها أمرٌ وفيــه مساءَتي ... قضيْتُ لها فيما تريدُ على نَفسي
وما مرَّ يومٌ أرتجي فيــه راحةً ... فأذْكُرَه إلاّ بكيتُ على أمْسي

في البيتين الأوّلين اللذين للعبّاس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصليّ ، وفيهما لابن جامع رملٌ عن الهشاميّ ، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن ، وفي أبيات أبي حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّس .

[ينعى نفسه قبل أن يموت]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ ، قال : حدَّثني الحسين بن يحيى ، قال ، حدَّثني عبد الله بن الفضل ، قال : دخلت على أبي حفص الشِّطرنجيّ شاعِر عُلَيّة بنتِ المهديّ أعوده في عِلّته التي مات فيها ، قال : فجلست عنده فأنشدني لنفسه : [من المتقارب]

صوت

نَعى لك ظلَّ الشَّبابِ المشيبُ ... ونادَتك باسمٍ سِواكَ الخطوبُ
فكُن مستعِدّاً لداعــي الفنــاء ... فــإنّ الذي هــو آتٍ قريبُ
أَلسنا نــرى شهواتِ النفــو ... س تَفْنى وتبقى عليها الذنوبُ
وقبلَك داوى المريضَ الطبيبُ ... فعاش المريضُ ومات الطبيبُ
يخافُ على نفسِهِ مَــن يتوبُ ... فكيف ترى حال مَن لا يتوبُ ؟

غنّى في الأوّل والثاني إبراهيم هزجا .

انقضت أخباره .

صوت

[من الهزج]

أبــى لَيْــليَ أن يذهبْ ... ونِيطَ الطرْفُ بالكوكبْ
ونجــمٍ دونــــه النَّسرا ... نِ بين الدَّلْــوِ والعقَربْ[1]
وهــذا الصُّبحُ لا يأتــي ... ولا يدنــو ولا يَقــرُبْ

الشعر لأُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى .

[تسرق لحن إسحاق وهو سكران]

أُخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحويّ ، قالا : حدَّثنا محمد بن حمّاد ، قال : التقيتُ مع دِمَنَ جارية إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يوماً ، فقلت لها : أسمعيني شيئاً أخذتِه من إسحاق ، فقالت : والله ما أحدٌ من جواريه أخذ منه صوتاً قطّ ولا أَلقى علينا شيئاً قطّ وإنّما كان يأمر مَن أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلّويَه ووجه القرعة الخزاعيّ وجواري الحارث بن بسخنّر أن يلقوا علينا ما يختارون من أغانيهم ، وأمّا عنه فما أخذت شيئاً قطّ إلاّ ليلة ، فإنّه انصرف من عند المعتصم ، وهو سكران ، فقال للخادم القيِّم على حُرَمه : جئني بدِمَن ، فجاءني الخادم ، فدَعاني ، فخرجت معه ، فإذا هو في البيت الذي ينام فيه ، وهو يصنع في هذا الشعر : [من الهزج]

أبــى لَيْــليَ أن يَذْهَبْ ... ونيط الطَّرْفُ بالكوكَبْ

---

1 النسران : مجموعتان من النجوم تقعان في النصف الشمالي من القبة السماوية .

وهو يتزايد فيه ، ويقومه ، حتى استوى له ، ثم قام إلى عُودٍ مصلَح معلَّق كان يكون في بيت منامه ، فأخذه ، فغنّى الصوت ، حتى صحَّ له ، واستقام عليه ، وأخذته عنه ، فلمّا فرغ منه قال : أين دمن ؟ فقلت : هو ذا أنا هاهنا ، فارتاع ، وقال : مُذْ كَمْ أنتِ هاهنا ؟ قلت : مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدِك ، فقال : خذي العود ، فغنّيه ، فأخذته ، فغنَّيته ، حتى فرغت منه ، وهو يكاد أن يتميّز غيظاً ، ثمّ قال : قد بقي عليك فيه شيء كثير ، وأنا أصلحه لك ، فقلت : أنا مستغنية عن إصلاحك ، فأصلِحه لنفسك ، فاضطجع في فراشه ونام ، وانصرفت ، فمكث أيّاماً إذا رآني قطّب وجهه .

وهذا الشعر تقوله أميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثي به مَن قُتِلَ في حروب الفِجار[1] من قريش .

1 الفِجار : جمع فجرة ، وإنّما سمّيت بذلك لأنّها كانت في الأشهر الحرم ، ولأن قيساً لما انهزمت فيه قالت : «قد فجرنا» .

[463] ـ ذكر الخبر في حروب الفجار وحروب عكاظ ونسب أُميمة بنت عبد شمس

[نسب أميمة]

أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ، وأمّها تفخَرْ بنت عبيد بن رواس بن كلاب ، وكانت عند حارثة بن الأوقص بن مرّة بن هلال بن فالح بن ذكوان السلميّ ، فولدت له أُميّةَ بنَ حارثة .

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان في أربعة أُعوام متواليات ، ولم يكن لقريش في أوّلها مدخل ، ثم التحقتْ بها .

فأمّا الفِجار الأوّل فكانت الحرب فيه ثلاثة أيّام ، ولم تسمَّ باسم لشهرتها .

وأمّا الفِجار الثاني فإنّه كان أعظمهما ؛ لأنـّهم استحلوا فيه الحرم ، وكانت أيّامه يوم نخلة ، وهو الذي لم يشهده رسول الله ﷺ منها ، وشهد سائرها ، وكان الرؤساء فيه حربَ بن أُميّة في القلب ، وعبدَ الله بن جُدْعان ، وهشام بن المُغيرة في المَجْنَبتَيْن ثم يوم شمطة ، ثم يوم العبلاء ، ثم يوم عكاظ ، ثم يوم الحرة .

[ما الذي أدى إلى حرب الفجار]

قال أبو عبيدة : كان أوّل أمر الفِجار أنّ بَدْرَ بن معشر الغِفاريّ أحد بني غِفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان رجلاً منيعاً مستطيلاً بِمَنَعَته على مَن ورد عكاظ ، فاتّخذ مجلساً بسوق عكاظ ، وقعد فيه وجعل يَبذخ[1] على الناس ويقول : [من الرجز]

نحن بنو مدركةَ بنِ خِنْدِف مَن يطعنوا في عينه لا يَطْرِفِ[2]
ومَنْ يكونوا قومَه يُغطرِف كأنّهم لُجَّةُ بحرٍ مُسدِفِ[3]

وبدر بن معشر باسطٌ رجليه ، يقول أنا أعزّ العرب ، فمن زعم أنّه أعزُّ منّي فليضرب هذه بالسيف ، فهو أعزّ منّي ، فوثب رجل من بني نصر بن معاوية ، يقال له الأحمر بن مازن بن أوس بن النابغة ، فضربه بالسيف على ركبته ، فأنْدَرَها[4] ، ثم قال : خذها إليك

1 يبذخ : يفخر ويغالي في فخره .
2 لا يطرف : من طرف البصر : تحرك جفناه .
3 يغطرف : من الغطرفة بمعنى التيه والخيلا . مسدف : مظلم .
4 أندرها : فصلها .

إيّها المخندِف ، وهو ماسك سيفه ، وقام أيضاً رجل من هَوازِنَ ، فقال : [من الرجز]

أَنا ابنُ هَمْدانَ ذوي التَّغطرفِ بحرُ بحورٍ زاخرٌ لم يُنْزَفِ

نحنُ ضربنا ركبةَ المخندِف إذ مدَّها في أَشهرِ المُعَرّفِ[1]

وفي هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها .

[اليوم الثاني من أيّام الفجار الأوّل]

ثم كان اليوم الثاني من أيّام الفِجار الأوّل ، وكان السبب في ذلك أنّ شباباً من قريش وبني كنانة كانوا ذوي غرام ، فرأوا امرأة من بني عامرٍ جميلةً وسيمةً ، وهي جالسة بسوق عكاظ في درع وهي فُضُل[2] عليها برقع لها ، وقد اكتنفها شباب من العرب ، وهي تحدّثهم ، فجاء الشباب من بني كنانة وقريش ، فأطافوا بها ، وسألوها أن تُسفِر فأبت ، فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحل طرف ردائها ، وشدَّهُ إلى فوق حُجْزتها[3] بشوكة ، وهي لا تعلم ، فلمّا قامت انكشف درعها عن دبرها ، فضحكوا وقالوا : منعتِنا النظر إلى وجهكِ ، وجُدْتِ لنا بالنظرِ إلى دبركِ ، فنادَتْ يا آل عامر ! فثاروا ، وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ووقعت بينهم دماء ، فتوسّط حربُ بنُ أُميّة ، واحتمل دماء القوم ، وأرْضَى بني عامر من مُثْلَةِ صاحبتهم .

[اليوم الثالث من أيّام الفجار الأوّل]

ثم كان اليوم الثالث من الفِجار الأوّل ، وكان سبَبَه أنّه كان لرجل من بني جُشَم بن بكر بن هوازنَ دَيْن على رجل من بني كنانة فلواه[4] به ، وطال اقتضاؤه إيّاه ، فلم يُعطِه شيئاً ، فلمّا أعياه ، وافاه الجشميّ في سوق عكاظ بِقرْدٍ ، ثم جعل ينادي : مَن يبيعني مثل هذا الرُّبّاح[5] بما ليَ على فلان بن فلان الكنانيّ ؟ مَن يعطيني مثل هذا بما ليَ على فلان بن فلان الكناني ؟ رافعاً صوته بذلك ، فلمّا طال نداؤه بذلك وتعييرُه به كنانةَ مرَّ به رجل منهم ، فضرب القردَ بسيفه ، فقتله ، فهتف به الجشميّ : يا آل هوازنَ ، وهتف الكناني : يا آل كنانة ، فتجمع الحيان فاقتتلوا ، حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلَى ، ثم كفوا : وقالوا : أفي رُبّاحٍ تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ، وحمل ابنُ جُدْعانَ ذلك في ماله بين الفريقين .

1 في أشهر المعرف : في أشهر الوقوف بعرفات .
2 فضل : امرأة فُضُل أي مختالة تُسبل من طرف ردائها .
3 الحجزة : معقد تكة السراويل .
4 لواه : ماطله .
5 الرُّباح : الذكر من القرود .

[اليوم الأوّل من أيّام الفجار الثاني]

قال : ثم كان يوم الفِجار الثاني ، وأوّل يوم حروبه يوم نخلة ، وبينه وبين مبعث النبيّ ﷺ ستّ وعشرون سنة ، وشهد النبي ﷺ ذلك اليوم مع قومه ، وله أربعَ عشرةَ سنةً ، وكان يناول عمومتَه النَّبلَ ، هذا قول أبي عبيدة . وقال غيره : بل شهِدَها ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة .

قال أبو عبيدة : كان الذي هاج هذه الحرب يومَ الفجار الآخرَ ، أنّ البراض بن قيس بن رافع ، أحدَ بني ضَمرةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكِّيراً فاسقاً ، خلعه قومُه ، وتبرءوا منه فشرب في بني الدِّيل ، فخلعوه ، فأتى مكّة ، وأتى قريشاً ، فنزل على حرب بن أُميّة ، فحالفه فأحسن حربٌ جِواره ، وشرب بمكّة ، حتى همَّ حربٌ أن يخلعَه ، فقال لحرب : إنّه لم يبق أحد ، ممّن يعرفني إلاّ خلعني سواك ، وإنّك إن خلعتني لم ينظر إليَّ أحد بعدك ، فدَعني على حِلْفِك ، وأنا خارج عنك ، فتركه ، وخرج ، فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة .

[لطيمة النعمان]

وكان النُّعمان يبعث إلى سوق عكاظ في وقتها بلطيمة[1] يُجيزُها له سيِّدُ مُضر ، فتباع ، ويُشترى له بثمنها الأدَمُ والحريرُ والوِكاءِ والحِذاءِ والبُرودُ من العَصب[2] والوشي والمُسيَّر[3] والعَدَني ، وكانت سوق عكاظ في أوّل ذي القعدة ، فلا تزال قائمة يُباع فيها ويُشترى إلى حضور الحجّ ، وكان قيامها فيما بين النخلة والطائف عشرة أميال ، وبها نخل وأموال لثقيف ، فجهز النُّعمان لطيمة له ، وقال : مَن يجيزها ؟ فقال البرّاض : أنا أُجيزها على بني كِنانة ، فقال النُّعمان : إنّما أُريد رجلاً يجيزها على أهل نجد ، فقال عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذٍ رجل من هوازن : أنا أجيزها ــ أبيت اللعن ــ فقال له البرّاض : مِنْ بني كنانة تجيزها يا عروة ؟ قال : نعم ، وعلى النّاس جميعاً أفكلْبٌ خليع يجيزها !

[البراض يقتل عروة]

قال : ثم شخص بها ، وشخص البرّاض ، وعروة يرى مكانه ، لا يخشاه على ما صنع ، حتى إذا كان بين ظهْرَيْ غطفان إلى جانب فَدَك ، بأرض يقال لها أُوارةُ قريب من الوادي الذي يقال له تَيْمَنٌ نام عروة في ظلّ شجرة ، ووجد البرّاضُ غفلتَه ، فقتله وهرب في عضاريط[4] الركاب ، فاستاق الركاب ، وقال البراض في ذلك : [من الوافر]

---

1 اللطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة .
2 قد يكون العصب من الخرز في القلادة ، أو البرود اليمانية .
3 المُسيّر : ثوب به خطوط من القزّ والحرير ونحو ذلك .
4 العضاريط : جمع عضروط ، وهو الخادم أو الأجير .

وداهيـةٍ يُهـال الناسُ منهـا ... شددتُ لها بني بكر ضلوعي
هتكتُ بها بيوتَ بني كلاب ... وأرضعتُ المـوالي بالضروعِ
جمعت لها يديَّ بنصل سيفٍ ... أفلّ فَخرَّ كالجِـذْع الصَّريعِ[1]

وقال أيضاً في ذلك : [من الطويل]

نقَمْتُ على المرء الكلابيّ فخرَه ... وكنت قديمـاً لا أُقِرُّ فَخارا
علوتُ بحدّ السيف مفرِقَ رأسه ... فأسمع أهـلَ الواديين خُوارا

قال : وأُمُّ عروة الرّحال نُفَيْرَةُ بنت أبي ربيعة بن نُهَيْكِ بن هلال بن عامر بن صعصعة ، فقال لبيد بن ربيعة يحضّ على الطلب بدمه : [من الوافر]

فأبلغْ إن عرضتَ بنـي نُمَيْرٍ ... وأخـوالَ القتيـلِ بنـي هِلالِ
بأنَّ الوافدَ الرحَّـال أضحى ... مقيماً عنـد تَيْمَنَ ذي الظِّلالِ

قال أبو عبيدة : فحدَّثني أبو عمرو بن العلاء ، قال : لقي البرّاضُ بشرَ بن أبي خازم ، فقال له : هذه القلائِص لك على أن تأتي حربَ بن أُميّة وعبد الله بن جُدْعانَ وهِشاماً والوليد ابني المغيرة ، فتخبرَهـم أنّ البرّاض قتل عروة ، فإنّي أخـاف أن يسبق الخبرُ إلى قيس أن يكتموه . حتى يقتلوا به رجلاً من قومك عظيماً . فقال له : وَما يؤمِنّك أن تكون أنت ذلك القتيل ؟ قال : إنّ هوازن لا ترضى أن تقتل بسيدها رجلاً خليعاً طرِيداً من بني ضَمْرَةَ ، قال : ومرّ بهما الحُلَيْس بنُ يزيدَ أحدُ بني الحارث بن عبد مناةَ بن كِنانة ، وهو يومئذٍ سيدُ الأحابيش من بني كنانة . والأحابيشُ من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو نُفاثة بن الدِّيل ، وبنو لحيان من خزاعة ، والقارة ، وهو أثيـع بن الهون بن خزيمة ، وعَضَل بن دَمَس بن محلِّم بن عائذ بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بني بكر بن عبد مناة ، فقال لهم الحليس : ما لي أراكم نَجِيّاً[2] ؟ فأخبروه الخبر ، ثم ارتحلوا ، وكتموا الخبر على اتّفاق منهم .

[وفاء ابن جدعان]

قال : وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جُدْعان ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجّهم ثم يردَّها عليهم إذا ظعنوا ، وكان سيّداً حكيماً مثرياً من المال . فجاءه القوم ، فأخبروه خبر البرّاض وقتلِه عُروةَ ، وأخبروا حربَ بن أُميّة وهشاماً والوليد ابنَي المغيرة ، فجـاء حـرب إلى عبد الله بن جُدْعان ، فقـال لـه : احتبس قِبلَك سلاح

1 أفل : به فلول من كثرة الصراع .
2 نجيّاً : من النجوى أي متناجين .

هوازن ، فقال له ابنُ جُدعان : أَبِالْغَدْر تأمرني يا حرب ؟ والله لو أَعلم أنّه لا يبقى منها سيفٌ إلاّ ضُرِبتُ به ، ولا رمحٌ إلاّ طُعِنتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً ، ولكن لكم مائة درع ، ومائة رمح ، ومائة سيف في مالي تستعينون بها ، ثم صاح ابنُ جُدعان في النّاس مَن كان له قِبَلي سلاح فليأتِ ، وليأخذه ، فأخذ الناس أَسلحتهم .

[عدم جدوى خداع هوازن]

وبعث ابنُ جُدعان وحربُ بن أُميَّة وهشامٌ والوليدُ إلى أَبي بَراء : إنّه قد كان بعد خروجنا حرب ، وقد خِفنا تفاقم الأمر ، فلا تُنكروا خروجنا ، وساروا راجعين إلى مكّة ، فلمّا كان آخرَ النهار بلغ أبا بَراء قتلُ البراض عُرْوَة ، فقال : خدعني حربٌ وابنُ جُدعان ، وركب فيمَن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم ، فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم ، وجنّ عليهم الليل ، فكفّوا ، ونادى الأَدْرَمُ بن شعيب ، أحدُ بني عامر بن ربيعة بن صعصعة : يا معشر قريش ، ميعادُ ما بيننا هذه الليلة من العام المقبل بعكاظ ، وكان يومئذٍ رؤساء قريش حربُ بن أُميَّة في القلب ، وابنُ جُدعان في إحدى المجنبتين ، وهشامُ بنُ المغيرة في الأُخرى ، وكان رؤساء قيس عامرُ بن مالك ، ملاعبُ الأسِنَّة على بني عامر ، وكدّامُ بن عُمَير على فَهم وعدوان ، ومسعودُ بن سهم على ثقيف ، وسبيعُ بن ربيعة النصري على بني نصر بن معاوية ، والصِّمّةُ بن الحارث ، وهو أبو دُرَيْدِ بن الصِّمّة على بني جُشم ، وكانت الراية مع حرب بن أُميَّة ، وهي راية قُصَيّ التي يقال لها العُقاب .

[ما قاله خداش بن زهير في هذه الحرب]

فقال في ذلك خِداشُ بن زهير : [من البسيط]

يـا شَدَّةً مـا شددْنا غيرَ كاذبةٍ على سَخينةَ لـولا الليلُ والحرَم[1]

إذ يَتَّقِينـا هشامٌ بالوليـد ولـو أَنّا ثَقِفنـا هشاماً شالت الخَدَم[2]

بين الأَراكِ وبين المـرج تبطحُهم زُرقُ الأَسِنَّة في أَطرافها السُّهُمُ[3]

فإن سمعتم بجيش سالـكٍ سَرفاً وبطَن مُرّ فأخفوا الجرس واكْتَتِمُوا[4]

[عبد الملك يستنشد شعر خداش]

وزعموا أنّ عبد الملك بن مروان استنشد رجلاً من قيس هذه الكلمة ، فجعل يحيد عن

1 الشدّة : يريد بها الهجوم . سخينة : لقب يطلق على قريش ، وهو في الأصل طعام كانت تتخذه .
2 هشام : هشام بن المغيرة ، والوليد : أخوه . شالت : ارتفعت . الخدم : جمع خدمة ، وهي الخلعة المحكمة .
3 السُّهُم : الحرارة الغالبة .
4 سرف ، وبطن مر : مكانان .

قوله : «سخينة» ، فقال عبد الملك : إنّا قوم لم يزل يعجبنا السُّخْن ، فهات ، فلمّا فرغ قال : يا أخا قيس ، ما أرى صاحبَك زاد على التمنّي والاستنشاء .

[البراض يقدم باللطيمة]

قال : وقَدِمَ البرّاض باللطيمة مكّةَ ، وكان يأكلها ، وكان عامر بنُ يزيدَ بن الملوَّح بن يعمُرَ الكِنانيُّ نازلاً في أخواله من بني نُمَيْر بن عامر ، وكان ناكحاً فيهم ، فهمت بنو كلاب بقتله ، فمنعته بنو نمير ، ثم شخصوا به حتى نزل في قومه ، واستَغْوَتْ[1] كنانةُ بني أسد وبني نمير واستغاثوا بهم ، فلم تغثهم ، ولم يشهد الفِجارَ أحدٌ من هذين الحيَّين .

[اليوم الثاني من الفجار الثاني]

ثم كان اليوم الثاني من الفِجار الثاني ؛ وهو يوم شمطة ، فتجمّعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة ، والأحابيش ، وأعطت قريشٌ رُؤوسَ القبائل أسلحةً تامة وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامّة وأداة ، وجَمَعتْ هوازن ، وخرجت ، فلم تخرج معهم كلابٌ ولا كعبٌ ، ولا شهد هذان البطنان من أيّام الفِجار إلاّ يومَ نخلة مع أبي براء عامرِ بن مالك ، وكان القوم جميعاً متساندين ، على كلّ قبيلة سيِّدُهم .

[قوّاد قريش ومَن معهم]

فكان على بني هاشم وبني المطَّلب ولَفِّهِم[2] الزُّبيرُ بن عبد المطَّلب ، ومعهم النبيّ ﷺ ، إلاّ أنّ بني المطَّلب ، وإن كانوا مع بني هاشم ، كان يرأسهم الزُّبير بن عبد المطَّلب بن هاشم ورجل منهم ، وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب بن عبد مناف ، وأمّ الزُّبير الشَّفَّاء بنت هاشم بن عبد مناف ، وكان على بني عبد شمس ولِفِّها حربُ بن أميّة ومعه أخواه أبو سُفيان وسفيان ، ومعهم بنو نوفلِ بن عبد مناف ، يرأسهم بعد حرب مُطعمُ بن عديّ بن نوفل ، وكان على بني عبد الدار ولِفِّها خويلدُ بن أسد وعثمان بن الحويرث ، وكان على بني زُهرةَ ولفّها مَخرمةُ بنُ نوفل بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان ، وكان على بني تيم بن مرة ولِفِّها عبدُ الله بنُ جُدْعان ، وعلى بني مخزوم هشامُ بن المغيرة ، وعلى بني سَهمٍ العاصي بن وائل ، وعلى بني جُمَح ولِفِّها أُميّةُ بن خلف ، وعلى بني عديٍّ زيدُ بن عمرو بن نفيل ، والخطابُ بن نفيل عمّه ، وعلى بني عامر بن لؤيّ عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ أبو سَهْلِ بن عمرو ، وعلى بني الحارث بن فِهْر عبدُ الله بن الجَرّاح أبو أبي عبيدة عامر بن

---

1 استغوت كنانة بني أسد : أغوتهم بجرهم إلى الحرب .

2 اللف : الجماعة والأخلاط من الناس .

عبد الله بن الجرّاح ، وعلى بني بكر بَلْعاءُ بن قيس ، ومات في تلك الأيّام ، وكان جثّامة بن قيس أخوه مكانَه ، وعلى الأحابيش الحُلَيسُ بن يزيد .

[قوّاد هوازن ومَن معهم]

وكانت هوازن متساندين كذلك ، وكان عطيةُ بن عفيف النَّصْريّ على بني نصر بن معاوية ، وقيل : بل كان عليهم أبو أسماء بن الضَّرِيبة ، وكان الخُنيسق الجشميّ على بني جُشم وسعدٍ ابنَي بكر ، وكان وهب بن مُعَتِّب على ثقيف ، ومعه أخوه مسعود ، وكان على بني عامر بن ربيعة وحلفائهم من بني جسر بن محارب سلمةُ بن إسماعيل : أحد بني البكّاء ، ومعه خالد بن هوذَةَ : أحدُ بني الحارث بن ربيعة ، وعلى بني هلال بن عامر بن صعصعة ربيعةُ بن أبي ظبيان بن ربيعة بن أبي ربيعة بن نُهيْك بن هلال بن عامر .

[هوازن تسبق قريشاً وترجح كفتها]

قال : فسبقت هوازنُ قريشاً ، فنزلت شَمْطَة من عكاظ ، وظنّوا أن كنانة لم توافهم ، وأقبلت قريش ، فنزلت من دون المسيل ، وجعل حربٌ بني كنانة في بطن الوادي ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ، ولو أُبيحت[1] قريش ، فكانت هوازن من وراء المسيل .

قال أبو عبيدة : فحدّثني أبو عمرو بنُ العلاء : قال : كان ابن جُدعان في إحدى المجنبتين ، وفي الأخرى هشام بن المغيرة ، وحرب في القَلْب ، وكانت الدائرة في أوّل النهار لكنانة ، فلمّا كان آخر النّهار تداعت هوازن ، وصبروا واستَحرَّ القتل في قريش ، فلمّا رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة ، وهم في بطن الوادي ، مالوا إلى قريش ، وتركوا مكانهم ، فلمّا استحرّ القتل بهم قال أبو مُساحق بلعاءُ بن قيس لقومه : أُلحقوا برَخَم ، وهو جبل ، ففعلوا ، وانهزم الناس .

[الرسول ﷺ يحضر هذه الحرب]

وكان رسول الله ﷺ لا يصير في فئة إلاّ انهزم مَن يحاذيها ، فقال حرب بن أُميّة وعبد الله بن جُدعان : أَلا ترون إلى هذا الغلام ما يَحمِل على فئة إلاّ انهزمت ؟

[شعر خداش في المعركة]

وفي ذلك يقول خِداشُ بن زهير في كلمة له : [من الوافر]

فأبلغ إن عرضْتَ بنا هِشاماً ... وعبدَ الله أبلغْ والوَلِيدا

أُولئكَ إن يكن في الناسِ خيرٌ ... فإن لديهمُ حَسَباً وجُودا

1 ولو أُبيحت : ولو دارت الدائرة عليها .

هـــمُ خير المعاشرِ من قريشٍ وأوْراها إذا قُدِحــت زنودا
بأنّا يــومَ شَمطةَ قــد أُقمنا عمودَ المجدِ إنَّ لـــه عمودا
جلَبنا الخيـــلَ ساهمـةً إليهم عوابسَ يَدَّرِعْـنَ النقَع قودا[1]
فبِتنا نعقِــدُ السِّيما وباتــوا وقلنا : صبِّحوا الأُنسَ الحديدا[2]
فجاؤوا عارضاً بَــرِداً وجئنا كما أضرمتَ في الغاب الوقودا
ونادوا : يــا لعمرٍو لا تفِـرّوا فقلنا : لا فِــرارَ ولا صُدُودا

قوله : نعقد السّيما أي العلامات .

فَعاركْنا الكُمــاةَ وعاركونـــا عِراكَ النُّمْر عاركتِ الأسودا
فولَّوْا نضْربُ الهامــاتِ منهم بما انتهكوا المحارِمَ والحُدودا
تركنا بطن شَمْطَةَ مـــن علاءٍ كأنَّ خلالهـــا معَــزًا شريدا
ولم أرَ مثلَهـــم هزِموا وفُـلُّـوا ولا كذِيادِنَـــا عَنَقـاً مذودا[3]

قوله : يا لعمرو ، يعني عمرَو بن عامرِ بنِ ربيعة بنِ عامرِ بن صعصعة .

[اليوم الثالث يوم العبلاء]

ثم كان اليوم الثالث من أيّام الفِجار ، وهو يوم العَبْلاء ، فجمع القوم بَعضُهم لبعض ، والتقَوْا على قَرْن الحول بالعَبْلاء ، وهو موضع قريب من عكاظ ، ورؤساؤهم يومئذٍ على ما كانوا عليه يوم شَمْطَةَ ، وكذلك مَنْ كان على المجنَبتين ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت كنانة .

[شعر خداش في المعركة أيضاً]

فقال خداشُ بن زهير في ذلك : [من الوافر]

أَلم يَبلغْــك بالعبــلاء أنّـــا ضَرَبْنا خِنْدِفاً حتى استقادوا[4]
نُبَنّــي بــالمنازل عِـــزَّ قيسٍ وودُّوا لـــو تَسيخُ بنا البلادُ[5]

وقال أيضاً : [من الوافر]

1 ساهمة : ضامرة . قودا : جمع أقود ، وهو السلس القياد ، أو الطويل العنق والظهر .
2 صَبِّحوا القوم الحديد : أي عاجلوهم بالحديد بدل شرب اللبن أو الخمر .
3 العنق : الجماعة من الناس .
4 استقادوا : انقادوا وخضعوا .
5 تسيخ : تخسف .

أَلَم يبلغْك مـا لاقَتْ قريشٌ ... وحيٌّ بنـي كنانة إذ أُثيرُوا

دهمناهـم بأرعَـنَ مكفهـرٍّ ... فظـلَّ بنـا بعَقْوَتِهم زئيرُ[1]

نقـوِّمُ مـارِنَ الخطِّيّ فيهم ... يجـيء على أسنّتِنا الخريرُ[2]

[اليوم الرابع يوم عكاظ]

ثم كان اليوم الرابع من أيّامهم ، يوم عُكاظَ ، فالتقوا في هذه المواضع على رأس الحول ، وفيه جمع بعضُهم لبعض ، واحتشدوا ، والرؤساء بحالهم ، وحمل عبد الله بن جُدعان يومئذٍ ألفَ رجل من بني كنانة على ألف بعير .

[العنابس من أولاد أميّة]

وخَشِيت قريش أَن يجرَى عليها مثلُ ما جَرى يومَ العَبْلاء ، فقيّد حربٌ وسفيانُ وأُبو سفيان بنو أُميّة بنِ عبد شمس أنفسهم ، وقالوا : لا نبرح حتى نموتَ مكاننا ، وعلى أبي سفيان يومئذٍ دِرعانِ قد ظاهر بينهما[3] ، وزعم أبو عمرو بن العلاء أنّ أبا سفيان بن أُميّة خاصة قيَّد نفسه ، فسُمِّي هؤلاء الثلاثةُ يومئذٍ : العَنابس ، وهي الأُسودُ واحدها عَنْبَسةُ ، فاقتتل النّاس يومئذٍ قتالاً شديداً ، وثَبَت الفريقان ، حتى همّت بنو بكر بن عبد مناة وسائرُ بطون كنانة بالهرب ، وكانت بنو مخزوم تَلي كِنانة ، فحافظت حِفاظاً شديداً ، وكان أشدَّهم يومئذٍ بَنُو المغيرة ، فإنّهم صَبَرُوا ، وأبلَوْا بلاءً حسناً ، فلمّا رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا[4] فرجعوا وحمل بلعاء بن قيس وهو يقول : [من المنسرح]

إنَّ عُكاظَ مأوانـا فخلُّوهْ ... وذا المجاز بعد أَن تَحُلُّوهْ[5]

[مبارزة يهزم فيها رئيس الأحابيش]

وخرج الحُلَيسُ بن يزيد : أَحدُ بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو رئيس الأحابيش يومئذٍ ، فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثانُ بنُ سعد النصريّ ، فطعنه الحدثان ، فدقّ عضده وتحاجزا .

[الدائرة تدور على قيس]

واقتتل القوم قتالاً شديداً ، وحَمَلت قريشٌ وكنانةُ على قيس من كلّ وجه ، فانهزمت

1 جيش أرعن : عظيم جرار . العقوة : المكان المنفسح أمام المحلة .
2 مارن الخطّيّ : الرماح اللدنة . الخرير : خرير الدم المنبثق من الطعنة .
3 ظاهر بينها : جعل كلاًّ منهما مقوية للأخرى .
4 تذامروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .
5 عكاظ وذو المجاز : مكانان مشهوران في الجاهلية .

قيسٌ كلّها إلاّ بني نصر فإنّهم صبروا ، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان ، فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا ، وكان عليهم سُبَيْعُ بن أبي ربيعةَ ، أحدُ بني دُهْمان ، فعقَل نفسه ونادى : يا آل هَوازن ، يا آل هَوازن ، يا آل نصر ! فلم يعرج عليه أحد ، وأجفلوا منهزمين ، فكرّ بنو أُميّة خاصة في بني دُهمان ومعهم الخُنيسِقُ وقشعة الجشميّانِ ، فقاتلوا فلم يغنوا شيئاً ، فانهزموا .

[من المستجير بخباء سبيعة]

وكان مسعود بن مُعتِّب الثقفيّ قد ضرب على امرأته سبيعةَ بنتِ عبد شمس بن عبد مناف خِباء ، وقال لها : مَنْ دخله من قريش فهو آمن ، فجعلت تُوصِل في خبائها ، ليتّسع ، فقال لها : لا يتجاوزني خباؤك فإنّي لا أمضي لك إلاّ مَن أحاط به الخباء ، فأحْفَظَها[1] فقالت : أما والله إنّي لأظنّ أنّك ستودّ أن لو زدتُ في توسعته ، فلمّا انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أُميّة جيرانها ، وقال لها : يا عمّة ، مَن تمسّك بأطناب خبائك ، أو دار حولَه فهو آمن ، فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبائها ، حتى كثروا جدّاً ، فلم يبقَ أحد لا نجاة عنده إلاّ دار بخبائها فَقِيلَ لذلك الموضع : مَدارُ قيس ، وكان يُضرب به المثلُ ، فتغضب قيس منه ، وكان زوجُها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس ، وهو من ثقيف ، قد أخرج معه يومئذٍ بنيه من سُبَيعة ، وهم عروة ولوجة ، ونُوَيْرَة ، والأسود ، فكانوا يدورون ، وهم غلمان ، في قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمّهم ، ليجيروهم ، فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمّهم أن يفعلوا .

[رواية أخرى لخبر خباء سبيعة]

فأخبرني الحِرْميّ والطوسيّ : قالا : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار ، قال : حدَّثني محمد بن الحسن ، عن المحرز بن جعفر وغيره : أنّ كنانة وقيساً لما تَوافَوْا من العام المُقْبل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعودٌ الثقفيّ على امرأته سبيعةَ بنت عبد شمس أُمِّ بنيه خِباءً ، فرآها تبكي حين تداني النّاس ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : لما يُصاب غداً من قومي ، فقال لها : مَن دخل خباءك فهو آمن ، فجعلت تُوصِل فيه القطعة بعد القطعة والخِرقَة والشيء ليتّسع ، فخرج وَهْب بن مُعتب حتى وقف عليها ، وقال لها : لا يبقى طُنُبٌ من أطناب هذا البيت إلاّ ربطتُ به رجُلاً من بني كنانة ، فلمّا صُفَّ القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة فنادت بأعلى صوتها : إنّ وهباً يأتلي ويحلف ألاّ يبقى طُنُب من أطناب هذا البيت إلاّ ربط به رجلاً من كنانة ، فالجِدّ الجِدّ ، فلمّا هُزِمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس ، فأجارهم حَربُ بن أُميّة .

---

1 أحفظها : أغضبها ، وأوغر صدرها .

[قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرها حرب بن أميّة]

أخبرني هاشم بن محمد ، قال : حدَّثنا أبو غسّان دَماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : لمّا هُزِمت قيس لجأت إلى خباء سُبَيْعة ، حتى أخرجوها منه ، فخرجت ، فنادت : مَن تعلّق بطنب من أطناب بيتي فهو آمن في ذمّتي ، فداروا بخبائها ، حتى صاروا حلقة ، فأمضى ذلك كلَّه حربُ بن أميّة لعمّته ، فكان يضرب في الجاهليّة بمدار قيس المثل ، ويُعيّرُون بمدارهم يومئذٍ بخباء سُبَيْعة بنت عبد شمس ، قال :

[شاعران يتحدّثان عن الموقعة]

وقال ضرار بن الخطّاب الفهريّ قوله[1] : [من المتقارب]

ألَم تسألِ الناسَ عن شأننا ... ولم يُثبتِ الأمـرَ كالخابرِ
غداةَ عُكاظ إذ استكملَتْ ... هوازنُ في كفِّهـا الحاضرِ
وجـاءتْ سُلَيمٌ تَهزّ القَنا ... على كلِّ سَلْهَبـةٍ ضامرِ[2]
وجئنا إليهم على المضمراتِ ... بأرْعَـنَ ذي لَجبٍ زاخِرِ[3]
فلمّـا التقينـا أذقناهـمُ ... طِعاناً بِسُمْرِ القنـا العائرِ[4]
ففـرّت سُلَيمٌ ولم يصبروا ... وطارت شَعاعاً بنو عامرِ[5]
وفـرت ثقيفٌ إلى لاتِها ... بمُنقَلب الخائبِ الخاسرِ[6]
وقاتلت العَنْسُ شَطْرَ النها ... رِ ثم تولّـت مع الصادرِ[7]
على أنّ دُهمانَهـا حافظت ... أخيراً لـدى دارةِ الدائرِ

وقال خِداشُ بن زُهير : [من الطويل]

أتتنـا قريش حافلـينَ بجمعهم ... عليهم مـن الرحمنِ واقٍ وناصرُ
فلمّا دنونـا للقِبـابِ وأهلِهـا ... أُتيـحَ لنا ريبٌ مع الليل ناجرُ[8]

---

1 ديوانه : 63 ، طبعة دار صادر ، 1996 .
2 السلهبة من الخيل : العظيم الطويل العظام .
3 جيش أرعن : عظيم جرّار .
4 العائر : الذي يصيب العين بالعور .
5 الشعاع : المتفرق المنتشر .
6 إلى لاتها : أي إلى اللات الصنم المعبود .
7 العنس : إحدى القبائل .
8 ناجر : شديد الحرارة .

أُتيحت لنا بكرٌ وحول لوائها كتائبُ يخشاها العزيزُ المكاثرُ
جثت دونهم بكرٌ فلم تستطعهمُ كأنّهمُ بالمشرفيَّة سامرُ
وما برحت خيلٌ تثورُ وتُدَّعى ويَلْحقُ منهم أولون وآخرُ
لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا عَمايَةُ يومٍ شرُّه متظاهرُ[1]
وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت هوازنُ وارفضَّت سُلَيمٌ وعامرُ
وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصخرَ حدُّها إذا أُوهن الناسَ الجدودُ العواثرُ

[اليوم الخامس يوم حريرة]

ثم كان اليوم الخامس ، وهو يوم الحُرَيْرَةَ[2] ، وهي حرَّةٌ إلى جانب عُكاظَ ، والرؤساء بحالهم إلاّ بلعاءَ بن قيس ؛ فإنّه قد مات فصار أخوه على عشيرته ، فاقتتلوا ، فانهزمت كنانةُ وقُتِل يومئذٍ أبو سُفيانَ بنُ أُميّة وثمانيةُ رَهْطٍ من بني كنانة ، قتلهم عُثمان بن أسدٍ من بني عمرو بن عامر بن ربيعة ، وقتل ورقاءُ بنُ الحارث : أحدُ بني عمرو بن عامر من بني كنانة وخمسة نفر .

[خداش يسجل هذه الموقعة]

وقال خداش بن زهير ، في ذلك : [من البسيط]

لقد بَلَوْكُمْ فأَبلَوْكم بلاءهمُ يوم الحُرَيرة ضرباً غيرَ تكذيبِ
إن تُوعدوني فإنّي لابْنُ عمّكمُ وقد أُصابوكُمُ منه بشُؤْبوبِ[3]
وإن ورقاءَ قد أَردى أَبا كنَفٍ وابنَيْ إياسٍ وعمراً وابنَ أيّوبِ
وإنّ عثمانَ قد أردى ثمانيةً منكم وأنتم على خُبْرٍ وتجريبِ

[يتحدث عن مقتل والد خداش]

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجلّ ، والرجلان يلقيان الرجلين ، فيقتل بعضُهم بعضاً . فلقي ابن مَحْمِيَةَ بن عبد الله الديلي زهيرَ بن ربيعة أبا خداش ، فقال زهير : إنّي حَرامٌ جئت معتمراً ، فقال له : ما تُلقى طِوالَ الدّهر إلاّ قلتَ : أنا معتمر ، ثم قتله ، فقال الشويعر الليثيّ ، واسمه ربيعةُ بن عَلَس : [من الوافر]

---

1 شره متظاهر : هجومه قوي .
2 الحريرة : الأرض ذات حجارة سود كأنّها أحرقت .
3 الشؤبوب : الدفعة من المطر وهنا الدماء .

تركنا ثاويـاً يزقو صداهُ زهيراً بالعوالي والصّفاحِ[1]
أُتيح له ابنُ مَحميَةَ بنِ عبدٍ فأعجلـه التسوُّم بالبطاحِ[2]

[صلح لا يتمّ]

ثم تداعَوْا إلى الصلح على أن يَدِي مَنْ عليه فضلٌ في القتلى ، الفضلَ إلى أهله ، فأبى ذلك وَهْب بن مُعتّب ، وخالـف قومـه ، واندسّ إلى هوازن ، حتى أغارت على بني كنانة ، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة ، عليهم سلمةُ بن سُعْدى البكائيّ ، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبي ظَبْيان الهلاليّ ، وبنو نصر بن معاوية ، عليهم مالكُ بن عوف ، وهـو يومئـذٍ أمْرَدُ ، فأغاروا على بني ليث بن بكر بصحراء الغميم ، فكانت لبني ليث أوّل النّهـار ، فقتلوا عبيد بن عوف البكائيّ ، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمّل الجسريّ حليف بني عامر ، ثـم كانت على بني ليْث آخرَ النهار ، فانهزموا ، واستحر القتل في بني الملوِّح بن يعمُرَ بـن ليث ، وأصابـوا نعمـاً ونساءً حينئذٍ ، فكان ممّن قُتِل في حروب الفِجار من قريشٍ العوّامُ بنُ خويلـد ، قتله مُرّةُ بن مُعتِّب ، وقُتل حزام بن خويلد ، وأحيحةُ بن أبي أُحَيْحَةَ ، ومعمر بن حبيب الجُمَحيّ ، وجُرِح حرب بن أميّة ، وقُتل من قيس الصِّمّة أبو دريد بن الصمَّة ، قتله جعفر بن الأحنف .

[صلح يتمّ برهائن]

ثم تراضَوا بأن يعدُّوا القتلى ، فيَدُوا مَن فضل ، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة ، فاجتمعت القبائل على الصلح ، وتعاقدوا ألاّ يعرضَ بعْضُهم لبعض ، فرهن حربُ بن أُميّة ابنه أبا سفيانَ بنَ حرب ، ورهن الحارثُ بن كَلَدةَ العبديّ ابنَه النضْرَ ، ورهن سفيانُ بن عوف أحدُ بني الحارث بن عبد مناة ابنَه الحارث ، حتى وُديت الفضولُ ، ويقال : إنّ عتبةَ بن ربيعةَ تقدم يومئذٍ ، فقال : يا معشر قريش ، هلمُّوا إلى صلة الأرحام ، والصلح ، قالوا : وما صلحكم هنا ، فإنّا موتورون ؟ فقال : عَلى أن نَدِيَ قتلاكم ، ونتصدق عليكم بقتلانا فرضُوا بذلك ، وساد عتبة مذ يومئذٍ ، قال : فلمّا رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا في العفو ، فأطلقوهم .

[النبيُّ يشهد الفجار]

قال أبو عبيدة : ولم يشهد الفِجار من بني هاشم غيرُ الزُّبير بنِ عبد المطلب ، وشهد النبيّ ﷺ وآلِه سائـرَ الأيّـام إلاّ يومَ نخلة ، وكان ينـاول عمّـه وأهلـه النّبلَ ، قال :

---

1 يزقو : يصوت . الصدى : طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل . الصفاح : السيوف .
2 التسوم : الإغارة ، أو سوق الخيل المسومة .

وشهدها ﷺ وهو ابن عشرين سنة ، وطَعَن النبيّ ﷺ وآلِه أبا بَراء مُلاعِبَ الأسنّة ، وسئل صلّى الله عليه وآلِه عن مشهده يومئذٍ ، فقال : ما سرَّني أنّي لم أشهده ، إنّهم تعدَّوْا على قومي ، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرَّاضَ صاحبهم ، فأبوا .

[عدد القتلى]

قال : وكان الفضل عشرين قتيلاً من هوازن ، فوداهم حرب بن أُميّة فيما تروي قريش ، وبنو كنانة تزعم أنّ القتلى الفاضِلين قتلاهم ، وأنّهم هم وَدَوْهم .

[أعمام النبي يشهدون هذه الموقعة]

وزعم قوم من قريش أنّ أبا طالبٍ وحمزةَ والعبّاسَ بني عبد المطّلب ، عليهما السلام ، شهدوا هذه الحروب ، ولم يردَّ ذلك أهلُ العِلم بأخبار العرب .

[سبيعة تجير بعلها]

قال أبو عبيدة : ولمّا انهزمت قيس خرج مسعود بن مُعتّب لا يُعرّجِ على شيء حتى أتى سُبَيْعةَ بنتَ عبد شمس زوجته ، فجعل أنفَه بين ثدييها ، وقال : أنا بالله وبك ، فقالت : كلا ، زعمت أنّك ستملأ بيتي من أسرى قومي ، اجلس فأنت آمن .

[عود إلى الصوت وبقيته]

وقالت أُميمة بنت عبد شمس ترثي ابن أخيها أبا سفيان بن أُميّة ومَن قُتِل من قومها ، والأبيات التي فيها الغناء منها : [من الهزج]

أبى لَيلُكَ لا يذهبْ ونيط الطَّرفُ بالكوكبْ
ونجم دونه الأهْوا لُ بين الدَّلو والعقربْ
وهذا الصبحُ لا يأتي ولا يدنو ولا يقربْ
بعَقرِ عشيرةٍ منّا كرام الخِيم والمنصِبْ[1]
أحالَ عليهمُ دهرٌ حديدُ النّابِ والمِخلبْ
فحلَّ بهم وقد أمِنوا ولم يُقْصِرْ ولم يَشْطُبْ[2]
وما عَنْهُ إذا ما حـ ـلّ من مَنجًى ولا مَهربْ
ألا يا عينُ فابكِيهم بدمعٍ منك مستغرِبْ[3]

---

1 الخيم : الخصال والطباع .
2 يشطب : من شطب عن الشيء بمعنى عدل عنه .
3 مستغرب : غزير .

فإن أبكِ فهم عِزّي وهم ركني وهم مَنكِبْ
وهم أصلي وهم فرعي وهم نسبي إذا أُنْسَبْ
وهم مجدي وهم شرفي وهم حِصني إذا أَرْهَبْ
وهم رُمحي وهم تُرسي وهم سيفي إذا أغضبْ
فكم من قائلٍ منهم إذا ما قال لم يكذِبْ
وكم من ناطقٍ فيهم خطيبٍ مِصقَعٍ مُعْرِبْ
وكم من فارسٍ فيهم كميٍّ مُعْلَمٍ مِحْرَبْ[1]
وكم من مِدرَهٍ فيهم أريبٍ حُوَّلٍ قُلَّبْ[2]
وكم من جَحفلٍ فيهم عظيمِ النّارِ والموكِبْ
وكم من خِضْرِمٍ فيهم نجيبٍ ماجدٍ مُنجِبْ[3]

صوت

[من الطويل]

أُحِبُّ هبوطَ الواديَين وإنّني لمشتهِرٌ بالواديَين غريبُ
أحقّاً عبادَ الله أنْ لستُ خارجاً ولا والجاً إلاّ عليّ رقيبُ
ولا زائراً فرداً ولا في جماعة من النّاس إلاّ قيل : أنت مُريبُ
وهل ريبةٌ في أن تحِنَّ نَجيبةٌ إلى إلفها أو أن يَحِنّ نَجيبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيبانيّ في أشعار بني جعدة ، وذكره أبو الحسن المدائنيّ في أخبار رواها لمالك بن الصَّمصامة الجَعْديّ ، ومن النّاس مَن يرويه لابن الدُّمينة ويدخله في قصيدته التي على هذه القافية ، والرويّ والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو .

1 المعلم من الفرسان : مَن يتّخذ لنفسه في الحرب علامة تميّزه . المحرب : الخبير المطّلع بأمور الحرب .
2 المدره : خطيب القوم ، أو سيّدهم .
3 الخضرم : السيد الجواد . المنجب : مَن ينجب أولاده .

[464] ـ أخبار مالك ونسبه

[نسبه]

هو مالك بن الصَّمصامة بن سعد بن مالك : أحد بني جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر بدويّ مُقِلّ .

[يحول أخو جنوب دون حبّها]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعيّ ومحمد بن خلف بن المرزبان ، قالا : أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنيّ ، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبي عمرو الشيبانيّ ، قالوا : كان مالك بن الصَّمصامة الجعديُّ فارساً شجاعاً جواداً جميل الوجه ، وكان يَهوى جنوبَ بنت مِحصَن الجعديَّة ، وكان أخوها الأصبغ بن مِحصَن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم ، فنَمى إليه نُبَذٌ من خبر مالك ، فآلى يميناً جزْماً : لئن بلغه أنّه عَرَضَ لها أوْ زارها ليقتلنه ، ولئن بلغه أنّه ذكرها في شعر أو عرّض بها ليأسرنه ، ولا يطلقُه إلاّ أن يجُزَّ ناصيته في نادي قومه ، فبلغ ذلك مالكَ ابنَ الصَّمصامة ، فقال : [من الطويل]

إذا شئتَ فاقرِنّي إلى جَنْب عيهب ... أجبٌّ ونِضوي للقلوص جنيبُ[1]

فما الحلْق بعد الأسر شرٌّ بَقِيّةً ... من الصَّدِّ والهِجرانِ وهي قريبُ

ألا أيّها الساقي الذي بلّ دَلوَه ... بقُربان يَسْقي هل عليك رقيبُ[2]

إذا أنتَ لم تشربْ بقُريان شربةً ... وحانيةِ الجدران ظَلْتَ تَلوبُ[3]

أحبّ هبوطَ الواديين وإنّني ... لمشتهر بالواديين غريبُ

أحقّاً عِبادَ الله أنْ لستُ خارجاً ... ولا والجا إلاّ عليَّ رقيبُ !

ولا زائراً وحدي ولا في جماعةٍ ... من النّاس إلاّ قيل : أنتَ مُريبُ

1 العيهب : الكساء من الصوف . أجبٌّ : مقطوع . النضو : الثوب الخلق .

2 قربان : موضع .

3 تلوب ، من لاب : دار حول الماء وهو لا يستطيع الوصول إليه .

وهــل ريبــة في أن تَحِنَّ نجيبةٌ إلى إلفهــا أو أن يحِــنَّ نجيبُ

[يراها فلا يستطيع مخاطبتها]

وقال أبو عمرو خاصة : حدَّثنا فتيان من بني جعدة أنّها أقبلت ذات يوم ، وهو جالس في مجلس فيه أخوها ، فلمّا رآها عرفها ، ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها ، فأغمي عليه ، وفطِن أخوها لما به ، فتغافل عنه ، وأسنده بعضُ فِتيان العشيرة إلى صدره ، فما تحرّك ، ولا أحار جواباً ساعة من نهاره ، وانصرف أخوها كالخجِل ، فلمّا أفاق قال : [من الطويل]

أَلَمَّتْ فما حيّت وعاجتْ فأسرعت إلى جرعــة بين المخارمِ فالنّحرِ[1]

خليليَّ قــد حانَتْ وفاتيَ فاحفِرا برابيــةٍ بــين المخافــر والبُترِ

لكيما تقــول العبدليّــةُ كلّما رأت جدثي : سُقِّيت يا قبرُ من قبرِ

[جنوب ترعى عهده]

وقال المدائنيّ في خبره : انتجع أهل بيت جنوب ناحية حِسْيٍ والحِمى ، وقد أصابها الغيث ، فأمرعت ، فلمّا أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصَّمصامة ، حتى إذا بلغته جَنُوبُ أخذ بِخطام بعيرها ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

أَريْتُــكِ إن أُزمعتــمُ اليوم نِيَّــةً وغالكِ مُصطافُ الحِمى ومرابعُهُ[2]

أَترعَيْن ما استُودِعْتِ أم أنتِ كالذي إذا مــا نأى هانت عليــه ودَائعُهُ

فبكت ، وقالت : بل أرعى والله ما استودِعْت ، ولا أكونُ كمَن هانت عليه ودائعه ، فأرسل بعيرها ، وبكى ، حتى سقط مغشيّاً عليه ، وهي واقفة ، ثم أفاق ، وقام ، فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

ألا إنَّ حِسْياً دونــه قُلَّةُ الحِمى مُنى النفس لو كانت تُنال شرائعهُ[3]

وكيف ومِن دونِ الورودِ عوائقٌ وأَصبغُ حامي مــا أُحِبُّ ومانعُهُ[4]

فــلا أنــا فيما صدَّني عنه طامعٌ ولا أَرتجي وصلَ الذي هو قاطعُهُ

---

1 عاجت : رجعت . الجرعة : الأرض ذات الحزونة . المخارم والنحر : مكانان .

2 نيّة : رحلة وبعداً . غالك : أخفاك عنّي .

3 قلّة كل شيء : أعلاه . شرائع : جمع شريعة ، وهي مورد الماء كالغدير ونحوه .

4 يريد الأصبغ أخا جنوب .

صوت

[من البسيط]

يــا دارَ هنْدٍ عفاهــا كلُّ هطّالِ ... بالخَبتِ مثلُ سحيقِ اليَمْنَةَ البالي[1]

أربَّ فيهــا وليٌّ مــا يغَيِّرها ... والريحُ ممّــا تعفّيهــا بأذيالِ

دارٌ وقفتُ بهــا صَحبي أُسائلها ... والدمع قد بلَّ منّي جَيْبَ سِرْبالي

شوقاً إلى الحــيِّ أيّامَ الجميعُ بها ... وكيف يطربُ أو يشتاق أمثالي ؟

قوله . أَرَبَّ فيها أيّ أقام فيها وثبت ، والوليّ : الثاني من أمطار السنة ، أوّلها الوسْميّ ، والثاني الوليّ ، ويروى :

جرت عليها رياح الصيف فاطَّرقت

واطَّرَقَتْ : تلبدت .

الشعر لعَبِيد بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن جامع رَمَل بالوسطى ، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولَحنُ إبراهيم إليه .

---

1 عفاها : محاها . الخبت : مكان . اليمنة : برد مخصوص يرد من اليمن .

[465] ـ أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه[1]

[اسمه ونسبه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : هو عَبيدُ بن الأبرص بن حَنْتَمِ بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر . شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية ، وجعله ابن سلام في الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرَن به طَرَفَة وعلقمة بن عَبَدة وعديَّ بنَ زيد .

[شاعر ضائع الشعر]

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سَلاَّم ، قال : عبيدُ بن الأبرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشِعره مضطرب ذاهب لا أعرف له إلاّ قوله في كلمته :

أَقْفَرَ مِــن أَهْلِــهِ مَلْحُوبُ

ولا أدري ما بعد ذلك .

[يتّهم بأخته]

أخبرنا عبد الله بن مالك النحويّ الضرير ، قال : حدَّثنا محمد بن حبيبَ ، عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ ، قالا : كان من حديث عبيد بن الأبرص أنّه كان رجلاً محتاجاً ، ولم يكن له مال ، فأقبل ذات يوم ومعه غُنَيْمة له ، ومعه أخته ماويّة ؛ ليوردا غنمهما الماءَ ، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبَهه[2] ، فانطلق حزيناً مهموماً للذي صنع به المالكيّ ، حتى أتى شجراتٍ فاستظلّ تحتهنّ ، فنام هو وأخته ، فزعموا أنّ المالكي نظر إليه وأُختُه إلى جنبه ، فقال : [من الرجز]

ذاك عبيدٌ قد أصاب مَيّا ... يــا ليتَــه ألقحها صبيّا

فحملت فوضعت ضاويّا[3]

---

1 انظر ترجمته في مقدمة ديوانه 5–16 وفي الشعر والشعراء 1 : 267–269 والأمالي 3 : 195–196 وأمثال العسكري 93 ومختارات ابن الشجري 2 : 33–35 والخزانة 1 : 321–324 و4 : 164–165 والبلدان 6 : 282–286 والاقتضاب 348 وشعراء الجاهلية 596–615 .

2 جبهه : صك جبهته ، أو قابله بما لا يحبّ .

3 ضاوياً : مهزولاً نحيفاً .

فسمعه عَبيد ، فرفع يديه ، ثم ابتهل ، فقال : اللهمّ إن كان فلان ظلمني ، ورماني بالبهتان فأَدِلْني منه ، أي اجعل لي منه دَوْلَة ، وانصُرني عليه ، ووضع رأسه فنام ، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر .

[يهبط عليه الشعر من السماء في النوم]

فذُكِر أنّه أتاه آت في المنام بكُبَّة[1] من شَعْر ، حتى ألقاها في فيه ، ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز : يعني بني مالك ؛ وكان يقال لهم بنو الزّنْية يقول : [من الرجز]

أيــا بني الزّنية مــا غرّكُمُ   فلكمُ الويلُ بسربال حَجَرْ

ثم استمرَّ بعد ذلك في الشعر ، وكان شاعرَ بني أسد غير مدافَع .

[بينه وبين امرىء القيس]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيٌّ ، قال : حدَّثنا أبو غسان دَماذ ، عن أبي عبيدة ، قال : اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حُجْرَ بن عمرو والدَ امرىء القيس إلى امرىء القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه ؛ أو يُقِيدوه من أيّ رجل شاء من بني أسد ، أو يُمهلَهم حولاً ؛ فقال : أما الدية فما ظننت أنّكم تعرضونها على مِثْلي ، وأما القَودُ فلو قِيد إليَّ ألفٌ من بني أسد ما رَضيتُهم ؛ ولا رأيتهم كفوًا لِحُجْر ، وأمّا النَّظِرة[2] فلكم ، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان ، أحكّم فيكم ظُبا السيوف وشَبا الأسنَّة ، حتى أشفيَ نفسي ، وأنالَ ثأري ، فقال عبيدُ بنُ الأبرص في ذلك[3] : [من مجزوء الكامل]

صوت

يــا ذا المخوِّفُنــا بقتــ   ــلِ أبيــه إذلالا وحَيْنا[4]
أزعمــتَ أنّك قــد قَتَــ   ـلْتَ سَراتنا كذباً ومَيْنا ؟
هــلاَّ على حُجْــرِ ابن أُمْـ   ـمِ قطامٍ تبكــي لا علينا[5]
إنّــا إذا عَــضَّ الثِّقــا   فُ برأس صَعْدتِنا لَوَيْنا[6]

---

1 الكبّة : مجموعة من الخيوط ونحوها على شكل كرة .
2 النَّظِرة : المهلة .
3 ديوانه : 141 .
4 الحين : الهلاك .
5 حجر ابن أم قطام : هو أبو امرىء القيس .
6 الثقاف : آلة تعدل بها الرماح المعوجة . الصعدة : الرمح .

نحمـي حقيقتنـا وبعـ ـضُ النّاس يسقط بين بينا[1]
هلاّ سألتَ جمـوع كِنـ ـدةَ يوم ولَّـوْا أين أينا ؟

الغناء لحنين رمل في مجرى الوسطى مطلق عن الهشاميّ ، وفيه ليَحيى المكّيّ خفيف ثقيل : قال : وتمام هذا الأبيات :

أيّـامَ نضربُ هامَهـم ببواتـرٍ حتـى انحنينا
وجمـوعَ غسّانَ الملـو ك أتينَهم وقـد انطوَيْنا
لُحُقـاً أيـا طِلُهـنّ قـد عالجـن أسفـاراً وأينا[2]

والأياطل : الخواصر أي هنّ ضوامرها ؟

نحن الأُولى فاجمع جمو عَـك ثـم وجِّههم إلينا[3]
واعلـمْ بـأنَّ جيادَنـا آلَيْـنَ لا يقضِـين دينا
ولقـد أبحْنـا مـا حَميـ ـتَ ولا مُبيحَ لما حَمينا
هذا ولـو قَـدَرَتْ عليـ ـكَ رماحُ قومي ما انتهينا
حتـى تنـوشَكَ نَوْشَةً عاداتِهـنَّ إذا انتـوَيْنا[4]
نُغْـلي السِّباءَ بكـلِّ عـا تقةٍ شمولٍ مـا صحَوْنا[5]
ونُهِـينُ في لذّاتنـا عُظْمَ التّلادِ إذا انتشينا
لا يبلُـغ البـاني ولـو رفـعَ الدّعائـمَ ما بَنَيْنا
كم مـن رئيسٍ قـد قَتلـ ـناهُ وضَيـمٍ قـدْ أبينا
ولـربَّ سَيِّـدِ معشرٍ ضخمِ الدّسيعة قد رمينا[6]
عِقْبانُـه بظلالِ عِقـ ـبانٍ تُتَمِّمُ مـا نوينا
حتـى تركنـا شِلـوَه جَزَرَ السِّباعِ وقد مضينا[7]

1 الحقيقة : ما ينبغي حمايته من حريم ووطن ومال وغير ذلك .
2 الأين : التعب والمشقة .
3 فاجمع جموعك في الديوان 142 جمّع جموعاً .
4 تنوشك : تتناولك .
5 العاتقة الشمول : الخمر المعتقة .
6 الدسيعة : الجفنة الكبيرة ، أو المائدة الكريمة ، أو العطية الجزيلة ، أو القوة العارمة .
7 الشّلو : بقية اللحم ونحوه . جزر السّباع : ما تأكله السباع من اللحم .

إنّا لعُمرك ما يُضا ... مُ حليفُنا أبداً لدينا
وأوانِس مثلِ الدُّمى ... حُورِ العيون قد استبينا

[الشعر على ألسنة الأفاعي]

وقرأت في بعض الكتب ، عن ابن الكلبيّ ، عن أبيه ، وهو خبر مصنوع ؛ يتبين التوليد فيه : أنَّ عبيدَ بن الأبرص سافر في ركب من بني أسد ، فبينا هم يسيرون إذا هم بشجاعٍ يَتَمعَّك[1] على الرمضاء فاتحاً فاه من العطش ، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها ، فنزل فسقاه الشجاعَ عن آخره حتى رَوِيَ وانتَعَشَ ، فانساب في الرمل ، فلمّا كان من الليل ، ونام القوم ندّت رواحلهم ، فلم يُرَ لشيءٍ منها أثَر ، فقام كل واحد يطلب راحلته ، فتفرّقوا ، فبينا عبيد كذلك ؛ وقد أيقن بالهَلَكة والموت إذا هو بهاتف يهتف به : [من الرجز]

يا أيُّها الساري المضِلُّ مذهبُهْ ... دونكَ هذا البَكرَ منّا فاركبُهْ
وبكْرُكَ الشارد أيضاً فاجنبُه ... حتى إذا الليلُ تَجَلّى غيهبُهْ
فَحُطّ عنه رحلَه وسَيِّبُه

فقال له عبيد : يا هذا المخاطِبُ ، نشدتُك الله إلاَّ أخبرتني : مَن أنت ؟ فأنشأ يقول : [من البسيط]

أنا الشّجاع الذي ألفيْتَه رَمِضاً ... في قفرةٍ بين أحجارٍ وأعقادِ[2]
فَجُدْتَ بالماء لما ضَنَّ حاملُه ... وزِدتَ فيه ولم تبخلْ بإنكادِ
الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به ... والشرُّ أخبثُ ما أوْعيتَ من زادِ[3]

فركب البكرَ وجنَب بكرَه ، وسار فبلغ أهله مع الصبح ، فنزل عنه ، وحلّ رحله ، وخلاّه ، فغاب عن عينه ، وجاء من سلِمَ من القوم بعد ثلاث .

[يومان للمنذر بن ماء السماء]

أخبرني محمد بن عمران المؤدّب وعمِّي ، قالا : حدّثنا محمد بن عبيد : قال : حدَّثني محمد بن يزيد بن زياد الكلبيّ ، عن الشرقي بن القطامي : قال : كان المنذرُ بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بني أسد ، أحدهما خالد بن المضلّل ، والآخر عمرو بن مسعود بن كَلَدة ، فأغضباه في بعض المنطق ، فأمر بأن يُحفر لكلّ واحد حَفيرةٌ بظَهر الحِيرة ، ثم يجعلا في تابوتين ، ويدفنا في الحفرتين ، فَفُعِلَ ذلك بهما ، حتى إذا أصبح سأل عنهما ،

1 يتمعّك : يتمرّغ في التراب ، ويتقلب عليه .
2 الشجاع : الثعبان . رمضاً : حار الجوف من شدّة العطش .
3 أوعيت : حملت في وعائك .

فأُخبِر بهلاكهما ، فندِم على ذلك ، وغَمَّه ، وفي عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل الأسديين يقول شاعر بني أسد : [من الكامل]

يا قبرُ بينَ بيوتِ آل محرّقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ
أمّا البكاءُ فقلّ عنك كثيرُه ولئن بُكِيتَ فَلَلْبُكاء خَليقُ

ثم ركب المنذر ، حتى نظر إليهما ، فأمر ببناء الغَرِيّيْن[1] عليهما ، فبُنِيا عليهما ، وجعل لنفسه يومين في السنة يجلس فيهما عند الغَرِيَّيْن ، يُسمّى أحدهما يوم نعيم ، والآخر يوم بؤس ، فأوّلُ مَن يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الإبل شُوما[2] أي : سودا ، وأوّل مَن يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبانٍ[3] أسود ، ثمّ يأمرُ به ، فيذبح ويغرّى بدمه الغريان ، فلبث بذلك برهة من دهره .

[يقتل في يوم بؤس المنذر]

ثم إنَّ عبيدَ بنَ الأبرص كان أوّل من أُشرف عليه في يوم بؤسه ، فقال : هلا كان الذبح لغيركَ يا عَبيد ؟ فقال : أتَتْك بحائنٍ[4] رجلاه[5] ، فأرسلها مثلاً ، فقال له المنذر : أو أجَلٌ بلغ إناه ، فقال له المنذر : أنشدني ، فقد كان شعرك يعجبني ، فقال عبيد : حال الجريض[6] دون القريض ، وبلغ الحِزام الطُّبيين[7] . فأرسلها مثلاً ، فقال له النُّعمان : أُسمعني ، فقال : المنايا على الحوايا[8] ، فأرسلَها مثلاً ، فقال له آخر : ما أشدَّ جزعَك من الموت ، فقال : لا يرحلُ رَحْلَك

---

1 الغريان : بناءان أقامهما المنذر على نديميه اللذين قتلهما .
2 شوما : لعلّه جمع أشيم أو شيماء بمعنى في جسمها شامة .
3 الظربان : حيوان أصلم الأذنين ، طويل الخطم ، قصير القوائم ، منتن الرائحة .
4 الحائن : الهالك .
5 مثل ورد في مجمع الأمثال 21/1 ، 360 و206/2 والجمهرة للعسكري 10/1 ، 119–120 والأمثال للقاسم بن سلام 328 ، والمستقصى للزمخشري 37/1 .
6 الجريض : الغصة . مثل ورد في كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبّيّ 250 ومجمع الأمثال للميداني 191/1 ، 204 والجمهرة للعسكري 341/1 ، 359 والمستقصى للزمخشري 55/2 وفصل المقال 44 والأمثال للقاسم بن سلام 319 ، 341 .
7 الطبيان : تثنية طبي ، وهو حلمة الضرع أو الضرع كلّه ، وهو مثل يضرب للأمر تجاوز حدّه ، ورد في الجمهرة للعسكري 220/1 ، 360 و25/2 ، وفي المستقصى 13/2 ومجمع الأمثال للميداني 42 وورد جاوز الحزام الطبيين في مجمع الأمثال 166/1 و124/2 .
8 الحوايا : ما استوى عليه بطن الإنسان والحيوان وهو مثل وفي الجمهرة 197/1 و308 وفي غيرها وورد بصيغة : البلايا على الحوايا ، والمنايا على السوايا ويروى على الحوايا : مجمع الأمثال 303/2 والجمهرة للعسكري 359/1 و226/2 ، 275 والمستقصى 350/1 والأمثال لأبي القاسم بن سلام 341 .

مَنْ ليس معك[1] فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر : قد أَمْلَلْتني ، فأرحني قبل أن آمر بك ، فقال عبيد : من عَزَّ بَزَّ[2] فأرسلها مثلاً ، فقال المنذر : أنشدني قولك :

أقفرَ مِـن أهله مَلحوبُ

فقال عبيد : [من السريع]

صوت

أقفرَ مـن أهلِهِ عَبِيدُ | فليس يُبدِي ولا يُعِيدُ
عَنتْ لـه عَنَّـةٌ نكُودٌ | وحان منها لـه ورودُ

فقال له المنذر : يا عبيد ، ويحك ، أنشدني قبل أن أذبحك ، فقال عبيد : [من السريع]

والله إن مِـتُّ لمـا ضرّني | وإن أعشْ ما عشتُ في واحدَهْ

فقال المنذر : إنّه لا بدّ من الموت ، ولو أنّ النُّعمان عرض لي في يوم بؤس لذبحته ، فاختر إن شئتَ الأكحلَ[3] ، وإن شئتَ الأبجلَ[4] ، وإن شئتَ الوريدَ[5] ، فقال عبيد : ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شَرُّ ورَّاد ، وحاديهـا شرُّ حاد ، ومعادها شرُّ معاد ، ولا خير فيه لمرتـاد ، وإن كنت لا محالة قاتلي فاسقني الخمر ، حتى إذا ماتت مفاصلي ، وذهلت لها ذواهلي فشأنَك وما تريد ، فأمر المنذر بحاجته من الخمر ، حتى إذا أُخذت منه ، وطابت نفسه ، دعا به المنذر ، ليقتله ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول : [من الطويل]

وخيَّرني ذُو البؤس في يـوم بؤسه | خِصالاً أُرى في كلها الموتَ قد بَرَقْ
كما خُيِّرت عـادٌ من الدَّهْرِ مَرّةً | سحائبَ ما فيها لذي خِيرة أَنَقْ[6]
سحائـب ريح لم تُوكَّـل ببلـدةٍ | فتتركهـا إلاّ كما ليلـةِ الطَّلَقْ[7]

فأمر به المنذر ، فَفُصِد ، فلمّا مات غُرِّي بدمه الغَرِيَّان .

---

1 مثل : ويروى «مَن لا يرحّل رحلك» . ورد في مجمع الأمثال 237/2 والجمهرة للعسكري 360/1 و376/2 ، 396 ، والمستقصى 269/2 .

2 مثل : ورد في مجمع الأمثال 307/2 والجمهرة 226/2 ، 257 ، 288 ، 360 والمستقصى 357/2 والأمثال للمفضل بن محمد الضبّيّ 124 وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة الضبّيّ 89 .

3 الأكحل : وريد في وسط الذراع .

4 الأبجل : عرق في الرجل ، أو في اليد بإزاء الأكحل .

5 الوريد : عرق في العنق .

6 الأنق : الحسن الرائع .

7 الطلق : البعد .

[طائيّ يفِد على المنذر في يوم بؤسه]

فلم يزل كذلك حتى مرَّ به رجل من طيّىء ، يقال له : حنظلةُ بن أَبي عفراء ، أو ابن أَبي عُفْر ، فقال له : أبيت اللعن ، والله ما أتيتك زائراً ، ولأَهْلي من خيرك مائرا[1] فلا تكن ميرتَهم قتلي ، فقال : لا بدّ من ذلك فاسأل حاجة أقضينَّها لك ، فقال : تؤجّلُني سنة أرجع فيها إلى أهلي ، وأُحكِم من أمرهم ما أُريد ، ثم أصيرُ إليك ، فأنفِذْ فيَّ حكمَك ، فقال : ومَن يكفُلُ بك حتى تعود ؟ فنظر في وجوه جلسائه ، فعرف منهم شرِيكَ بن عمرو : أبا الحَوْفزانِ بن شريك ، فأنشد يقول : [من مجزوء الرمل]

يا شريكٌ يا ابنَ عمرٍو ما مــن الموتِ مَحالَهْ
يا شريكٌ يا ابنَ عمرو يــا أَخا مــن لا أَخالَهْ
يا أَخا شَيْبان فُـكَّ اليـ ـــوم رهنـاً قــد أَنالَهْ
يا أَخــا كلِّ مُضــافٍ وحيــا مَــنْ لا حَيا لَهْ
إنَّ شَيْبـــانَ قبيـــلٌ أَكـــرمَ اللهُ رجـــالَهْ
وأَبــوك الخيرُ عمـــرٌو وشراحيـــلُ الحَمـــالَهْ
رَقيَّاك اليـــوم في المجـــ ـــدِ وفي حُسنِ المقـالَهْ

[شريك بن عمرو يضمن الطائيّ]

فوثب شريك ، وقال : أَبيت اللعن ، يدي بيده ، ودمي بدمه إن لم يعد إلى أَجله ، فأطلقه المنذر ، فلمّا كان من القابل جلس في مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يأتيه ، فأبطأ عليه ، فأمر بشريك ، فقُرِّب ، ليقتله .

[الطائيّ يفي بعهده]

فلم يشعر إلاّ براكب قد طلع عليهم ، فتأمّلوه ، فإذا هو حَنْظلة قد أقبل متكفِّنا متحنِّطا معه نادِبتُه تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه ، فلمّا رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما ، وأبطل تلك السُّنَّة .

[رواية أُخرى لقصّة مصرع عبيد]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثني عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثنا عليّ بن الصباح ، عن هشام بـن الكلبيّ ، قـال : كان مـن حديث عبيد بن الأبرص وقتله أنَّ المنذرَ بن ماء المساء بنى الغريّـين ، فقيل له : ما تريد إليهما ؟ وكان بناهما على قبري رجلين من بني أَسد كانا

---

1 مائراً : طالباً الميرة : القوت .

نديميه ، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسيّ ، والآخر عمرو بن مَسْعود ، فقال : ما أنا بملك إن خالف النّاس أمري ، لا يَمُرَّنَّ أحد من وفود العرب إلاّ بينهما ، وكان له يومان في السنة يوم يسمِّيه يوم النعيم ، ويوم يسمِّيه يوم البؤس ، فإذا كان في يوم نعيمه أُتي بأوّل مَن يطلع عليه ، فحياه ، وكساه ، ونادمه يومه ، وحمله ، فإذا كان يوم بؤسه أُتي بأوّل مَن يطلع عليه ، فأعطاه رأس ظَرِبانٍ أسودَ ، ثم أمر به فذبح وغُرِّيَ بدمه الغَرِيَّان ، فبينا هو جالس في يوم بؤسه إذ أشرف عليه عَبيدٌ ، فقال لرجل كان معه : من هذا الشقيّ ؟ فقال له : هذا عبيدُ بن الأبرص الأسَديّ الشاعر ، فأُتيَ به فقال له الرجل الذي كان معه : اتركه ، أبيتَ اللعن ، فإنِّي أظنّ أنّ عنده من حُسن القريض أفضلَ ممّا تدرك في قتله فاسمعْ منه ، فإن سمعت حسناً استزدته ، وإن لم يعجبك فما أقدرَك على قتله . فإذا نَزَلْتَ فادعُ به ، قال : فنزل ، وطعم وشرب ، وبينه وبين النّاس حجابُ سترٍ يراهم منه ولا يرونه ، فدعا بعبيد من وراء الستر ، فقال له رَدِيفُه[1] : هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد ! فقال : أَتَتْك بحائن رجلاه[2] ، فأرسلها مثلاً ، فقال : ما ترى يا عبيد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . فقال : فهل قلتَ شيئاً ؟ فقال : حال الجريض دون القريض[3] ، فقال : أنشدني :

أقفرَ مــن أهلِه مَلحوب

فقال : [من السريع]

أَقْفَرَ مــن أهلِــهِ عبيدُ فليس يُبدي ولا يعيدُ
عنَّت لــه خُطَّةٌ نكودُ وحان منها لــه ورودُ

فقال أنشدْنا : [من المتقارب]

هِيَ الخمرُ تُكنى بأُمِّ الطِّلَى كما الذئبُ يكنى أَبا جَعْدَه[4]

وأبى أن ينشدهم شيئاً ممّا أرادوا ، فأُمِر به ، فقتل .

[خبر نديمي المنذر]

فأمّا خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلّل ومقتلهما فإنّهما كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء ، فيما ذكره خالدُ بن كلثوم ، فراجعاه بعض القول على سُكْرِه ، فغضب ، فأمر بقتلهما ، وقيل : بل دفنهما حيَّين ، فلمّا أصبح سأل عنهما ، فأُخبِر خبَرَهما فندِم على

1 الرديف : نديم السلطان الذي يشاربه .
2 راجع الحاشية رقم 5 ، ص 62 .
3 راجع الحاشية رقم 6 ، ص 62 .
4 الطلى : من أسماء الخمر .

فعله ، فأمر بإبل ، فنُحرت على قبريهما ، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاماً لهما وحزن عليهما ، وبنى الغَرِيَّين فوق قبريهما ، وأمر فيهما بما قدَّمتُ ذكره من أخبارهما ، فقالت نادبةُ الأسديين : [من الطويل]

أَلا بَكَــرَ الناعي بخير بني أَسدْ بعمرٍو بن مسعودٍ وبالسيّد الصَّمَدْ

وقال بعض شعراء بني أَسد يرثي خالد بن المُضَلَّل وعمرو بن مسعود ، وفيه غناء : [من الكامل]

صوت

يا قبرُ بـينَ بيوتِ آل مُحرِّقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ

أَمّا البُكاءُ فقلّ عنك كثيرُهُ ولئــن بُكِيتَ فبالبكاء خليقُ

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى من جامع أغانيه .

وممّا يغنى به أيضاً من شعر عبيد : [من البسيط]

صوت

طاف الخيال علينا ليلةَ الوادي من أُمِّ عمـرو ولم يُلْمِمْ لميعادِ[1]

أنّى اهتديت لِركبٍ طال سيرهمُ في سَبْسَبٍ بين دَكْداكٍ وأَعقادِ[2]

اذهب إليك فإنّي مـن بني أَسد أَهلِ القباب وأَهل الجردِ والنّادي[3]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسْحاقَ ، وفيه ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه لأبي زكار الأعمى ، وذكر حبش أنّه لابن سريج .

وفي هذه القصيدة يقول : يخاطبُ حجر بن الحارث أَبا امرىء القيس ، وكان حُجْرٌ يتوعّده في شيء بلغه عنه ، ثم استصلحه فقال يخاطبه : [من البسيط]

أبلــغ أَبا كَـرِبٍ عنّي وإخوتَه قولاً سيذهب غَـوْراً بعد إنجادِ[4]

---

1 أمّ عمرو في الديوان : 62 . لآل أسماء لم .

2 السبسب : المفازة . الدكداك : ما غلظ من الأرض ، أو فيها رمل متلبّد . أعقاد : أرض شجراء .

3 الجرد : بدل الجود .

4 الغور : ما انخفض من الأرض . والإنجاد : سلوك النجود المرتفعة .

لا أعرفنَّك بعد الموتِ تَندُبني وفي حياتيَ ما زوَّدتَني زادي[1]
إنَّ أمامَكَ يوماً أنتَ مدركُهُ لا حاضرٌ مفلتٌ منه ولا بادي
فانظر إلى ظلّ مُلْكٍ أنْت تاركُهُ هل تُرسِيَنَّ أواخيه بأوتادِ[2]
الخيرُ يبقى وإن طالَ الزمانُ به والشرّ أخبث ما أوعيتَ من زادِ

[عمر يبكي خالد بن الوليد بعد موته]

أخبرنا عيسى بن الحسين ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزاعيّ ، عن المدائنيّ ، عن أبي بكر الهذليّ قال : سمع عمرُ بنُ الخطّابُ نساء بني مخزوم يبكين على خالد بن الوليد ، فبكى ، وقال : لِيقُلْ نساءُ بني مخزوم في أبي سليمان ما شئن ، فإنّهنّ لا يكذبن ، وعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي ، فقال له طلحةُ بنُ عبيد الله ، إنّك وإيّاه لكما قال عبيدُ بنُ الأبرص : [من البسيط]

لا أُلْفِيَنَّك بعدَ الموتِ تندُبني وفي حياتيَ ما زوّدتني زادِي

[كلب في ضيافة كلب]

أخبرني عمّي ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي سعد : قال : حدَّثني محمد بن عبد الله العبديّ ، قال : حدَّثني سيفٌ الكاتبُ ، قال : وَلِيتُ وِلايةً ، فمررتُ بصديق لي في بعض المنازل ، فنزلت به ، قال : فنِلنا من الطعام والشراب ، ثم غلب علينا النبيذُ ، فنِمنا ، فانتبهتُ من نومي ، فإذا أنا بكلب قد دخل على كلب الرجل فجعل يَبشّ به ويسلّم عليه لا أُنكِر من كلامهما شيئاً ، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره ، وقال له : هل عندك شيء تُطْعِمنيه ؟ قال : نعم ، قد بقي لهم في موضع كذا وكذا طعام ، وليس عليه شيء ، فذهبا إليه ، فكأنّي أسمع وُلوغَهما في الإناء حتى أكلا ما كان هناك فيه ، ثم سأله نبيذاً ، فقال : نعم ، لهم نبيذ في إناء آخَر ليس له غطاء ، فذهبا إليه فشربا .

[الكلاب تتغنّى بشعره]

ثم قال له : هل تطربني بشيء ؟ قال : إي وعيشك ، صوت كان أبو يزيد يغنّيه ، فيجيده ، ثم غنّاه في شعر عبيد بن الأبرص .

1 أعرفنك في الديوان : 62 لأعرفنّك .
2 الأواخي : جمع الآخية وهي عروة تربط إلى وتد مدقوق ويشدّ فيها الشيء . والأواخي هنا : الأواصر .

صوت

[من البسيط]

طافَ الخيالُ علينا ليلةَ الوادي ... لآل أسماءَ لم يُلمِمْ لميعادِ

أنَّى اهتديت لركبٍ طال سيرهُم ... في سَبسبٍ بين دَكْداكٍ وأعقادِ

قال : فلم يزل يغنيه هذا الصوت ، ويشربان مليّاً ، حتى فنِيَ ذلك النبيذ ، ثم خرج الكلبُ الداخل ، فَخِفْتُ واللهِ على نفسي أن أذكر ذلك لصاحب المنزل ، فأمسكتُ ، وما أذكر أنّي سمعت أحسن من ذلك الغناء .

ومّما يغنّى فيه من شعره قوله : [من البسيط]

صوت

لمن جِمالٌ قُبيلَ الصّبح مزمُومَه ... ميمّماتٌ بلاداً غيرَ معلومَهْ

فيهنَّ هندٌ وقد هام الفؤاد بها ... بيضاءُ آنسةٌ بالحسن موسومَهْ[1]

الغناء لابن سريج رمل عن يونُس والهشاميّ وحبش .

ومنها قوله : [من الخفيف]

صوت

دَرَّ دَرُّ الشباب والشعرِ الأسـ ... ـود والضّامراتِ تحت الرِّحالِ[2]

فالخناذيذِ كالقداحِ من الشّو ... حط يحملن شِكّةَ الأبطالِ[3]

ليس رسمٌ على الدّفين ببالٍ ... فَلِوى ذرْوةٍ فجنْبَيْ أُثالِ[4]

تلك عِرسي قد عيّرتني خِلالي ... ألِبينٍ تريدُ أم لدلالِ[5]

الغناء لطويس خفيف رمل لا شكّ فيه ، وفيه ثقيل أول ، ذكر علي بن يحيى أنّه لطويس أيضاً ، ووجدته في صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ، وفي الثالث والرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر ، عن عبد الله بن موسى والهشاميّ .

---

1 وقد في الديوان 135 : التي .

2 الضامرات في الديوان 115 : والراتكات ومفردها : راتكة : التي تعد في خطو متقارب .

3 الخناذيذ في الديوان 115 : والغناجيج ، والخناذيذ : جمع خنذيذ : الشجاع البهمة من الفرسان ، والعناجيج : الواحدة عنجوج : الطويل العنق . الشوحط : شجر تتّخذ منه القسي والسهام . والشكة : السّلاح .

4 أُثال : اسم جبل .

5 الشطر الأول في الديوان 113 : تلك عرسي تروم قِدْماً زيالي .

صوت

[من الكامل]

لَمَنِ الدّيارُ كأنّها لم تُحْلَلِ ... بجنوبِ أسنمةٍ فَقُفِّ العُنْصُلِ

درَسَتْ معالُمها فباقي رَسْمِها ... خَلَقٌ كعنوانِ الكتابِ المُحْوِلِ[1]

دارٌ لسُعدى إذ سعادٌ كأنّها ... رشأ غضيضُ الطّرف رَخْصُ المِفْصلِ[2]

عروضه من الكامل ، جنوب أسنمة : أودية معروفة . والقُفّ : الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتدّ . والعنصل : بصل معروف .

الشعرُ لربيعةَ بنِ مَقْرومٍ الضّبّيّ ، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشاميّ .

1 محول : أتت عليه أحوال أي سنون .

2 رخص المفصل : لينة المفاصل .

[466] ـ أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه[1]

[نسبه]

هو ربيعةُ بنُ مقروم الضّبيٍّ بنِ قيس بنِ جابر بن خالد بن عمرِو بن عبد الله بنِ السيِّد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أُدّ بن طابخةَ بن إلياس بن مُضر بن نزار .

شاعِرٌ إسلاميّ مخضرم ، أُدرك الجاهليّة والإسلام ، وكان ممّن أُصفَق[2] عليه كسرى ، ثم عاش في الإسلام زماناً .

[يهجو ضابىء بن الحارث]

قال أُبو عمرو الشيبانيّ : كان ربيعةُ بن مقرومٍ باع عَجْرَدَ بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابرِ بن قَطَنِ بنِ نهشل بن دارم ، لِقْحةً[3] إلى أجل ، فلمّا بايعه وجد ابنُ مقروم ضابىء بن الحارث عند عَجْرد ، وقد نهاه عن إنظاره بالثمن ، فقال ابنُ مقروم يُعرّض بضابىء إنّه أُعان عليه وكان ضِلعَه معه[4] : [من الوافر]

أَعَجْـــرُ ابن المليحــة إنَّ همِّي | إذا مــا لَــجَّ عُــذَّالي لَعــانِ

قوله : لعان أي عان من العناء ، عناني الشيء يَعنِيني ، وهو لي عانٍ .

يَرى مــا لا أُرى ويقول قولاً | وليس على الأُمــورِ بمستعانِ
ويحلِف عنــد صاحبــه لَشاةٌ | أحبُّ إليَّ مــن تلك الثّمانِ
وحامل ضبّ ضِغنٍ لم يَضِرْني | بعيـدٍ قلبُـه حلــوِ اللسانِ[5]
ولــو أنِّــي أشاء نقَمتُ منه | بِشَغْبٍ مــن لسانٍ تَيِّحانِ[6]
ولكنِّي وصلــتُ الحبل منــه | مواصلــة بحبــلِ أبـي بيانِ

1 انظر ترجمته في المفضليات : 180 والاشتقاق 123 والإصابة 2 : 220 والخزانة 3 : 566 .
2 أصفق عليه : أطبق عليه وحبسه في المشقّر .
3 اللقحة : الناقة ذات لبن .
4 ل : لعمر أبي المليحة .
5 الضب : الضغن .
6 الشّنب : الشرّ في الخصام . والتيّحان : من يتعرّض للشداد والمكرمات .

ترفَّع في بنـــي قَطَنٍ وحلّت بيوتَ المجـــدِ يبنيهـــنّ باني

يعني حلَّت بنو قطن بيوتَ المجد .

وضَمرة إن ضمرةَ خيرُ جارٍ إلى قطَـــنٍ بـــأسبابٍ مِتانِ

هجانُ الحيِّ كالذهب المصفّى صبيحةَ ديمـــةٍ يجنيه جانِ[1]

قال أَبو عمرو : الذهبُ في معدنه إذا جاءه المطر ليلاً لاح من غد عند طلوع الشمس فيُتَتَبّع ويُؤْخذ .

[يمدح مخلصه من الأسر]

قال أَبو عمرو : وأُسِرَ ربيعةُ بنُ مقروم واستِيقَ مالُه ، فتخلّصه مسعود بن سالم بن أَبي سلمى بن ذُبيان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيّد ، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله : [من المتقارب]

كَفاني أَبو الأشْوسِ المنكراتِ كفـاهُ الإلـــهُ الذي يَحْـــذَرُ

أعـزُّ مـــن السيِّدِ في منصِبٍ إليـــه العَـــزازة والمفخـرُ[2]

وقال يمدحه أيضاً : [من البسيط]

بانَ الخليطُ فأَمسى القلبُ معموداً وأخلفتْـــك ابنةُ الحـــرِّ المواعيدا[3]

كأَنّها ظبيـــةٌ بِكْـــرٌ أَطاع لهـــا من حَوملٍ تَلعاتُ الحـــيِّ أَو أُودا[4]

قامت تريك غداةَ البين مُنسدِلاً تجللت فـــوق متنيهـــا العناقيدا[5]

وبـــارداً طَيِّبـــاً عذبـــاً مَذاقتُـــه شربتُه مَزِجـــاً بالظلمِ مشهودا[6]

وجَسْرةٍ أُجُـــد تَدمَـــى مناسمُها أَعْمَلتُها بِـــيَ حتى تَقطعَ البيدا[7]

1 الهجان : الكريم الحسب .

2 السيّد : يطلق على الذئب والأسد . والأسد هو المراد .

3 في المفضليات (رقم 43) 213 : بانت سعاد ، والخليط : المخالط من زوج وجار وصديق ونحو ذلك . معموداً : مضنى مريضاً .

4 أطاع لها : اتسعت ودانت لها . تلعات الحيّ : روابيه العالية . حومل وأود : مكانان .

5 متناها : جانباها . والعناقيد ، عناقيد الشعر .

6 في المفضلية رقم 43 ص 213 : مقبّله . الظلم : ماء الأسنان وبريقها .

7 أجد في ل : حَرج . والجسرة : الضخمة . الأجد : الناقة المتينة الأضلاع . والحرج : الطويلة على وجه الأرض . وأعملتها : سرت عليها .

كلّفتُها ، فرأت حتماً تكلُّفها ظهيرةً كأجيج النّار صَيخودا[1]
في مهمهٍ قُذُفٍ يُخشى الهلاكُ به أصداؤه لا تَني بالليل تغريدا[2]
لّما تشكّت إليَّ الأينَ قلتُ لها : لا تستريحِنَّ ما لم ألقَ مسعودا[3]
ما لم أُلاقِ امرءاً جَزْلاً مواهبُه رحبَ الفِناء كريمَ الفِعْلِ محمُودا
وقد سمعتُ بقوم يُحمَدون فلم أُسمع بمثلِك لا حِلْماً ولا جودا
ولا عفافاً ولا صبراً لنائبة ولا أُخبِّرُ عنك الباطلَ السيِّدا[4]

السيّد : قبيل الممدوح من آل ضبّة .

لا حلمُك الحلمُ موجودٌ عليه ، ولا يُلْفى عَطاؤُك في الأقوامِ منكودا[5]
وقد سبقتَ لغاياتِ الجوادِ وقد أُشبهتَ آباءَك الشُّمَّ الصناديدا[6]
هذا ثنائي بما أوليتَ من حَسنٍ لا زلت برّاً قريرَ العينِ محسودا[7]

[يتقاضى دينه بشعره]

قال أبو عمرو : كان لضابِىء بن الحارث البُرجُميّ ، على عَجْرَد بن عبد عمرو دينٌ بايعه به نَعَماً ، واسْتخار الله في ذلك ، وبايعه ربيعة بن مقروم ، ولم يستخر الله تعالى ، ثم خافه ضابىء فاستجار بربيعةَ بن مقروم في مطالبَته إيّاه ، فضمن له جواره ، فوفّى عَجْردٌ لضابىء ، ولم يفِ لربيعة ، فقال ربيعة : [من الطويل]

أَعَجْرُد إنّي من أمانيَّ باطلٍ وقولِ غداً شيخٌ لذاك سؤومُ
وإنَّ اختلافي نصف حولٍ مجرَّم إليكم بني هندٍ عليَّ عظيمُ
فلا أُعرفنّي بعد حولٍ مجرَّم وقولٍ خلا يُشكُونَني فألومُ[8]

---

1 ظهيرةً : في المفضلية 43 ص 214 : وديقة وهي أشدّ الحر . الصيخود : الشديدة .
2 القذف : مترامي الأطراف . أصداؤه : جمع صدى ، وهو طائر يخرج من رأس القتيل لا يفتأ يصيح «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره .
3 الأين : التعب .
4 في المفصلية 214/43 : وما أبَنّىء .
5 موجود عليه : أي لم يطش حلمك فيوجد عليك ، أي يغضب . عطاء منكود : نزر قليل .
6 لغايات في المفضلية 214/43 : بغايات .
7 برّاً في ل وفي المفضلية 214/43 عوضُ .
8 يشكونني : من أشكاه : أزال سبب شكواه .

ويلتمسوا وُدِّي وعطفيَ بعد ما تناشدَ قولي وائلٌ وتميمُ
وإن لم يكن إلاّ اختلافي إليكم فإنّي امروٌ عِرضي عليّ كريمُ
فلا تُفسدوا ما كان بيني وبينكم بني قَطَنٍ إنَّ المُليم مُليمُ[1]

فاجتمعت عشيرةُ عَجْرَدٍ عليه ، وأخذوه بإعطاء ربيعة مالَه ، فأعطاه إيّاه .

[حماد الراوية يثري على حسابه]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عَديّ ، عن حمّاد الرّاوية ، قال : دخَلتُ على الوليد بن يزيدَ ، وهو مُصطبِح ، وبين يديه معبد ، ومالك ، وابن عائشة وأبو كامل ، وحكم الوادي ، وعمر الوادي يُغنّونه ، وعلى رأسِه وصيفة تَسقيه ، لم أرَ مثلها تماماً وكمالاً وجمالاً . فقال لي : يا حمّاد ، أمرتُ هؤلاء أن يغنّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجعلتُها لِمَن وافق صفتها نِحْلةً[2] . فما أتى أحدٌ منهم بشيء ، فأنشدني أنت ما يوافق صفتها ، وهي لك ؛ فأنشدته قولَ ربيعةَ بن مقروم الضّبّيّ : [من الكامل]

دارٌ لسُعْدى إذ سُعاد كأنَّها رَشأ غضيض الطَّرفِ رخصُ المِفْصَلِ
شَمَّاءُ واضحةُ العوارضِ طَفلَةٌ كالبدرِ من خَلَل السحابِ المنجلي[3]
وكأنّما ريحُ القَرَنفُلِ نَشرُها أو حَنْوَةٌ خُلِطَتْ خُزامى حَوْملِ[4]
وكأنّ فاها بعد ما طرَق الكرى كأسٌ تُصَفَّق بالرحيقِ السّلسلِ
لو أنّها عرضت لأشْمَطَ راهبٍ في رأس مُشرفةِ الذُّرا متبتّلِ[5]
جأّرٍ ساعاتِ النّيامِ لربِّهِ حتى تخدَّدَ لحمُه مُستعملِ[6]
لصَبا لبهجتها وحُسنِ حَدِيثها ولهمَّ من ناموسه بتَنَزُّلِ[7]

فقال الوليدُ : أصبتَ وصفَها ، فاخترها أو ألفَ دينار ، فاخترتُ الألفَ الدينار ، فأمرها ، فدخلتْ إلى حرمِهِ ، وأخذتُ المالَ .

---

1 المليم : من أتى عملاً يستحقّ عليه اللوم .
2 نحلة : عطاء .
3 العوارض : جمع عارضة : الثنيّة من الأسنان ، أو صفحة الخد . طفلة : ناعمة رخصة .
4 الحنوة : الريحانة . الخُزامى : نبات عطري الرائحة . حومل : اسم مكان .
5 الأشمط : المختلط سواد شعره ببياض . في رأس مشرفة الذّرا : في رأس قمة عالية . متبتّل : متعبّد .
6 جآر : مبالغة من جأر : رفع صوته . تخدد لحمه : تشقق من كثرة قيام الليل . مستعمل : مستعمل أعضاءه في أعمال التعبّد .
7 الناموس : بيت الراهب .

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيّدِه ، وحسَنِه ، فمن مختارها ونادرها قوله :

صوت

بـل إنْ تَرَيْ شَمَطاً تفرَّعَ لِمّتي … وحَنا قناتي وارتقى في مِسْحَلي[1]

ودَلَفْتُ مـن كبَرٍ كأنّيَ خاتـلٌ … قَنَصاً ومن يدبِـبْ لصيـدٍ يخْتِلِ

فلقد أُرى حَسَنَ القَنـاة قويمَها … كالنَّصْل أُخلصه جَـلاءُ الصَّيقَلِ

أزمانَ إذْ أَنا والجديدُ إلى بلًـى … تُصبِي الغـواني مَيْعَتـي وتنقُّلي[2]

غنى بذلك معبد ثقيلاً أوّل :

ولقد شهِدْتُ الخيل يوم طِرادها … بسَليمِ أُوظفـةِ القوائـم هَيكَلِ[3]

متقاذفٍ شَنِجِ النَّسا عَبْلِ الشَّوى … سبَّاقِ أنديـة الجيــاد عَمَيْثلِ[4]

لولا أكفكِفُــه لكان إذا جـرى … منه العزيم يـدقُّ فأسَ المِسحلِ[5]

وإذا جـرى منـه الحميـمُ رأيتَـه … يهـوِي بفارسِه هُوِيَّ الأجدلِ[6]

وإذا تَعلَّــلُ بالسِّياط جيادُهــا … أعطـــاك نائيـه ولم يتعلّــلِ

ودَعَـوْا : نزالِ فكنتُ أوَّلَ نازلٍ … وعــلامَ أركبُــه إذا لم أنـزلِ ؟

ولقد جمعتُ المالَ من جَمْع امرىءٍ … ورفعتُ نفسي عـن لَئِيمِ المأكلِ

ودخلـتُ أبنيـةَ الملـوك عليهمُ … ولَشَرُّ قولِ المـرءِ مـا لم يُفعَلِ

وألـدَّ ذي حَنَـقٍ علـيَّ كأنّما … تَغـلي عـداوةُ صَدْرِهِ كالمِرْجلِ

أزجَيْته عنّـي فأبصرَ قصـدَه … وكويتُه فـوق النَّواظر مـن عَلِ[7]

---

1 تفرّع لّمتي : انتشر ، وتفشّى فيها . حنا قناتي : قوس ظهري . المسحل : جانب اللحية .

2 الميعة من كلّ شيء : أوّله . تنقلي في ل : وتبتلي .

3 أوظفة : جمع وظيف . مستدق الذراع والساق من الفرس ونحوه ، هيكل : ضخم .

4 متقاذف : سريع . شنج : منقبض . النّسا : عصب الورك يمتدّ منه إلى الكعب . عبل الشّوى : مندمج الأطراف . عميثل : ضخم قوي . آبدة الجياد : أي سباق الجياد الشاردة .

5 في مجموع شعر ربيعة بن مقروم بن ضبّة ص 373 لكاد . مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد عدد 11 ، حزيران 1968 . العزيم : الجري . المسحل : اللجام ، فأس المسحل : حديدته التي في حنك الفرس .

6 الحميم : العرق . الأجدل : الصقر .

7 أزجيته : دفعته .

وأخـــي مُحافظـــةٍ عَصى عُذّاله — وأطــاع لذّتــه مُعِــمٍّ مُخولِ
هشٍّ يـَـراحُ إلى النَّــدى نبّهتُه — والصبحُ ساطِعُ لونِــه لم يَنْجَلِ [1]
فأتيــتُ حانوتــاً بــه فصبَحْته — من عاتــقٍ بمزاجهــا لم تُقتلِ [2]
صهبـــاءَ إلْياسيَّةٍ أَغــلى بهــا — يَسرٌ كريــمُ الخِيــم غيرُ مُبخَّلِ [3]
ومُعَــرَّسٍ عُــرْضٍ الرداء عَرَسْتُهُ — من بعــد آخــرَ مثلِه في المنزلِ [4]
ولقد أُصبتُ مــن المعيشة لينَها — وأصابني منــه الزمــانُ بكلكلِ
فــإذا وذاك كأنّــه مــا لم يكن — إلاّ تذكُّــره لمَــن لم يجهلِ
ولقــد أتتْ مائــةٌ علــيَّ أعدُّها — حَــوْلاً فحــولاً لا بَلاها مُبتلِ
فإذا الشّبــاب كمِبْــذَلٍ أنضيتُه — والدَّهرُ يُبلِـي كلَّ جِـدَّةِ مِبْذَلِ [5]
هلاّ سألتِ وخُبْرُ قــوم عندَهم — وشفاءُ غيِّــكِ خابـراً أن تسألي
هــل نُكرم الأضْيافَ إنْ نزلوا بنا — ونسودُ بالمعــروفِ غيــرَ تنحُّلِ [6]
ونحُــلّ بالثغر المخُوفِ عَدوُّه — ونــردُّ حــالَ العارض المتهلِّلِ [7]
ونُعــين غارمَنــا ونمنع جارَنا — ونَزينُ مولى ذِكْرِنــا في المحفِلِ [8]
وإذا امــرؤ منّــا حَبــا فكأنَّه — مِمّا يُخافُ على مناكــبِ يَذْبُلِ [9]
ومتى تَقُمْ عنــد اجتماع عشيرةٍ — خطباؤها بــين العشيرة يُفْصَلِ [10]
ويرى العــدوُّ لنــا دُروءاً صعبةً — عنــد النجــوم منيعـــةَ المتأوّلِ [11]

---

1 يراح إلى الندى : يرتاح إليه .
2 العاتق : الخمر المعتقة .
3 إلياسية : لعلّها منسوبة إلى الخمّار . وفي الخزانة 566/3 صهباء صافية القذى أغلى بها . يسر : سهل سمح ، أو يلعب الميسر .
4 المعرّس : مكان التعريس : الإقامة ليلاً .
5 المبذل : الثوب يلبس في المهنة .
6 غير تنحّل : غير ادّعاء وكذب وفي ل : غير تبخّل .
7 العارض المتهلّل : السّحاب المعترض في الأفق .
8 المولى : من معانيه الصديق .
9 يذبل : اسم جبل .
10 يفصل في ل : تفصل .
11 الدروء : جمع درء ، وهو النتوء في الجبل . المتأوّل : من تأوّل الأمر : توسمه وتحرّاه .

وإذا الحَمالــةُ أثقلــت حُمَّالَها فعلى سوائمنــا ثقيــلُ المحمِلِ[1]
ونحُــقُّ في أموالِنــا لحليفنــا حقّاً يبــوء بــه وإن لم يَسْأَلِ[2]

وهذه جملةٌ جمعتُ فيها أغانيَ من أشعار اليهود ، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة ، فمن ذلك : [من الكامل]

صوت

أنَّى تَذَكَّــر زينبَ القلبُ وطِلابُ وصلِ عزيزةٍ صَعْبُ
مــا رَوْضَةٌ جاد الرَّبيع لها مَوْليــة مــا حولهـا جدْبُ
بألَــذَّ منهــا إذ تقول لنا سيراً قليــلاً يَلْحقِ الرّكبُ

الشعر لأوْس بن دَبّى القرظيّ ، والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وزعم عمرو أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى لمالك ، وأنّ فيه صنعة لابن محرز ، ولم يجنّسها .

---

1 الحمالة : ما يحمل في الديات ونحوها . السائمة : الماشية .

2 في الخزانة 565/3 : أموالنا لحريبنا . . حق تنوء به .

[467] ـ أخبار أوس ونسب اليهود النازلين بيثرب وأخبارهم

أوس بن ذبّى اليهوديُّ رجل من بني قُرَيْظة ، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم : الكاهنان ، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخي موسى بن عمران صلّى الله على محمد وآله وعليهما ، وكانوا نزولاً بنَواحي يثربَ بعد وفاة موسى بن عمرانَ عليه السلام ، وقبل تفرّق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج بيثرب .

[العمالقة في المدينة]

أخبرني بذلك عليُّ بنُ سليمان الأخفشُ ، عن جعفر بن محمد العاصي عن أبي المنهال عُيَيْنَةَ بن المنهال المهلبيّ ، عن أبي سليمان : جعفر بن سعد ، عن العِماريّ ، قال : كان ساكنُو المدينة في أوّل الدّهر قبل بني إسرائيل قوماً من الأمم الماضية ، يقال لهم : العماليق ، وكانوا قد تفرّقوا في البلاد ، وكانوا أهل عزّ وبغي شديد ، فكان ساكني المدينةِ منهم بنُو هفّ وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق ، وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يقال له : الأرقم ، ينزل ما بين تَيْماءَ إلى فَدَك ، وكانوا قد ملئوا المدينة ، ولهم بها نخل كثير وزروع ، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجُبابرة من أهل القرى يغزونهم ، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشاً من بني إسرائيل ، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم ، ولا يَستبقُوا منهم أحداً ، فقدِم الجيشُ الحجازَ ، فأظهرهم الله عزّ وجلّ على العماليق ، فقتلوهم أجمعين إلاّ ابناً للأرقم ؛ فإنّه كان وضيئاً جميلاً ، فضنُوا به على القتلِ ، وقالوا : نذهب به إلى موسى بن عمران ، فيرى فيه رأيه ، فرجعوا إلى الشام ، فوجدوا موسى ، عليه السلام ، قد توفّي ، فقالت لهم بنو إسرائيل : ما صنعتم ؟ فقالوا : أظهرنا الله جلّ وعزّ عليهم ، فقتلناهم ، ولم يبقَ منهم أحد غيرُ غلام كان شابّاً جميلاً ، فنَفِسْنا به عن القتل ، وقلنا : نأتي به موسى عليه السلام ، فيرى فيه رأيه ، فقالوا لهم : هذه معصية : قد أُمِرْتم ألاّ تَسْتَبقُوا منهم أحداً ، والله لا تدخلون علينا الشام أبداً .

[أوّل سكنى اليهود المدينة]

فلمّا مُنِعوا ذلك قالوا : ما كان خيراً لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز ، نرجع إليهم ، فنقيم بها ، فرجعوا على حاميتهم ، حتى قدموا المدينة ، فنزلوها ، وكان ذلك الجيش أوّل سكنى اليهود المدينة ، فانتشروا في نواحي المدينة كلّها إلى العالية ، فاتّخذوا

بها الآطام[1] والأموال والمزارع ، ولبثوا بالمدينة زماناً طويلاً .

[بنو قريظة والنضير يلحقون بإخوانهم]

ثم ظهرت الرّوم على بني إسرائيل جميعاً بالشام ، فوطئوهم ، وقتلوهم ، ونكحوا نساءهم ، فخرج بنو النَّضير وبنو قريظة وبنو بَهْدَل هاربين منهم إلى مَنْ بالحجاز من بني إسرائيل لّما غلبتهم الرّوم على الشام ، فلمّا فَصَلوا عنها بأهليهم بعث ملكُ الرّوم في طلبهم ؛ ليردّهم ، فأعجزوه ، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوزَ ، فلما بلغ طلبُ الرّوم الثمد انقطعت أعناقهم عطشاً ، فماتوا ، وسمّي الموضع ثمد الروم ، فهو اسمه إلى اليوم ، فلمّا قدِم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابَة ، فوجدوها وَبِيَّة[2] فكرهوها ، وبعثوا رائداً أمروه أن يلتمس لهم منزلاً سواها ، فخرج حتى أتى العالية ، وهي بُطحانُ ومَهْزُورٌ : واديان من حَرَّة على تلاع أرض عَذِيّة ، بها مياه عذبة تنبت حُرَّ الشجر ، فرجع إليهم ، فقال : قد وجدتُ لكم بلداً طيّباً نَزِهاً على حَرّة يصبّ فيها واديان على تلاع عذية ومَدرةٍ[3] طيبة في مُتأخَّر الحرّة ، ومدافع الشَّرْج ، قال : فتحوَّل القومُ إليها من منزلهم ذلك ، فنزل بنو النضير ومن معهم على بُطحانَ ، وكانت لهم إبل نواعم ، فاتّخذوها أموالاً ، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومَن معهم على مهزور ، فكانت لهم تِلاعُهُ وما سقي من بُعاثَ وسمرات ، فكان مِمّن يسكن المدينة ، حين نزلها الأوس والخزرج ، من قبائل بني إسرائيل بنو عكرة ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر ، وبنو زغورا ، وبنو قينقاع ، وبنو زيد ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو الفصيص ، فكان يسكن يثربَ جماعةٌ من أبناء اليهود ، فيهم الشرف والثروة والعزّ على سائر اليهود ، وكان بنو مرانة في موضع بني حارثة ، ولهم كان الأُطُمُ الذي يقال له : الخال .

[بطون من العرب بالمدينة]

وكان معهم من غير بني إسرائيل بطون من العرب منهم : بنو الحرمان : حي من اليمن ، وبنو مَرْثد حي من بليّ ، وبنو أنيف من بليّ أيضاً ، وبنو معاوية حي من بني سليم ثم من بني الحارث بن بَهْثَةَ ، وبنو الشظية : حي من غسّان ، وكان يقال لبني قريظة وبني النضير خاصة من اليهود : الكاهنان ، نُسِبوا بذلك إلى جدِّهم الذي يقال له الكاهن ، كما يقال : العُمَران والحسنان والقمران[4] ، قال كعبُ بن سعد القرظيّ : [من البسيط]

---

1 الآطام : جمع أُطُمُ أو أُطْم : الحصون ، أو كلّ بناء مرتفع .

2 وبية : تخفيف وبيئة بمعنى كثر فيها الوباء .

3 مدرة : تربة .

4 العمران : أبو بكر وعمر ، والحسنان : الحسن والحسين . والقمران : الشمس والقمر .

بالكاهِنيْــن قررتــمْ في ديارِكُــمُ   جمّاً ثواكم ومــن أجلاكم جَدُبا[1]

وقال العبّاس بن مرداس السُّلميّ يردّ على خَوّات بنِ جبير لمّا هجاهم :   [من الطويل]

هجوتَ صريحَ الكاهِنَيْنِ وفيكمُ   لهم نِعَمٌ كانت مدى الدَّهر تُرْتُبا[2]

[هجرة القبائل بعد سيل العرم]

فلمّا أرسل الله سيلَ العرم على أهل مأرب ، وهم الأزد ، قام رائدهم فقال : مَن كان ذا جَمَل مِفَنّ ووطب[3] مدنّ وقربَة وشنّ ، فلينقلب عن بقرات النعم ، فهذا اليوم يومُ همّ وليلحق بالثّني من شنّ ، قال وهو بالسراة ، فكان الذين نزلوه أزد شنوءة ، ثم قال لهم : ومَن كان ذا فاقة وفقر ، وصبر على أزمات الدَّهر فليلحق ببطن مُرّ ، فكان الذين سكنوه خزاعة ، ثم قال لهم : مَن كان منكم يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمير ، والديباج والحرير ، فليلحق بِبُصْرى والحفير ، وهي من أرض الشام ، فكان الذين سكنوه غسّان ثم قال لهم : ومَن كان منكم ذا همٍّ بعيد وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلحق بقصر عُمان الجديد ، فكان الذين نزلوه أزد عُمان ، ثم قال : ومَن كان يريد الرّاسخاتِ في الوَحْل ، المطعمات في المَحْل ، فليلحق بيثرب ذات النخل .

[الأوس والخزرج يعانون شظف العيش بالمدينة]

فكان الذين نزلوها الأوسَ والخزرج ، فلمّا توجّهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا في صِرار[4] ثم تفرّقوا ، وكان منهم مَن لجأ إلى عَفاء[5] من أرض لا ساكن فيه ، فنزلوا به ، ومنهم مَن لجأ إلى قرية من قُراها ، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم التي نزلوها بالمدينة في جهد وضيق في المعاش ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة ؛ لأنّ المدينة ليست بلاد نَعَم ، وليسوا بأصحاب نخل. ولا زرع ، وليس للرجل منهم إلاّ الأعْذاقُ[6] اليسيرة ، والمزرعة يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ، فلبثت الأوس والخزرج بذلك حيناً .

[أبو جبيلة يفتك باليهود]

ثم إنّ مالكَ بن العجلان وفد إلى أَبي جُبيلة الغَسّانيّ وهو يومئذٍ مَلِك غسان ، فسأله عن

---

1 جمّا ثواكم : كثيرة إقامتكم .

2 ترتبا : أمراً ثابتاً .

3 المفن : ذو الفن ، فلعلّه يعني تفنن الجمل في ضروب السير . الوطب : الإناء يُسقى فيه اللبن .

4 صرار : موضع على قرب من المدينة .

5 عفاء : يباب .

6 الأعذاق : جمع عَذْق وهو النخلة بحملها .

قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم ؛ وضيق معاشهم ، فقال له أبو جبيلة : والله ما نزل قوم منّا بلداً قطّ إلاّ غلبوا أهله عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضيّ إلى قومه ، وقال له : أعلِمهم أنّي سائر إليهم ، فرجع مالك بن العجلان ، فأخبرهم بأمر أبي جُبَيْلة ، ثم قال لليهود : إنّ الملكَ يريد زيارتكم فأعِدّوا نُزُلاً فأعدّوه ، وأقبل أبو جبيلة سائراً من الشام في جمع كثيف ، حتى قدِم المدينة ، فنزل بذي حُرُض ، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج ، فذكر لهم الذي قدِم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رؤوسَهم وأشرافهم ، وخشي إن لم يمكر بهم أن يتحصّنوا في آطامهم ، فيُمْنَعوا منه حتى يطول حصاره إيّاهم ، فأمر ببنيان حائرٍ[1] واسع ، فبُني ، ثم أرسل إلى اليهود : أنّ أبا جبيلة الملكَ قد أحبّ أن تأتوه ، فلم يبقَ وجهٌ من وجوه القوم إلاّ أتاه ، وجعل الرجل يأتي معه بخاصّته وحشمه رجاء أن يحبُوَهم ، فلمّا اجتمعوا ببابه أمر رجالاً من جنده أن يدخلوا الحائر الذي بُني ثم يقتلوا كل مَن يدخل عليهم من اليهود ثم أمر حجّابه أن يأذنوا لهم في الحائر[2] ويدخلوهم ، رجلاً رجلاً ، فلم يزل الحجَّاب يأذنون لهم كذلك ، ويقتلُهم الجند الذين في الحائر ، حتى أتوا على آخرهم .

[سارة القريظية ترثي قومها]

فقالت سارة القريظيّة ترثي مَن قَتَلَ منهم أبو جُبَيْلة ، تقول : [من الوافر]

بنفسي أمـــةٌ لم تُغْنِ شيئاً ... بذي حُرُضٍ تُعفّيها الرياحُ
كُهولٌ مــن قُرِيظةَ أتلفَتْها ... سيوفُ الخزرجيَّة والرّماحُ
رُزِئنا والرزيّــةُ ذات ثِقْلٍ ... يَمُــرُّ لأهلِها المـاءُ القَراحُ
ولو أرِبُــوا بأمرهمُ لجالت ... هنالك دونهم جَأْوا رَداحُ[3]

[الرمق يمدح أبا جبيلة]

وقال الرّمق ، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جُبيلة الغسانيّ : [من مجزوء الكامل]

لم يُقْــضَ ديْنُك في الحسا ... نِ وقد غَنِيتَ وقد غَنِينا[4]

1 الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء ، فيتحيّر ، ولا يخرج .
2 الذي . . . . . . الحائر زيادة من ل .
3 أربوا : كانوا من ذوي الأرب بمعنى الفطنة والحذق . جأوا : أي جأواء . رداح : كثيرة العدد .
4 غنيت ، غنين : أقمت وأقمن .

الرّاشقـــاتِ المرشقـــا ... تِ الجازياتِ بما جُزِينا[1]
أمثـــال غـــزلانِ الصرا ... ئـمِ يأتـــزِرن ويرتدينا[2]
الرَّيْــــطَ والدِّيبـــاجَ ... والزَّردَ المضاعف والبُرِينا[3]
وأبـــو جُبيْلـــة خيرُ مَن ... يمشي وأوفاهـــم يَمينا
وأبَـــرُّه بِـــرّاً وأعْلَـــ ... ـــمهُ بعلـــم الصالحينا
أبقت لنـــا الأيّامُ والحَر ... بُ المهمَّـــةُ تعترينـــا
كبشاً لنـــا ذَكَراً يفُـــلُّ ... حسامُه الذكَـــرَ السَّنِينا[4]
ومعاقـــلاً شُمّـــاً وأسيـــ ... ـــافاً يَقُمـــن وينحنينا
ومحلّـــة زوراء تُـــــر ... جِفُ بالرِّجالِ المُصلِتينا[5]

فلمّا أنشدوا أبا جُبيلة ما قال الرّمق، أُرسل إليه، فجيء به، وكان رجلاً ضئيلاً غير وضيء، فلمّا رآه قال: «عسل طيِّب ووعاء سوء»[6]، فذهبت مثلاً، وقال للأوس والخزرج: إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد مَن قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم، ثم رحل إلى الشام.

[بقية خبر أبي جبيلة]

وقال الصامت بن أُصرم النّوْفليّ يذكر قَتْل أَبي جُبيلة اليهود: [من الكامل]

سائل قُريظَـةَ مَـن يُقَسِّم سَبْيَها ... يوم العُرَيْض ومن أفاء المغنما ؟
جاءتهمُ الملحـــاءُ يخفِـــق ظلُّها ... وكتيبـــةٌ خشناءُ تدعـــو أسلما[7]
عمِّي الذي جلـــب الهمامَ لقومه ... حتى أحـــلَّ على اليهودِ الصَّيْلَما[8]

[مالك بن العجلان يقتفي أثر أبي جبيلة]

يعني بقوله: «مَن يقسِّم سبيَها» نسوةً سباهنّ أبو جُبَيْلة من بني قريظة، وكان رآهن

---

1 الراشقات: الراميات بسهام العيون. المرشقات: من أرشق الظبي: مدّ عنقه.
2 الصرائم: جمع صريمة: القطعة من الرمل.
3 الريط: الثياب اللينة الرقيقة. والبرين، جمع برة: الحلقة من سوار أو خلخال أو حلق ونحو ذلك.
4 الكبش: سيد القوام المدافع عنهم. الذكر السنين: السيف المسنون.
5 زوراء: بعيدة. المصلتين: المجردين سيوفهم.
6 مثل: وردت صيغة المثل في مجمع الأمثال 133/2 كلام كالعسل وفعل كالأسل.
7 الملحاء: الكتيبة العظيمة. الخشناء: كثيرة السّلاح.
8 الصيلم: الداهية الشديدة، أو اسم من أسماء السيّف.

فأعجبنه ، وأعطى مالك بن العجلان منهنّ امرأة .

قال أبو المنهال أحدُ بني المعلّى : إنّهم أقاموا زمناً بعد ما صنع ، ويهود تعترض عليهم ، وتُناوئهم ، فقال مالك بن العجلان لقومه : والله ما أثخنّا يهودَ غلبةً كما نريد ، فهل لكم أن أصنع لكم طعاماً ، ثم أرسل في مائة من أشراف من بقي من اليهود ، فإذا جاءوني فاقتلوهم جميعاً ، فقالوا : نفعل ، فلمّا جاءهم رسول مالك قالوا : والله لا نأتيهم أبداً ، وقد قتَل أبو جُبَيْلة منّا مَن قتل ، فقال لهم مالك : إنّ ذلك كان على غير هوًى منّا ، وإنّما أردنا أن نمحوَه ، وتعلموا حالَكم عندنا ، فأجابوه ، فجعل كلّما دخل عليه رجل منهم أمَرَ به مالك فقُتِل ، حتى قَتَل منهم بضعة وثمانين رجلاً ، ثم إنّ رجلاً منهم أقبل حتى قام على باب مالك ، فتَسمَّعَ فلم يسمع صوتاً فقال : أرى أسرَعَ وِردٍ وأبعدَ صَدَرٍ ، فرجع وحَذَّر أصحابه الذين بَقُوا ، فلم يأتِ منهم أحدٌ ، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان : [من المتقارب]

فَسفَّهْــتَ قَيْلَــةَ أحلامَهــا ففيمَن بقيتَ وفيمن تَسودْ[1] ؟

فقال مالك : [من المتقارب]

فإنّي امرؤ مــن بني سالم بْــ ـنِ عَوْفٍ وأنت امرؤٌ من يهودْ

قال : وصَوَّرت اليهود مالكاً في بِيَعهم وكنائِسهم ، فكانوا يلعنونه كلّما دخلوها ، فقال مالك بن العجلان في ذلك قوله : [من المتقارب]

تَحامِــي اليهــودِ بتَلْعانهــا تَحامِــي الحميــرِ بــأبوالها[2]
فمــاذا عــليَّ بــأن يلْعَنــوا وتأتــي المنايــا بــأذلالها[3]

[اليهود يذلّون]

قال : فلمّا قَتل مالكٌ من يهود مَنْ قَتل ذلّوا ؛ وقلّ امتناعُهم ؛ وخافوا خوفاً شديداً ؛ وجعلوا كلّما هاجهم أحدٌ من الأوس والخزرج بشيء يكرهونه لم يمشِ بعضُهم إلى بعض ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهوديّ إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم فيقول : إنّما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كلّ قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس والخزرج ، يتعزّزون بهم .

---

1 قيلة : أم الأوس والخزرج .
2 تحامى ، من طلب الحماية باللّعن .
3 أذلال : جمع ذَلّ : بمعنى الطريق الممهد .

[يهودية تعتنق الإسلام]

وذكر أبو عمرو الشيباني أنّ أوسَ بنَ دَبّى القرظيّ كانت له امرأة من بني قريظة أسلمت وفارقته ، ثم نازعتها نفسها إليه ، فأتته ، وجعلت ترغبه في الإسلام ، فقال فيها : [من الطويل]

دَعتني إلى الإسلامِ يومَ لقِيتُها ... فقلت لها : لا بل تعالَيْ تهوَّدِي

فنحنُ على توراة موسى ودينِه ... ونِعم لعمري الدينُ دِينُ محمدِ

كلانا يرى أنّ الرّسالةَ دينُهُ ... ومن يُهْدَ أبوابَ المراشدِ يَرْشُدِ

ومن الأغاني في أشعار اليهود : [من الوافر]

صوت

أعاذلتي ألا لا تَعذِليني ... فكم من أمرِ عاذلةٍ عَصَيْتُ

دَعيني وارشُدي إن كنتُ أغْوى ... ولا تغوَيْ زعمتِ كما غوَيتُ

أعاذلَ قد أطلتِ اللّومَ حتّى ... لَو انّي مُنْتَهٍ لقد انتهيتُ

وحتى لو يكونُ فَتى أُناسٍ ... بكى من عَذل عاذلةٍ بكَيْتُ

وصفراءِ المعاصِمِ قد دعتني ... إلى وصلٍ فقلتُ لها : أبَيْتُ

وزِقٌّ قد جررتُ إلى النَّدامى ... وزِقٌّ قد شَرِبت وقد سَقَيتُ

الشعر للسموءل بن عاديا ، فيما رواه السكريّ عن الطوسيّ ، ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق في الأوّل والثاني والرابع والخامس من الأبيات ؛ وزعم ابن المكّيّ أنّه لمعبد ، وزعم عمرة بن بانة أنّه لمالك ، ولدَحْمان أيضاً في الأوّل والثاني والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكّيّ أنّ هذا الرمل لابن سريج ، وفي الأوّل والثاني والسادس رمل بالوسطى ، لأبي سعيد مولى فائِد ثاني ثقيل عن يحيى المكّيّ ، وزعم الهشاميّ أنّ الرمل لعبد العزيز الدفاف .

[468] ـ أخبار السموءل ونسبه[1]

[نسبه]

هو السموءل بن عُرَيض بن عاديا ، بن حباء ، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد بن سلام والسكريّ عن الطوسيّ وابن حبيب ، وذكر أنّ النّاس يُدرِجون عُرَيضاً في النسب ، وينسبونه إلى عاديا جدّه ، وقال عمر بن شبّة : هو السموءل بن عاديا ، ولم يذكر عريضاً .

وحكى عبد الله بن أبي سعد عن دارم بن عقال ، وهو من ولد السموءل ، أنّ عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء ، وهذا عندي محال ؛ لأنّ الأعشى أدرك شريح بن السموءل وأدرك الإسلام ، وعمرو مزيقيا قديم ، لا يجوز أن يكون بينه وبين السموءل ثلاثة آباء ولا عشْرَة إلاّ أكثر ، والله أعلم .

[من مفاخر السموءل]

وقد قيل : إنّ أُمّه كانت من غسان ، وكلّهم قالوا : إنّه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء ، وقيل : بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ، وكان هذا الحصن لجدّه عاديا ، واحتفر فيه بئراً رَويَّة عذبة ، وقد ذكرتْه الشعراء في أشعارها ، قال السموءل : [من المتقارب]

فبِالأبلقِ الفَردِ بيتي بهِ ... وبيتُ النضير سوى الأبلقِ

وقال السموءل يذكر بناء جدّه الحصن : [من الوافر]

بنى لي عاديا حِصناً حصيناً ... وماءً كلّما شئتُ استقيْتُ

وكانت العربُ تنزل به ، فيضيفها ، وتمتارُ من حصنه ، وتقيم هناك سوقاً .

وبه يُضرب المثل في الوفاء لإسلامه ابنه حتى قُتِل ، ولم يخن أمانته في أَدْراع أُودِعَها .

[امرؤ القيس يفِد عليه]

وكان السبب في ذلك ، فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبيّ ، أنّ امرأ القيس ابنَ حُجْر لّما سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموءل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه

---

1 انظر أخباره في : محاضرات الراغب 1 : 285 والمحاسن والأضداد : 47 والبيهقي 108 والشريشي 3 : 172 ونهاية الأرب 3 : 240 والعقد الفريد للملك السعيد : 86 والتذكرة الحمدونية 3 : 12–13 ، وشعر السموأل في هذه المصادر وفي حماسة البحتري : 141 وغرر الخصائص : 32–33 .

بني كنانة على أنّهم بنو أسد وكراهةِ أصحابه لفعله ، وتفرّقهم عنه ، حتى بقي وحده ، واحتاج إلى الهرب ، فطلبه المنذر بن ماء السماء ، ووجَّه في طلبه جيوشاً من إياد وبهراءَ وتنوخ وجيشاً من الأساورة أمده بهم أنو شروان ، وخذلته حِمْيَر ، وتفرّقوا عنه : فلجأ إلى السموءل ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة والخريق ، وأمّ الذيول ، وكانت الملوك من بني آكل المرار يتوارثونها ملكٌ عن ملك ، ومعه بنته هند ، وابن عمّه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث ، وسلاح ومال كان بقي معه ، ورجل من بني فزارة يقال له : الربيعُ بن ضَبُع شاعر ، فقال له الفزاريّ : قل في السموءل شعراً تمدحه به ، فإنّ الشعر يعجبه ، وأنشده الربيع شعراً مدحه به وهو قوله : [من الكامل]

ولقد أتيتُ بني المُصاصِ مُفاخراً — وإلى السموءل زرتُه بالأبلقِ
فأتيتُ أفضلَ مَن تحمَّل حاجةً — إنْ جئتَه في غارمٍ أو مُرهَقِ
عَرَفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ — وحوى المكارمَ سابقاً لم يُسْبَقِ

قال : فقال امرؤ القيس فيه قصيدته : [من الكامل]

طرقتْكَ هندٌ بعد طول تجنُّبٍ — وَهْناً ولم تَكُ قبل ذلك تطرُقُ

قال : وقال الفزاريّ : إنّ السموءل يمْنَع منك حتى يرى ذاتَ عينك ، وهو في حصن حصين ومال كثير ، فقدِم به على السموءل ، وعرفه إيّاه ، وأنشداه الشعر ، فعرف لهما حقَّهما ، وضرب على هند قُبَّة من أَدَم ، وأنزل القوم في مجلس له بَراح ، فكانت عنده ما شاء الله .

[امرؤ القيس يستودعه ودائعه ويرحل]

ثم إنّ امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغسَّانيّ أن يوصله إلى قيصر ، ففعل ، واستصحب معه رجلاً يدلّه على الطريق ، وأودع بنيه وماله وأدراعه السموءل ، ورحل إلى الشام ، وخلَّف ابن عمّه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ، قال : ونزل الحارث بن ظالم في بعض غاراته بالأبلق ؛ ويقال : بل الحارث بن أبي شَمِر الغسانيّ ؛ ويقال ، بل كان المنذر وجَّه بالحارث بن ظالم في خيل ، وأمَرَهُ بأخذ مال امرىء القيس من السموءل .

[يضحي بابنه وفاء بعهده]

فلمّا نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يَفَع وخرج إلى قَنص له ، فلمّا رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموءل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابني ، قال : أفتسلّم ما قِبَلك أم أقتله ؟ قال : شأنك به ، فلستُ أخفِر ذمّتي ، ولا أسلم مال جاري ، فضرب الحارثُ وسَط الغلام ، فقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ؛ فقال السموءل في ذلك : [من الوافر]

وفيْتُ بأدرُعِ الكِنديّ إنّي ... إذا ما ذُمَّ أقوامٌ وفيْتُ
وأوصى عادياً يوماً بألاّ ... تُهدّم يا سموءلُ ما بنيتُ
بنى لي عادياً حِصناً حَصيناً ... وماءً كلّما شئتُ استقيتُ

[الأعشى يستجير بابنه فيجيره]

وقال الأعشى يمدح السموءل ويستجير بابنه شريح بن السموءل من رجل كلبي كان الأعشى هجاه، ثم ظفر به، فأسره، وهو لا يعرفه، فنزلَ بشريح بن السموءل، وأحسن ضيافته، ومَرَّ بالأسْرَى، فناداه الأعشى: [من البسيط]

شُريحُ لا تُسْلِمنّي اليومَ إذ عِلِقت ... حبالُك اليوم بعد القيد أظفاري
قد سرتُ ما بين بلقاء إلى عدنٍ ... وطال في العُجم تَكراري وتَسياري
فكان أكرمَهم عهداً وأوثَقهم ... عَقْداً أبوك بعُرفٍ غير إنكارِ
كالغيثِ ما استمطَرُوه جاد وابلُه ... وفي الشدائدِ كالمستأسِد الضاري
كُنْ كالسَّموءل إذ طاف الهمامُ به ... في جحفلٍ كسواد الليل جرّارِ[1]
إذ سامه خُطَّتَيْ خسفٍ فقال له: ... قُل ما تشاء فإنّي سامعٌ حارِ
فقال: غَدرٌ وثُكْلٌ أنت بينَهما ... فاخترْ، وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له: ... اقتُل أسيرَك إنّي مانعٌ جاري
وسوف يُعْقبُنيه إن ظفِرتَ به ... ربٌّ كريمٌ وبيضٌ ذاتُ أطهارِ
لا سِرُّهُنّ لدينا ذاهبٌ هدَراً ... وحافظاتٌ إذا استُودِعْن أسراري
فاختار أدْراعَه كَيْلا يُسبَّ بها ... ولم يكن وعْدُهُ فيها بختَّارِ[2]

فجاء شريحُ إلى الكلبيّ فقال له: هب لي هذا الأسيرَ المضرور فقال: هو لك، فأطلقه، وقال له: أقِم عندي، حتى أكرمك، وأحْبُوكَ، فقال له الأعشى: إنّ تمام إحسانك إليّ أن تعطيَني ناقة ناجية[3]، وتُخلّيني الساعة، فأعطاه ناقة ناجية، فركبها ومضى من ساعته. وبلغ الكلبي أن الذي وَهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح، ابعَث إليَّ الأسيرَ الذي وهبتُ لك حتى أحبُوَه، وأعطيَه، فقال: قد مضى، فأرسل الكلبي في أثره، فلم يلحقه.

---

1 يقصد بالهمام الحارث بن ظالم.
2 ختّار: غدّار.
3 ناجية: سريعة.

[469] ـ سعية بن غريض [1]

سَعيةُ بن غُرَيض بن عاديا أخو السموءل شاعر ، فمن شعره الذي يُغنّى فيه قولُه : [من البسيط]

صوت

يا دارَ سُعْدى بمفْضى تلعةِ النَّعم حُيِّيتِ داراً على الإقواء والقِدَمِ
عُجْنا فما كلَّمتنا الدارُ إذ سُئِلت وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صممِ
وما بِجزعكِ إلاّ الوحش ساكنةٌ وهامدٌ من رماد القدر والحُمَمِ [2]

الشعر لسعْيَةَ بن غُريضَ ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه خفيف ثقيل عن الهشاميّ ، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشاميّ ، ويقال : إنّه لمالك ، وفيه لابن جُؤذرةَ رمل عن الهشاميّ : وسَعْية بن غَريض القائل ، وفيه غناء : [من السريع]

صوت

لُبابُ هلْ عندكِ من نائلٍ لعاشقٍ ذي حاجةٍ سائلِ
عَلّلتِه منك بما لم يَنَلْ يا ربَّما عَلَّلتِ بالباطلِ

الغناء لابن سُريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لابن الهربذ خفيف رمل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لمَتَيَّم رمل آخر من جامعها ، وفيه لحن ليونس غير مجنّس ، وأوّل هذه القصيدة :

لُبابُ يا أختَ بَني مالكٍ لا تشتري العاجلَ بالآجلِ
لُبابُ داويني ولا تَقتُلي قد فُضِّل الشافي على القاتلِ
إن تسألي بي فاسألي خابراً والعِلْم قد يُلْفَى لدى السائلِ
يُنْبيكِ مَن كان بنا عالِماً عنَّا وما العالِمُ كالجاهلِ

---

1 وردت ترجمته في الجزء 3 : 90 .
2 الجزع : منعطف الوادي ، أو وسطه . والحمم : الفحم والرماد ، وكل ما تخلّف ممّا أحرقته النار .

أَنَّا إذا حارت دواعي الهوى وأنصتَ السامــع للقائلِ
واعتلج القــومُ بـألبابهم في المنطق الفاصل والنائلِ
لا نجعلُ الباطلَ حقّــاً ولا نَلُــظُّ دون الحـقّ بالباطلِ[1]
نخاف أَن تَسفَـه أَحلامُنا فَنُخْملَ الدهـرَ مع الخاملِ

[معاوية يتمثّل بشعره]

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدَّثني أُحمد بن الهيثم الفراسيّ : قال : حدَّثني العمريّ ، عن العتبيّ ، قال : كان معاوية يتمثّل كثيراً إذا اجتمع النّاس في مجلسه بهذا الشعر :

إنّا إذا مالت دواعي الهوى وأنصت السامــع للقائلِ
لا نجعل الباطلَ حقّــاً ولا نَلُــظُّ دون الحـقّ بالباطلِ
نخاف أن تسفَــهَ أحلامُنا فَنُخْملَ الدهرَ مــع الخاملِ

[عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء : قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار : قال : أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز قال : أخبرني خالي يوسف بن الماجشون ، قال : كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه ينشده : [من السريع]

إنّا إذا مالت دواعي الهوى وأنصــت السّامعُ للقائلِ
واصْطرعَ القـومُ بألبابهم نقضي بحُكْمٍ عادل فاصلِ
لا نجعلُ الباطـل حقّاً ولا نُلِـظُّ دون الحـقّ بالباطلِ
نخاف أَن تسفَـهَ أحلامُنـا فَنُخْملَ الدَّهـرَ مع الخاملِ

ثم يجتهد عبد الملك في الحقّ بين الخصمين .

[أصحابه يميلون مع الريح]

أُخبرني وكيع والحسن بن علي قالا : حدَّثنا أُبو قلابة : قال : حدَّثنا الأصمعيّ ، عن أُبي الزّناد ، عن أُبيه ، عن رجال من الأنصار : أنَّ سَعْيَةَ بن غريض أخا السموءل بن عاديا كان ينادم قوماً من الأوس والخزرج ، ويأتونه ، فيقيمون عنده ، ويزورونه في أوقات قد أَلِف زيارتَهم فيها ، فأغار عليه بعض ملوك اليمن ، فانتسَفَ[2] من ماله حتى افتقر ، ولم يبقَ

1 لظ الشيء وألظّ به : تمسك به ، ولزمه .
2 انتسف ماله : اقتُلع من أُصله .

له مالٌ ، فانقطع عنه إخوانُه ، وجفَوه ، فلمّا أخصب ، وعادت حاله ، وتراجعت راجعوه ، فقال في ذلك : [من الوافر]

أرى الخُلاَّن لما قلَّ مالي وأجحفَتِ النوائبُ وَدَّعوني
فلمّا أن غَنِيتُ وعاد مالي أراهم لا أبا لك راجعوني
وكان القوم خُلاّنا لمالي وإخواناً لما خُوِّلْتُ دوني
فلمّا مَرَّ مالي باعدوني ولما عاد مالي عاودوني

ومن أشعار اليهود ويُغنّى به :

صوت

[من المنسرح]

هل تعرِف الدارَ خفَّ ساكنُها بالحِجْرِ فالمُسْتَوى إلى ثمدِ
دار لبهنانةٍ خَدَلَجَّةٍ تضحك عن مثل جامد البرَدِ[1]
نِعمَ ضجيعُ الفتى إذا برد الليلُ وغارت كواكبُ الأسدِ
يا مَن لقلبٍ متيَّم سَدِمٍ عانٍ رهينٍ أُحيط بالقفدِ[2]
أزجرُه وهْو غيرُ مُزدجرٍ عنها وطرفي مقارِنُ السُّهُدِ
تمشي الهوينا إذا مشت فُضُلاً مشي النزيفِ المبهورِ في صَعَدِ[3]
تظلّ من زَوْرِ بَيْتِ جارتها واضعةً كفّها على الكبِدِ

الشعر لأبي الزّناد اليهوديّ العديمي ، والغناء لابن مسجح ثقيل أوّل بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأول ، عن الهشاميّ ويحيى المكّي ، وفيها لمعبد خفيف ثقيل أوّل عن الهشاميّ ، وقال : أظنّه من منحول يحيى بن المكيّ ، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح ، ولابن محرز في «يا من لقلب» . وما بعده خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو أنّ فيها لحناً لمعبد لم يذكر طريقته ، وذكر ذلك في كتاب عمله الواثق قديماً غير مجنّس ، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد في أهل تيماء يرثيهم ، وذكر ذلك عمر بن شبّة : ومن الغناء في أشعار اليهود من قُريظة والنّضير : [من البسيط]

---

1 البهنانة : الطيبة النفس والريح ، والضحوك الخفيف الروح . الخدلّجة : الممتلئة الساقين والعضدين .

2 سدم : عاشق سدم : شديد العشق .

3 فضل : مختالة في مشيتها ، تفضل من ذيل ردائها . النزيف : المنتشي من السكر ونحوه . المبهور : من انقطع نفسه من الإعياء .

صوت

دورٌ عَفَتْ بِقُرى الخابورِ غَيَّرَها بعــدَ الأَنيسِ سَوافي الرِّيحِ والمطرُ
إن تُمسِ دارُكَ مِمَّنْ كان ساكنَها وحشا فَذَلِكَ صَرفُ الدَّهرِ والغِيَرُ
وقــد تحُــل بهــا بِيض ترائبُها كأنّها بــين كُثْبانِ النَّقـا البقرُ[1]

الشعر للربيع بن أبي الحُقيق ، روى ذلك السكريّ ، عن الطوسيّ ، وعن محمد بن حبيب ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهو صوت مشهور ابتداؤه نشيد .

1 الترائب : عظام الصدر مما يلي الترقوتين ، أو موضع القلادة ، مفردها تريبة .

[470] ـ أخبار الربيع بن أبي الحقيق

[الربيع رئيس لبني قريظة]

كان الربيع من شعراء اليهود من بني قريظة ، وهم وبنو النضير جميعاً من ولد هارون بن عمران ، يقال لهما : الكاهنان ، وكان الربيعُ أحدَ الرؤساء في يوم حرب بُعاثَ ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه ، فكانت رياسة بني قريظة للربيع ، ورياسة الخزرج لعمرو بن النُّعمان البياضيِّ ، وكان رئيسَ بني النضير يومئذٍ سلامُ بن مشْكَمٍ .

[يلتقي بالنابغة الذبيانيّ]

أخبرني عمّي ومحمد بن حبيب بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد ، قال : حدّثني محمد بن الحسن الأنصاريُّ ، قال : حدّثني الحسن بن موسى ؛ مولى بني مازن بن النجّار عن أبي عبيدة قال : أقبل النابغة الذبيانيّ يريد سُوقَ بني قَيْنُقاعَ ، فلحقه الربيع بن أبي الحقيق نازلاً من أُطُمِه ، فلمّا أشرفا على السوق سمعا الضَّجّة ، وكانت سوقاً عظيمة ، فَحاصَتْ[1] بالنابغة ناقته ، فأنشأ يقول : [من البسيط]

كادت تُهال من الأصوات راحلتي[2]

ثم قال للربيع بن أَبي الحقيق : أَجِز يا ربيع ، فقال : [من البسيط]

والنَّفْرُ منها إذا ما أُوجَسَتْ خُلُق

فقال النابغة : ما رأَيتُ كاليوم شِعراً ، ثم قال : [من البسيط]

لولا أُنَهْنِهُها بالسَّوطِ لاجْتَذَبتْ[3]

أَجِز يا ربيع ، فقال : [من البسيط]

منِّي الزمام وإنِّي راكبٌ لَبِق

فقال النابغة : [من البسيط]

قد ملَّتِ الحَبْسَ في الآطامِ واسْتَعفَتْ

أَجِز يا ربيع ، فقال : [من البسيط]

---

1 حاصت ناقته : نفرت ، وحادت .

2 تهال : يعتريها الهول .

3 أنهنهها : أزجرها

إلى مناهِلِهــا لــو أَنَّهــا طُلُق

فقال النابغة: أنت يا ربيع أشعر النّاس.

[أبان بن عثمان يتمثّل بأبياته]

حدَّثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ، ومحمد بن العبّاس اليزيديّ، قالا: حدَّثنا عمرُ بنُ شَبَّة قال: حدَّثني الحِزاميُّ قال: حدَّثني سعيد بن محمد الزُّبيريّ، قال: حدَّثنا ابن أبي الزّناد، عن أبيه قال: قَلَّ ما جَلَسْتُ إلى أبانَ بن عثمان إلاّ سمعتُه يتمثَّل بأبيات ابن أبي الحُقَيق: [من المتقارب]

سئِمْتُ وأَمْسَيْتُ رهــنَ الفِرا ش مِن جُرْمِ قومي ومن مَغْرَمِ

ومن سَفَهِ الرّأي بعــد النُّهى وغَيْــبِ الرشادِ، ولم يُفْهَمِ

فلــوْ أنَّ قومــي أطاعوا الحلـ ــيمَ لم يتَعــدَّوْا ولم نُظْلَمِ

ولكنّ قومــي أطاعُوا الغُوا ةَ حتى تعكّص أهــلُ الدمِ[1]

فأودى السّفيهُ بــرأي الحلـ ــيم وانْتَشَرَ الأَمــرُ لم يُبْرَمِ

[يعاتب قوماً من الأنصار]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدَّثنا مُعاذ، عن أبي عبيدة قال، قال الربيع بن أبي الحقيق يعاتب قوماً من الأنصار في شيء بينهم وبينه: [من الطويل]

رأيتُ بني العنقاء زَالُوا ومُلْكُهُمْ وآبُوا بأَنْفٍ في العشيرة مُرْغَمِ

فإن يُقْتَلُوا نَنــدمْ لذاك وإن بقُوا فــلا بــدَّ يوماً من عُقُوقٍ ومأثَمِ

وإنّا فُويــقَ الرأسِ شؤبوبُ مُزْنَةٍ لها بَرَدٌ ما يغشَ مِ الأرضِ يَحْطِمِ[2]

صوت

[من الرمل]

ولنــا بئــرٌ رَواءٌ جَمَّـــةٌ مَــن يردْهــا بإنــاءٍ يغتَرِفْ[3]

تُدْلِــجُ الجــونُ على أكنافها بدِلاءٍ ذاتِ أمــراسٍ صُدُفْ[4]

---

1 تعكص أهل الدم: ضنوا.

2 الشؤبوب: الدفعة من المطر.

3 الرواء: الماء العذب، أو الكثير الذي يرتوي منه.

4 تدلج: تسير ليلاً. الجون: الإبل السوداء. أكنافها: جوانبها ونواحيها. أمراس: حبال. صدف: جمع صدوف، وهي المرأة تعرض لك وجهها ثم تصدف عنك.

كلّ حاجاتــيَ قَــد قَضَّيتها   غيرُ حاجاتيَ من بطن الجُرُفْ[1]

الجرف : موضع لهم ، بالجيم معجمة .

الشعر لكعب بن الأشرف اليهوديّ ، والغناء لمالك ثقيل أوّل عن يحيى المكّيّ ، قال : وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل ، ولمعبد ثاني ثقيل قال يحيى في كتابه : وقد خلط الرّواة في ألحانهم ، ونسبوا لحنَ كلٍّ واحد منهم إلى صاحبه ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لابن جامع خفيفَ رمل بالبنصر ، وفيه لجُعْدُب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس .

1 بطن الجرف : موضع قرب المدينة .

[471] ـ أخبار كعب ونسبه ومقتله

[اسمه ونسبه]

كعبُ بنُ الأشرف مُختلَفٌ في نسبه ، فزعم ابن حبيب أنّه من طيّىء ، وأمّه من بني النَّضير ، وأنّ أباه توفّي وهو صغير ، فحملته أمّه إلى أخواله ، فنشأ فيهم ، وساد ، وكبر أمره ، وقيل : بل هو من بني النَّضير .

وكان شاعراً فارساً ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيرِه في الحروب التي كانت بين الأوْس والخزرج ، تُذكر في مواضعها إن شاء الله تعالى ـ وهو شاعر من شعراء اليهود فَحْل فصيح ، وكان عدوّاً للنبيّ ﷺ يهجوه ، ويهجو أصحابَه ، ويُخَذِّل عنه العربَ ، فبعث النبيّ ﷺ نفراً من أصحابه ، فقتلوه في داره .

[ذكر خبره في ذلك]

كان كعب بن الأشرف يهجو النبيَّ ﷺ ، ويُحرِّض عليه كُفّارَ قريش في شعره ، وكان النبيّ ﷺ قدِم المدينة ، وهي أخلاط ، منهم المسلمون الذين تجمَعُهم دعوةُ النبيّ ﷺ ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوْثان ، ومنهم اليهود ، وهم أهل الحلقة[1] والحصون ، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج ، فأراد النبيّ ﷺ ، إذ قدم ، استصلاحَهم كلَّهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك ، ويكون مسلماً وأخوه مشرك ، وكان المشركون واليهود حين قدِم النبيّ ﷺ يؤذونه وأصحابَه أشدّ الأذى ، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصّبر على ذلك والعفوِ عنهم ، وأنزل في شأنهم : ﴿ولَتَسْمَعُنَّ من الذين أُوتُوا الكتابَ من قبلِكم﴾[2] الآية . وأنزل فيهم : ﴿وَدَّ كثيرٌ من أهلِ الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم﴾[3] إلى قوله : ﴿ واصفحوا﴾ فلمّا أبي كعبُ بنُ الأشرف أن ينزِع عن أذى النبيّ ﷺ وأصحابه أمر النبيّ ﷺ سعدَ بن معاذ أن يبعث إليه رهطاً ، فيقتلوه ، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبْسِ بنَ جُبير ، والحارث بن أخي سعد ، في خمسة رهط ، فأتوه عشيّة ، وهو في مجلس قومه بالعوالي ، فلمّا رآهم كعب أنكر شأنَهم ، وكان يُذْعَر منهم ، فقال لهم : ما جاء بكم ؟

---

1 الحلقة : يراد بها حلقة القوم ، أو حلقة البئر .

2 سورة آل عمران ، الآية : 186 .

3 سورة البقرة ، الآية : 109 .

فقالوا : جئنا لنبيعَك أدراعاً نستَنْفِق أثمانها ، فقال : والله لئن فعلتم ذلك لقد جُهِدتُم[1] مُذْ نـزل بكـم هذا الرجل ، ثم واعدهم أن يأتوه عشاءً حين تهدأ أعينُ النّاس ، فجاؤوا ، فناداه رجلٌ منهم ، فقام ليخرج ، فقالت امرأته : ما طرقوك ساعتَهم هذه بشيءٍ ممّا تحبّ ، فقال : بلى إنّهم قد حدّثوني حديثَهم ، وخرج إليهم ، فاعْتَنَقَهُ أبو عبس ، وضربه محمد بنُ مَسلمة بالسيف في خاصرته ، وانحنوا عليه ، حتى قتلوه ، فرُعِبَتْ اليهود ومَنْ كان معهم من المشركين ، وغدوا على النبيّ ﷺ ، فقالوا : قد طُرِق صاحبنا الليلة ، وهو سيِّد من سادتنا ، فقتل ، فذكر لهم ﷺ ما كان يُؤذَى به في أشعاره ، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتاباً ، فكُتِبـت الصحيفة بذلك في دار الحارث ، وكانت بعد النبيّ ﷺ عند عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

صوت

[من البسيط]

هل بالديار التي بالقاع من أحدِ باقٍ فيسمَعَ صَوتَ المُدْلج الساري
تلك المنازلُ من صَفراءَ ليس بها نــارٌ تضيء ولا أَصوات سُمَّارِ

ويروى : «ليس بها حَيٌّ يُجيب» .

الشعر لبيهسٍ الجرْميّ ، والغناء لأحمدَ بن المكيّ ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وقال عمرو بن بانة : فيه ثاني ثقيل بالبنصر ، يقال : إنّه لابن محرز ، وقال الهشاميّ : فيه لطياب بن إبراهيم خفيف ثقيل ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء .

[من الكامل]

ارفع ضعيفكَ لا يَحُرْ بك ضعفُهُ[2]

---

1 جهدتم : افتقرتم ، وساءت حالكم .

2 لا يحر بك ضعفه : لا يرجع بك ضعفه عن نصرته .

[472] ـ أخبار بيهس ونسبه

[نسبه]

بَيْهسُ بن صُهَيب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عُبَيد بن علقمة بن سعيد بن كثير بن غالب بن عَديّ بن بَيهس بن طَرُود بن قدامة بن جَرم بن الديان بن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

ويكنى أبا المقدام : شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يبدو[1] بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعُذرة ، ويحضر إذا حضروا ، فيكون بأجناد الشام ، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة ، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن ، وبَعضُ أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر .

[من هي صفراء]

وقد اختلف الرّواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا ، فذكر القَحْذَميّ أنّها كانت زوجتَه وولدت له ابناً ، ثم طلّقها ، فتزوّجت رجلاً من بني أسد ، وماتت عنده ، فرثاها . وذكر أبو عمرو الشيبانيّ أنّها كانت بنتَ عمّه دِنْيَةً[2] ، وأنّه كان يهواها فلم يُزَوَّجْها ، وخطبها السديُّ ، وكان مُوسِراً ، فزُوِّجَها .

قال أبو عمرو : وكان بيهس بن صُهيب الجرميّ يهوى امرأة من قومه ، يقال لها ، صفراءُ بنتُ عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل ، وهي بنتُ عمّه دِنْيَةً ، وكان يتحدّث إليها ، ويجلس في بيتها ، ويكتم وَجْدَهُ بها ، ولا يُظهِره لأحد ، ولا يخطبها لأبيها ؛ لأنّه كان صعلوكاً لا مال له ، فكان ينتظر أن يُثْرِيَ ، وكان من أحسن الشباب وجهاً وشارةً وحديثاً وشِعراً ، فكان نساء الحيِّ يتعرّضْنَ له ، ويجلسْن إليه ويتحدّثن معه ، فمرّت به صَفْراء ، فرأته جالساً مع فتاة منهن ، فهجرته زماناً لا تُجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ، وعرض له سفر ، فخرج إليه ، ثم عاد ، وقد زوّجها أبوها رجلاً من بني أسد ، فأخرجها ، وانتقل عن دارهم بها ، فقال بيهسُ بنُ صُهيب : [من الطويل]

---

1 يبدو : يسكن البادية .

2 دنية : قريب لاصق .

سقى دمنةً صفراءِ كانت تَحلُّها ... بنــوءِ الثُّريّــا طلُّهــا وذِهابُها[1]
وصابَ عليهــا كلُّ أسحمَ هاطلٍ ... ولا زال مخضرّاً مَرِيعــاً جنابُها[2]
أَحَبُّ ثَرى أرضٍ إليَّ وإن نأت ... مَحلُّـكِ منهــا نَبْتُهــا وترابُها
على أنّها غضبــى عــليّ وحَبّــذا ... رِضاها إذا مــا أُرضِيَتْ وعتابُها
وقد هــاج لي حيناً فراقُك غُدوَةً ... وسعيُك في فيفاءَ تعْـوي ذئابُها[3]
نظرتُ وقــد زال الحمُولُ ووازنوا ... بِركوةَ والوادي وخفَّــتْ رِكابُها
فقلتُ لأصحابي : أَبِالقــرب منهمُ ... جرى الطيرُ أم نادى ببينٍ غرابُها ؟

[يرثي صفراء]

قال أبو عمرو : ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجُها ، فقال بيهسٌ يرثيها : [من البسيط]

هل بالديار التي بالقاعِ مــن أحدٍ ... باقٍ فيسمعَ صوتَ المُدلِجِ الساري
تلك المنازل من صفراءَ ليس بها ... نــارٌ تضيء ولا أصواتُ سُمّارِ
عَفَّــتْ معارفَهــا هُــوجٌ مُغَبَّرَةٌ ... تَسفي عليها ترابَ الأَبْطَحِ الهاري[4]
حتــى تنكَّرتُ منهــا كلَّ مَعْرِفَةٍ ... إلاّ الرَّمادَ نخيــلاً بــين أَحجارِ
طال الوقوفُ بها والعينُ تسبِقُني ... فوقَ الرِّداء بَوادي دَمْعِها الجاري[5]
إن أُصْبحِ اليومَ لا أهلٌ ذوو لَطَفٍ ... أَلْهو لديهم ولا صفراءُ في الدّارِ[6]
أَرعــى بعيني نجــومَ الليل مرتقباً ... يا طُولَ ذلك مــن هَمٍّ وإسْهارِ[7]
فقد يكونُ ليَ الأَهلُ الكِرامُ وقد ... أَلْهُو بصفراءَ ذاتِ المنظرِ الواري[8]
مــن المَواجدِ أَعْراقــاً إذا نُسِبَتْ ... لا تَحرِمِ المالَ عن ضَيفٍ وعن جارِ[9]

1 بنوء في ل : نجاء . ونوء الثريا : مطرها .
2 صاب المطر ونحوه : انصب . اسحم : أسود .
3 الفيفاء : القفراء . وفي ل : خشناء .
4 هوج في ل : هوجاء . والهاري : تخفيف الهارىء .
5 بوادي دمعها : ظواهره .
6 اللطف : اليسير من الطعام .
7 مرتقباً في ل : مرتفقاً .
8 الواري : السمين .
9 المواجد : جمع ماجده .

لم تَلقَ بؤساً ولم يَضْرر لها عَوَزٌ ولم تُزخِّفْ مع الصّالي إلى النّارِ[1]
كذلك الدَّهرُ إنّ الدَّهرَ ذو غِيَرٍ على الأنـــامِ وذو نقضٍ وإمْرارِ[2]
قد كاد يعتادني من ذكرِها جَزَعٌ لولا الحيـــاءُ ولولا رهبـــةُ العارِ
سقى الإلهُ قبـــوراً في بني أسدٍ حول الرَّبيعة غَيْثاً صوبَ مدرارِ[3]
مَنِ الذي بعدكم أرضى بـــه بدلاً أو مَنْ أُحَدِّثُ حاجاتي وأَسْراري ؟

[يقف وصحبه على قبرها وينشد]

قال أبو عمرو : واجتاز بيهسٌ في بلاد بني أسد ، فمرَّ بقبر صفراء ، وهو في موضع يقال له الأحَصُّ ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد ، فأوسعوا لهم ، وكان بينهم صِهرٌ وحِلْف ، فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه : ألا ترحل ، فقال : أما والله ، حتى أظلّ نَهاري كلَّه عنده ، وأقضيَ وطراً فنزلوا معه عند قبرها ، فأنشأ يقول ، وهو يبكي : [من الطويل]

أَلِمَّـــا على قَبرٍ لصفراءَ فاقـــرآ السّلام وقـــولا حَيِّنـا أَيُّها القبرُ
وما كان شيئاً غير أن لستُ صابراً دعاءَكَ قبراً دونـــه حِجَجٌ عَشْرُ
برابيـــةٍ فيهـــا كِـــرامٌ أحِبّـــةٌ على أنَّهـــا إلاّ مضاجعَهـــم قَفرُ
عشيَّةَ قال الرّكبُ من غَرَضٍ بنا تروّحْ أبا المقدام قد جنَح العصرُ[4]
فقلتُ لهـمُ : يـــومٌ قليلٌ وليلةٌ لصفراءَ قد طال التجنُّبُ والهَجرُ
وبِتُّ وبـــات الناسُ حَولِيَ هُجّداً كأنَّ عليَّ اللّيلَ مـــن طوله شهرُ
إذا قلتُ هـــذا حين أُهجَع ساعة تطاول بـــي ليـــلٌ كواكبُهُ زُهرُ
أقولُ إذا ما الجنبُ مَـلَّ مكانَه أشوكٌ يُجافي الجَنْب أم تحته جمْرُ ؟
فلو أنَّ صَخْراً مـــن عَمايةَ راسياً يقاسي الذي أَلقى لقد مَلَّه الصخرُ[5]

قال : وأمّا القحذميّ فإنّه ذكر فيما أخبرني به هاشم بن محمد الخزاعيّ ، عن عيسى بن إسماعيل تينَةَ عنه ، أنّه كان تزوّجها ، ثم طلّقها بعد أن ولدت منه ابناً ؛ فتزوّجها رجل من بني أسد ، فماتت عنده ، وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً ممّا تقدّم ذكره .

1 لم تزخَف : من زخفت المرأة العجين إذا أكثرت ماءه وفي ل : ترجّف .
2 النقض والإمرار : ضدان : الأول فك الحبل ، والثاني فتله .
3 الربيعة : مكان قبر صفراء ، صوب مدرار . مطر سحابة هطّالة .
4 الغرض : الضجر والملال .
5 عماية : اسم جبل

وذكر أنّ بيْهسَ بن صُهَيْب كان من فُرسانِ العرب ، وكان مع المهلّب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام .

[يتّهم في قتيل]

قال : أبو عمرو : ولمّا هدأت الفتنة بعد مرج راهط ، وسكن النّاس مرَّ غلامٌ من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب ، وكانوا متجاورين على ماء لهم ؛ فيقال : إنّ بعض أحداثهم نخس «بيْهسٌ» به ناقتَه فألقته ، فاندقّت عنقُه ، فمات ؛ فاستعدى قومُه عليهم عبد الملك ، فبعث إلى تلك البطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فحبسهم ، وهرب بيهس بن صهيب الجَرْميّ ، وكان قد اتّهم أنّه هو الذي نَخَس به ، فنزل عَلى محمد بن مروان فعاذَ به ، واستجاره ، فأجاره إلاّ من حدٍّ توجبه عليه شَهادة ، فرضي بذلك ، وقال هو متوارٍ عند محمد : [من الوافر]

لقد كانتْ حوادثُ معْضلاتٌ ... وأيّــامٌ أغصَّت بـالشّرابِ

ومـا ذنـبُ المعاشرِ في غلامٍ ... تقطّر بـين أحواض الجِبابِ[1]

على قَـوْداء أفرطهـا جِلالٌ ... وغضٌّ فَهـي باقيــةُ الهبابِ[2]

ترامــت باليديــن فأرهقتـه ... كما زلَّ النَّطيح مــن القبابِ[3]

فإنّي والعِقابَ ومـا أرجّــي ... لكالسَّاعِي إلى وَضَحِ السَّرابِ

فلمّا أن دَنـا فــرجٌ بربّي ... يكشِّف عــن مُخفَّقةٍ يتبابِ

من البُلدانِ ليس بهـا غَريبٌ ... تَخُبّ بأرضهـا زُلُّ الذّئابِ[4]

فظنّــي بالخليفــةِ أنَّ فيــه ... أمانــاً للبــريء وللمصابِ

وأنَّ محمــداً سيعـود يومـاً ... ويرجعُ عن مراجَعةِ العِتابِ[5]

فيجبر صِبْيَتي ويَحوط جاري ... ويُؤْمِن بعدهـا أبـداً صِحابي

هــو الفرعُ الذي بُنِيَتْ عليه ... بُيوتُ الأطيبين ذوي الحِجابِ

---

1 تقطر : وقع على قطره من علو . الجباب : اسم مكان .

2 القوداء : الطويلة العنق والظهر . أفرطها جلال : ضخمة .

3 القباب في ل : الحقاب .

4 زل : جمع أزل : السريع العدو الخفيف الوركين .

5 ويرجعُ في ل : ويعجل .

قال : فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً في أمرهم مع أخيه ، حتى أمَّن بيهسَ بن صهيب وعشيرته ، واحتمل ديةَ المقتول لقيس وأرضاهم .

صوت

[من الكامل]

نزل المشيبُ فمـا لــه تحويلُ ومضى الشّبابُ فما إليه سبيلُ
ولقـد أُراني والشَّبابُ يقودُني ورداؤه حسنٌ عـــليَّ جميلُ

الشعر للكميت بن معروف الأسديّ ، والغناء لمعبد خفيف ، ولحنه من القدْر الأوسط ، من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

[473] ـ أخبار الكميت بن معروف ونسبه

[نسبه]

هو الكُمَيْتُ بنُ معروف بنِ الكُميت بن ثعلبةَ بن ربابِ بن الأَشْتر بن جحوانَ بن فقعسِ بن طَرِيف بن عَمْرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان بن أَسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

شاعر من شعراء الإسلام بدَويّ ، أمّه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل بن نضلة .

[في أسرته شعراء وشواعر]

والكميت أحد المُعرِقين في الشعر ، أَبوه معروف شاعر ، وأمّه سعدة شاعرة ، وأخوه خيثمة أعشى بني أسد شاعر ، وابنه معروف بن الكميت شاعر .

فأمّا أبوه فهو القائل لعبد الله بن المُساورِ بن هند : [من الطويل]

إنَّ مُناخي أَمسِ يــا ابنَ مُساورٍ   إليك لَمِنْ شُرْب النُّقاخ المُصَرَّدِ[1]

تباعدتَ فوق الحقّ من آل فقعسٍ   ولم ترجُ فيهم رِدَّةَ اليومِ أو غدِ[2]

وقلتَ غِنًى لا فقرَ في العَيْشِ بعدَه   وكلُّ فَتًــى للنائبــاتِ بمَرْصَدِ

كأنّك لم تعلــمْ محــلَّ بيُوتِكم   مــع الحــيّ بـين الغور والمُتَنَجَّدِ

فلولا رجال مــن جَذيمة قَصْرةً   عَدَدْت بلائي ثم قلت له اعدُدِ[3]

[أمه تؤنبه وترثيه]

وأُمُّه سُعدةُ القائلة له ، وقد تزوَّج بنتَ أَبي مَهْوش على مراغمة لها ، وكراهة لذلك ، فغضبت سُعدةُ وقالت فيه : [من الطويل]

عليكَ بأنقاضِ العراقِ فقــدْ عَلَتْ   عليكَ بتَخديــن النّساء الكرائمِ[4]

لعمري لقد راش ابنُ سُعدةَ نَفسَه   بريش الذُّنابــى لا بريش القَوادمِ[5]

---

1 النّقاخ : الماء العذب البارد . المصرد : من صرد العطاء : قلله ، وصرد الإناء : وضع فيه ماء لا يكفي للشرب .

2 آل فقعس : قبيلة الشاعر .

3 قصرة : داني النسب .

4 بتخدين النساء : باتخاذهنّ أخدانا .

5 القوادم : ريشات عشر أو أربع في مقدمة جناح الطائر .

بَنى لـك معروفٌ بناءً هدمتَهُ ... ولِلشَّرف العاديِّ بانٍ وهادِمُ[1]

وهي القائلة ترثي ابنَها الكُمَيْت : [من الطويل]

لأُمِّ البلادِ الويلُ ماذا تضمَّنَت ... بأَكْناف طورى من عَفافٍ ونائلِ
ومن وَقَعاتٍ بالرِّجالِ كأنَّها ... إذا عَنَّت الأَحداثُ وقْعُ المناصلِ[2]
يُعزّي المُعزّي عن كُمَيْتٍ فتنتهي ... مقالتُه والصَّدرُ جمٌّ البَلابِلِ

[أخوه يرثيه]

وأَعشى بَني أَسد أَخو الكميت ، واسمُه خَيْثَمةُ ، الذي يقول يرثي الكُمَيت غيرَه من أهل بيته : [من البسيط]

هوِّن عليك فإنَّ الدَّهرَ منجدبٌ ... كلُّ امرىءٍ عن أَخيه سوفَ ينْشَعِبُ[3]
فلا يُغرَّنْكَ مِن دهرٍ تقلُّبُه ... إنَّ اللَّيالي بالفتيانِ تنقلِبُ
نام الخليُّ وبتُّ الليلَ مُرتفِقاً ... كما تزاور يخشى دفَّه النَّكِبُ[4]
إذا رجعتُ إلى نفسي أُحدِّثُها ... عمَّن تضمَّن من أَصحابيَ القُلُبُ[5]
من إخوةٍ وبني عمٍّ رُزِئْتُهُمُ ... والدَّهْرُ فيه على مستعتِبٍ عَتَبُ
عاودتُ وجداً على وجدٍ أُكابِدُه ... حتى تكاد بناتُ الصَّدْرِ تلتهبُ[6]
هل بعدَ صخرٍ وهل بعد الكميتِ أَخٌ ... أَم هل يعودُ لنا دهرٌ فنصطحبُ ؟
لقد علمتُ ولو مُلِّيت بعدَهُم ... أَنّي سأنهل بالشِّربِ الذي شربوا[7]

[ابنه معروف يتغزّل]

ومعروف بن الكميت القائل : [من البسيط]

قد كنت أحسبني جَلْداً فهيَّجني ... بالشيبِ منزِلةٌ من أُمِّ عمَّارِ

---

1 معروف : أبو الكميت . العادي : العتيق .
2 عنَت في ل : عَيَّتِ .
3 منجدب : مطاوع جدبه : ذمّه ، وعابه .
4 مرتفقاً : متكئاً على مرفقي . تزاور : مال وانحرف . دفه : جنبه . النكب : المصاب في منكبه .
5 القلب : جمع قليب بمعنى البئر .
6 أكابده في ل : أكيد به . بنات الصدر : كناية عن الضلوع .
7 ولو مليت : ولو أمهلت .

كانت منازلَ لا ورهــاءَ جافيــةٍ على الحــدوجِ ولا عُطْلاً بمقفارِ[1]
ومــا تَجاوُزُنـا إذ نحـنُ نسكنها ولا تَفَرُّقُنـــا إلاّ بمقــــدارِ

صوت

[من الطويل]

أرقــتُ لبرق دُونَــه شَذَوانِ يمانٍ وأَهـوى البرَقَ كلَّ يماني[2]
فليت القِلاصَ الأُدْمَ قد وخدَت بنا بــوادٍ يمــانٍ ذي رُباً ومَحاني[3]

الشعر ليعلى الأحولِ الأزديَّ ، وجدت ذلك بخطّ أَبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد في شعر الأزد ، وقال عمرُو بن أَبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه : هي ليعلى الأحْول ، كما رَوى غيرُه ، قال : ويقال : إنّها لعمرو بن أبي عمارة الأزديّ من بني خُنَيس ، ويقال : إنّها لجوَّاس بن حيانَ من أزد عمان .

وأوّل هذه القصيدة ، في رواية أَبي عمرو ، أبيات فيها غناء أيضاً وهي : [من الطويل]

صوت

أَوَيْحكما يا واشِيَيْ أُمّ مَعْمَرٍ بمَن وإلى مَنْ جئتما تَشيانِ ؟
بمَن لــو أُراه عانيــاً لفدَيْتُهُ ومَن لــو رآني عانيــاً لفَداني

لِعَريب في هذين البيتين ثَقِيل أوّل ، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته ، وقال ابنُ المكّيّ : لمحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كلّها .

---

1 الورهاء : المرأة الكثيرة الشحم . الحدوج : جمع حِدج وهو مركب من مراكب النّساء كالهودج .
2 شذوان : مثنى شذا : شجر تتخذ من المساويك .
3 القلاص الأدم : النوق السمراء .

[474] ـ أخبار يعلى ونسبه

[نسبه]

يعلى الأحولُ بنُ مسلم بن أَبي قيس ، أحدُ بني يَشكُر بن عمرو بن رالان ، ورالانُ هو يشكر ، ويشكر لقب لُقِّب به ، بن عمران بن عمرو بن عديّ بن حارثة بن لوذان بن كهف الظلام ، هكذا وجدته بخَطّ المبرِّد ، بن ثعلبة بن عمرو بن عامر .

[شاعر فاتك خليع]

شاعر إسلاميّ لصّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكّة عند نافع بن عَلْقَمَة الكِنانيّ في خلافة عبد الملك بن مروان .

قال أبو عمرو : وكان يعلى الأحولُ الأزديُّ لِصّاً فاتكاً خارباً ، وكان خليعاً ، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم ، فيغيرُ بهم على أحياء العرب ، ويقطع الطريق على السَّابلة ، فَشُكي إلى نافع بن علقمةَ بن الحارث بنِ محُرَث الكنانيّ ثم الفقيميّ ، وهو خال مروان بن الحكم ، وكان واليَ مكّة ، فأخَذ به عشيرته الأزْدِيِّين ، فلم ينفعه ذلك ، واجتمع إليه شيوخ الحَيّ فعَرفّوه أنّه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب ، وأنّه لو أخَذَ به سائِرَ الأزدِ ما وضع يده في أيديهم ، فلم يقبل ذلك منهم ، وألزمهم إحضارَه ، وضَمَّ إليهم شُرَطاً يطلبونه إذا طرق الحيّ حتى يجيئوه به .

[يسلّمه قومه إلى الحاكم]

فلمّا اشتَدَّ عليهم في أُمره طلبوه ، حتى وجدوه ، فأُتوا به ، فقيّده وأودعه الحبس .

[قصيدته في سجنه]

فقال في محبِسه : [من الطويل]

أرِقـتُ لبـرقٍ دونـه شَذَوانِ ... يَمـانٍ وأَهـوى البرقَ كلَّ يمانِ

فبِتُّ لـدى البيت الحرام أشِيمُهُ ... ومِطْوايَ مـن شوقٍ لـه أرِقانِ[1]

المِطْو : الصاحب .

إذا قلتُ : شِيماه يقولان والهوى ... يصادف منّـا بعض مـا تريانِ

جرى منه أطرافُ الشرى فمشيَّعٌ ... فأَبيـانُ فالحَيَّـانِ مـن دَمرانِ[2]

---

1 أشيم من شام البرق ونحوه : تطلع إليه ليرى أين يقع مطره .

2 مشيّع وأبيان ، ودمران : أماكن .

فمرّانُ فالأقْباصُ أقبــاصُ أملَجٍ ... فماوانِ مـــن ودايهما شَطِنانِ[1]
هنالك لــو طَوَّفْتمــا لوجدتما ... صديقاً مـــن اخوانٍ بها وغوانِ
وعزْفُ الحمامِ الوُرْقِ في ظلِّ أيكةٍ ... وبالحيِّ ذي الرَّوْدَين عزفُ قيانِ[2]
ألا ليت حاجاتي اللواتي حَبَسْنَني ... لدى نافـــعٍ قُضِّينَ منــذ زمانِ
ومــا بِــيَ بغضٌ للبلادِ ولا قِلًى ... ولكـــنَّ شوقــاً في سواه دَعاني
فليتَ القِلاصَ الأُدم قد وخَدت بنا ... بوادٍ يمــانٍ ذي رُبــاً ومحاني
بــوادٍ يمانٍ يُنبِت السِّدرَ صدرُه ... وأسفلــه بالمــرخِ والشَّبَهانِ[3]
يدافعنــا مـــن جانبيــه كليهما ... عزيفــان مـــن طرفائه هَدِبانِ[4]
وليت لنا بــالجوز واللوز غيلــة ... جناها لنا مـــن بطن حلية جاني

الغيلة : شجر الأراك إذا كانت رطبة ، ويروى في موضع : من بطن حلية : من حبِّ جيحة .

وليتَ لنا بالدِّيــك مُكّــاءَ روضةٍ ... على فَنَنٍ مـــن بطن حليةَ داني[5]
وليت لنا مـــن مـــاء حزنة شربةً ... مبردةً باتـــت عـــلى طهمانِ[6]

ويروى : من ماء حمياء .

صوت

[من الكامل]

إنّ السلامَ وحُسنَ كلِّ تحيّـــةٍ ... تغــدو على ابن مجـــزٍ وتروحُ
هلا فَدى ابنَ مجـــزٍّ متفحّشٌ ... شَنِجُ اليدين على العطاءِ شَحِيحُ[7]

الشعر لجَوَّاسٍ العُذْرِيّ ، والغناء لسائب خاثر خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّيّ والهشاميّ من رواية حمّاد عن أبيه ، في أخبار سائب خاثر وأغانيه .

---

1 مران وأملح : مكانان . أقباص : جمع قَبِص : مجتمع الرمل الكثير . ماوان : تثنية ماء . شطنان : بعيدان .
2 الرَّودين : تثنية رود : الريح اللينة .
3 المرخ والشبهان : مكانان .
4 عزيفان : تثنية عزيف : صوت الرياح حين تسفي الرمال ، الطرفاء : أنواع من الشجر ، منها الأثل .
5 المكاء : طائر .
6 طهمان : مكان .
7 شنج اليدين : مقبوضهما ، كناية عن البخل .

[475] ـ نسب جواس وخبره في هذا الشعر

[نسبه]

هو جَوَّاس بن قُطْبَةَ العُذريُّ ، أَحدُ بن الأحبِّ رهطِ بُثَيْنَةَ ، وجَوَّاسٌ وأَخوه عبد الله الذي كان يهاجي جَميلاً ابنا عَمِّها دِنْيَةً ، وهما ابنا قُطبةَ بن ثعلبةَ بن الهون بن عمرو بن الأحبِّ بنُ حُنِّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة بن عبيد بن كثير بن عجرة .

[ينافر جميل بن معمر فترجح كفّته]

وكان جوّاس شريفاً في قومه شاعراً ، فذكر أَبو عمرو الشيبانيّ : أَنَّ جميلَ بن عبدِ الله بنِ مَعْمَرٍ لمّا هاجى جَوَّاساً تنافرا إلى يهود تَيْماء ، فقالوا لجميل : يا جميل ، قُلْ في نفسك ما شئت ، فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف ، وقل أنت يا جواس في نفسك وفي أبيك ما شئْت ، ولا تذكرنَّ أنت يا جميل أباك في فخر ؛ فإنّه كان يسوق معنا الغنم بتَيْماء ، عليه شملةٌ لا تُواري استَه ، ونفَّروا[1] عليه جوّاساً ، قال : ونَشِب الشرُّ بين جَمِيل وجوّاس ، وكانت تَحته أمّ الجُسَيْرِ أختُ بثينةَ التي يذكرها جميل في شعره ، إذ يقول : [من الخفيف]

يـــا خَلِيـــلَيَّ إنّ أُمَّ جُسَيْرٍ حين يدنو الضَّجيع مـن عَلَلِهْ
روضةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزامـى جـادَ فيها الرَّبيعُ مـن سَبَلِهْ[2]

[قوم جميل يثأرون منه]

فغضب لجميل نَفرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جوّاس ليلاً وهو في بيته ، فضربوه وعَرَّوْا امرأته أُمَّ الجُسَير في تلك الليلة ، فقال جَميل : [من الطويل]

مـا عَـرَّ جوَّاسَ استُها إذ يسبُّهم بصَقْرَيْ بني سُفيانَ قَيْسَ وعاصمِ[3]
همـا جـرّدا أُمَّ الجُسَيْرِ وأَوقعا أَمـرَّ وأدهـى مـن وَقِيعةِ سالِمِ

يعني سالم بن دارة .

1 نفّروا : نصروا ، وفضلوا .
2 الحنوة : بنات سهل أو الريحان ، أو نوع من الآذريوان . الخزامى : نبت طيب الرائحة . السبل : المطر .
3 عرّ : ساء وضرّ .

فقال جوّاس : [من الطويل]

مــا ضَرِبَ الجَوَّاسُ إلاّ فُجاءةً ... على غفلــةٍ مــن عَيْنِه وهْو نائمُ
فإلاَّ تُعجِّلْنــي المنيَّــةُ يصْطبــح ... بكأسِك حِصْناكم حُصَيْن وعاصِمُ
ويُعطِي بنو سفيان ما شئتُ عَنْوةً ... كما كنــت تُعطِيني وأنفُك راغِمُ

[جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : حجَّ مروانُ بن الحَكَم ، فسار بين يديه جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَر ، وجوَّاسُ بن قطبة ، وجوَّاس بن القَعْطل الكلبيّ ، فقال لجَميل : انزل فسُقْ بنا ، فنزل جميل فقال : [من الرجز]

يا بُثْن حَيّـي وَدِّعينا أوْصِلِي ... وهوِّني الأَمرَ فزُورِي واعْجَلي
ثُمَّت أَيّــاً مـا أَردتِ فافْعَلي ... إنِّي لآتــي مــا أَتيتُ مُؤْتلي[1]

فقال له مروان : عَدّ عن هذا ، فقال : [من الرجز]

أَنا جميــلٌ والحِجــازُ وطني ... فيه هَوى نَفْسي وفيه شَجَني
هــذا إذا كان السّياق دَدَني[2]

[جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان]

فقال لجوَّاس بن قطبة : انزل أنت يا جوّاس فسُق بنا ، فنزل فقال : وقد كان بلغه عن مروان أنّه توعّده إن هاجى جميلاً : [من الطويل]

لستُ بعبــدٍ للمطايــا أسوقها ... ولكنّنــي أرمــي بهــنّ الفَيافِيا
أَتانِيَ عَــن مــرْوانَ بالغيبِ أنّه ... مُبيحٌ دمــي أَو قاطِعٌ من لسانيا[3]
وفي الأرضِ مَنجاة وفُسحَةُ مذهبٍ ... إذا نحــن رقْنــا لهــنّ المثانيا[4]

فقال له مروان : أما إنّ ذلك لا ينفعُك إذا وجب عليك حقّ ، فاركب لا ركبتَ .

[جواس بين القعطل يحدو ركاب مروان]

ثم قال لجَوَّاس بن القَعْطل ، ويقال بل القصّة كلّها مع جوّاس بن قطبة : انزل فارجز

---

1 موْتلي : من ألا الشيء ألوا : استطاعه .
2 الددن : اللهو .
3 مبيح في ل : مقيد .
4 رقنا في ل : رفعنا . المثاني ما يكرر ويثنى من الآيات القرآنية وغيرها ، وهنا أناشيد الحداء .

بنا ، فنزل فقال هذه الأبيات : [من الطويل]

يقول أميري : هل تسوقُ ركابَنا فقلـــتُ : اتّخذ حادٍ لهـنّ سوائِيا
تكرّمتُ عن سَوْقِ المَطيِّ ولم يكن سِياقُ المطايـا هِمَّتـي ورَجائِيا
جعلتَ أبي رِهْناً وعِرْضيَ سادراً إلى أهلِ بيتٍ لم يكونوا كِفائيا[1]
إلى شرِّ بيت مـن قُضاعَة منصِباً وفي شرِّ قـوم منهمُ قـد بَدا لِيا

فقال له : اركب لا ركبتَ .

[عود إلى الصوت وخبر بن مجزز]

والأبيات التي فيها الغناء يرثي بها جوّاس بنُ قُطْبَة العذريُّ علقمةَ بن مجزِّز قال أبو عمْرٍو الشيبانيُّ : وكان عُمَر بنُ الخطّاب رضي الله عنه بعث علقمةَ بن مجزّز الكنانيَّ ثم المدلجيَّ في جيش إلى الحبشة ، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلاّ بإذن الملك ، وإلاّ قوتلوا عليه ، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سُمّاً ، فوردوه مغترين ، فشربوا منه ، فماتوا عن آخرهم ، وكانوا قد أكلوا هناك تمراً ، فنبت ذلك النّوى الذي ألقوه نخلاً في بلاد الحبشة ، وكان يقال له نخل ابن مجزز ، فأراد عمر أن يجهّز إليهم جيشاً عظيماً فشُهِد عنده أنّ رسول الله ﷺ قال : اتركوا الحبشة ما تركوكم ، وقال : وددت لو أنّ بيني وبينهم بحراً من نار ، فقال جوّاس العذريّ يرثي علقمةَ بن مجزِّز : [من الكامل]

إنّ السّلامَ وحُسْنَ كلِّ تحيّـةٍ تغدو على ابن مجزِّز وتَروحُ
فإذا تجرّد حافِراك وأصبحت في الفجرِ نائحـةٌ عليك تنوحُ
وتخيّروا لك من جيادِ ثيابهم كفناً عليك من البَياضِ يلوحُ
فهناك لا تُغنـي مودّةُ ناصحٍ حذراً عليك إذا يُسَدُّ ضريحُ
هلا فَدى ابنَ مجزِّز متفحّشٌ شَنِجُ اليدين على العطاء شحيحُ
متمرِّعٌ ورِعٌ وليس بماجدٍ متملّـح وحديثُـه مقبوحُ[2]

وفيمن هلك مع ابن مجزِّز يقول جوّاس : [من الطويل]

أَلَهْفي لِفتيانٍ كأنّ وجوهَهم دنانيرُ وافت مهْلِكَ ابنِ مُجزِّز

1 الرِّهن : هو رهن مال ونحوه ، أي سائس .
2 المتمرع : طالب المرع : الخصب . ورع : جبان . متملح : يتكلّف الملاحة .

صوت

[من المتقارب]

أَحَبَّتَنــــا بِأَبِـــي أَنْتُـــمُ وسَقْياً لكـــم حيثما كُنْتُمُ
أَطلتمْ عَذابـــي بميعـــادِكُمْ وقلتُم نـــزورُ فمـــا زرتُمُ
فأُمسك قلبِي على لوعتـــي ونَمَّتْ دموعي بمـــا أَكْتُمُ
ففيمَ أسأتـــم وأخلفتُـــمُ وقِدْمـــاً وفَيْتُـــمْ وأَحسنْتُمُ

الشعر لإبراهيم بن المدبر ، والغناء لِعَريب خفيف ثقيل .

[476] ـ أخبار إبراهيم بن المدبِّر

[نشأته]

أبو إسحاق إبراهيم بن المُدَبِّر شاعرٌ كاتب متقدّم من وجوه كتّاب أهل العراق ومتقدّميهم وذوي الجاه والمتصرِّفين في كبار الأعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكّلُ يقدّمه ويؤثره ، ويفضله ، وكانت بينه وبين عَريبَ حالٌ مشهورة ، كان يهواها ، وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة ، قد ذكرتُ بعضها في أخبار عَريبَ ، وأذكر باقيها هاهنا .

[بين يدي المتوكل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةَ قال : حدَّثني إبراهيم بن المدبر قال : مرض المتوكّل مرضة خِيف عليه منها ثم عوفي ، وأُذِن للنّاس في الوصول إليه ، فدخلوا عَلى طبقاتهم كافة ودخلتُ معهم ، فلمّا رآني استدناني ، حتى قُمتُ وراء الفتح ، ونظر إليَّ مُسْتَنطِقاً فأنشدته : [من مجزوء الكامل]

يــومٌ أتانـــا بـالسرورِ فالحمـــد لله الكبيـــرِ
أخلصـتُ فيـه شُكـرَه وَوَفيْـتُ فيــه بالنُّذورِ
لّمــا اعتَللـتَ تَصدَّعتْ شُعَبُ القلوب من الصدورِ
مــن بــين ملتهب الفؤا دِ وبــين مكتئبِ الضميرِ
يا عُدَّتــي للدِّينِ والدُّنْيـ ـا وللخَطْـبِ الخطيرِ
كانت جُفونـي ثَـرَّةَ الْـ ـآماق بالدَّمْـعِ الغَزيرِ
لِمْ لَمْ أمت جزعـاً لعمـ ـرُكَ إنّنـي عـينُ الصبورِ
يومــى هنالـك كالسّنيـ ـنَ وساعتي مِثلُ الشُّهورِ
يـا جعفـرُ المتوكّلُ الـ ـعالي عَلى البـدرِ المُنيرِ
اليـومَ عـاد الديـن غـ ـضَّ العود ذا وَرَقٍ نَضِيرِ
واليـومَ أصبحت الخِـلا فة وهي أرسى من ثَبِيرِ[1]

1 ثبير : جبل .

قــد حالَفتْــكَ وعاقَدَتْــ ـــكَ عَلى مطاولَةِ الدُّهورِ
يـــا رحمـــــةً للعالميــ ـــنَ ويـا ضياء المستَنيرِ
يـــا حجَّـــةَ اللهِ التــي ظَهَرَتْ لـه بهُدًى ونُورِ
لله أنـــتَ فمــــا نشا هِدُ منكَ مــن كَرمِ وخيرِ
حتــى نقــول ومَــنْ بِقُر بِـكَ مـن وليٍّ أو نَصيرِ
البـــدرُ ينطِـــق بيننـــا أَمْ جعفرٌ فوقَ السريرِ !
فـــإذا تواتَـــرتِ العَطَا ئـمُ كُنتَ منقطعَ النَّظيرِ
وإذا تعـــذَّرت العَطـــا يــا كُنتَ فيَّاضَ البُحورِ
تُمضي الصوابَ بلا وزيـ ـــرٍ أو ظهيــرٍ أو مُشيرِ[1]

فقال المتوكّلُ للفتح : إنّ إبراهيمَ لينطق عن نيّة خالصة ، وودٌّ مَحْض ، وما قضينا حقّه ، فتقدَمْ بأن يُحملَ إليه الساعةَ خمسون ألف درهَمٍ ، وتُقدمْ إلى عبيد الله بن يحيى بأن يُولِّيه عملاً سَرِيّاً يَنتفع به .

[المتوكّل ينتقض عليه ويودعه السجن]

حدَّثني عمّي قال : حدَّثني محمد بن داود بن الجرّاح قال : كان أحمد بن المدبِّر ولِيَ لعبيد الله بن يحيى بن خاقان عملاً ، فلم يَحمَد أثرَه فيه ، وعمل عَلى أن يَنْكُبَه . وبلغ أحمدَ ذلك فهربَ ، وكان عُبيد الله منحرِفاً عن إبراهيم ، شديدَ النَّفاسة[2] عليه برأي المتوكّل فيه ، فأغراه به ، وعرّفه خبرَ أخيه ، وادَّعى عليه مالاً جليلاً ، وذكر أنّه عند إبراهيم أخيه ، وأوغر صدرَه عليه حتى أذِن له في حَبْسه ، فقال وهو محبوس : [من الوافر]

تسلْ ليس طولُ الحبس عـاراً وفيــه لنـا مــن اللهِ اختيارُ
فلولا الحبس مـــا بُلي اصطبارٌ ولولا الليـلُ مـا عُرِفَ النّهارُ
ومـا الأيّـــامُ إلاّ مُعْقِباتٌ ولا السلطــانُ إلاّ مستعـارُ[3]
وعن قدرٍ حُبِسْتُ فَلا نَقِيضٌ وفيمـــا قَـــدَّرَ اللهُ الخَيـارُ
سيُفْرَجُ مــا ترينَ إلى قليلٍ مقـــدره وإن طـــال الإسارُ

1 ظهير : معين .
2 النفاسة : نفست عليه الشيء إذا ضننت به ، ولم تحب أن يصل إليه .
3 معقبات : يعقب بعضها بعضاً بالخير والشرّ أو بالنور والظلام .

ولإبراهيم في حبسه أشعار كثيرة حِسانٌ مختارة ، منها قولُه في قصيدة أوّلها : [من الكامل]

أدموعُهـا أم لؤلـؤٌ متناثرٌ ينـدى بـه وَردٌ جنِـيٌّ ناضرُ

يقول فيها :

لا تؤيسَنَّكَ مـن كريم نَبـوةٌ فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ[1]

هذا الزمـانُ تسومُني أيّامُه خَسْفاً وهأنـذا عليـه صابرُ

إن طالَ ليلي في الإسارِ فَطالما أفنيتُ دهـراً ليلُـه متقاصرُ

والحبسُ يحجبُنـي وفي أكنافِه منّي عَلى الضرَّاء ليثٌ خادِرُ[2]

عجباً له كيـف التقت أبوابُه والجودُ فيـه والربيعُ الباكرُ ؟

هلا تقطَّع أو تصدَّع أو وَهـى فَعَذَرْتُـه ؛ لكنّـه بـيَ فاخرُ

ومنها قوله في قصيدة أوّلها : [من الطويل]

ألا طرقتْ سَلْمى لَدى وَقْعَةِ السَّاري فريـداً وحيـداً موثَقاً نازحَ الدارِ[3]

هـو الحبْسُ مـا فيـه عَلَيَّ غَضاضَةٌ وهل كان في حبس الخليفةِ من عارِ !

يقول فيها :

ألستِ ترينَ الخمر يظهرُ حسنُها وبهجتُها بالحبس في الطينِ والقارِ![4]

ومـا أنـا إلاّ كالجوادِ يصُونه مقوِّمه للسَّبْقِ في طَـيٍّ مضمارِ

أو الدُّرّةِ الزهـراءِ في قعر لُجَّةٍ فـلا تُجتَلى إلاّ بهَـولٍ وأخطارِ

وهـل هـو إلاّ منزِلٌ مثلُ منزلي وبيتٌ ودارٌ مثلُ بيتيَ أو داري ؟

فلا تنكري طولَ المَدى وأذى العِدى فإنَّ نهايـاتِ الأُمـورِ لإقْصارِ

لعـلَّ وراءَ الغَيبِ أمـراً يسرُّنا يقدِّرُه في علمِـه الخالِقُ الباري

وإنّي لأرجـو أن أصُولَ بجعفرٍ فأهضمَ أعدائـي وأُدْرِكَ بالثّارِ

[يثني على من خلّصه من سجنه]

فأخبرني عمِّي عن محمدِ بنِ داودَ : أنّ حبسه طال ، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلة

1 ينبو : يبعد في ضربه .

2 أكنافه : نواحيه جمع كنف . الضرّاء : الشدّة والضيق . خادر : ملازم لأجمته .

3 الطرق : الضرب على الباب ليلاً . وقعة الساري : نومته آخر الليل . نازح : بعيد .

4 القار : ما يدهن به سداد الدنان .

مع عَضْل[1] عبيد الله وقصدِه إيّاه ، حتى تخلَّصَه محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر ، وجَوَّد المسألة في أمره[2] ، ولم يلتفت إلى عُبَيد الله ، وبذل أن يحتملَ في ماله كلَّ ما يطالبُ به ، فأعفاه المتوكّل من ذلك ، ووهبه له ، وكان إبراهيم استغاثَ به ومدَحَهُ ، فقال : [من الطويل]

دعوتك من كَرْب فلبَّيتَ دعوتي ... ولم تعترضْني إذ دعوتُ المعاذرُ
إليك وقد حُلِّئتُ أُوردْتُ هِمَّتي ... وقد أعجزتني عن هُمومي المَصادرُ[3]
نمى بـك عبدُ الله في العزِّ والعُلا ... وحـاز لك المجدَ المؤثَّلَ طاهرُ
فأنتم بَنو الدُّنيـا وأملاكُ جوِّها ... وساسَتُهـا والأعظَمـون الأكابِرُ[4]
مآثرُ كانـتْ للحُسَيْنِ ومُصعَبٍ ... وطلحةَ لا تحوِي مَداهـا المفاخِرُ
إذا بذلـوا قيـلَ الغيوثُ البواكرُ ... وإن غَضِبوا قيل الليوثُ الهواصرُ[5]
تطيعكُمُ يَـوْمَ اللقـاءِ البـواترُ ... وتزهو بكـمْ يـوم المقامِ المنابرُ
ومـا لكُـمُ غيرَ الأسرَّة مجلِسٌ ... ولا لكُـمُ غيرَ السيوفِ مخاصرُ[6]
ولي حاجة إن شئتَ أحرزتَ مجدها ... وسرُّكَ منهـا أوّلٌ ثـم آخـرُ
كـلام أَميرِ المؤمنـين وعطفُـه ... فمـا لِيَ بعـد الله غيـرَكَ ناصرُ
وإن ساعدَ المقدورُ فالنُّجح واقع ... وإلاّ فإنِّـي مخلـص الودِّ شاكِرُ

[عريب تكاتبه وتشفع له]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال : كتبتْ عَريبُ مِنْ سُرَّ مَن رأى إلى إبراهيمَ بنِ المدبِّر كتاباً تتشوَّقُه فيه ، وتخبره باستيحاشها له ، واهتمامها بأمره ، وأنّها قد سألت الخليفةَ في أمره ، فوعدها بما تُحِبُّ ، فأجابها عن كتابها ، وكتب في آخر الكتاب : [من الطويل]

لعمرك مـا صوتٌ بديـعٌ لمعبَدٍ ... بأَحسنَ عندي من كتاب عَريبِ
تأمّلـتُ في أَثنائِـه خَـطَّ كاتبٍ ... ورقَّـةَ مشتاقٍ ولَفـظَ خَطيبِ

---

1 عضل : منع .
2 جوّد المسألة في أمره : أحسن الشفاعة فيه .
3 حلئت : منعت الماء .
4 جوُّها في ل : شرقها .
5 الهواصر : الكواسر المحطمة .
6 المخصرة : ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب .

وراجَعَني من وصلها ما استرقَّني وزهَّـدني في وصلِ كلِّ حَبيبِ
فصرتُ لها عبداً مُقـرّاً بمِلكِها ومستمسِكاً مـن وُدِّها بنصيبِ

[يُحبُّها وهي مشغولة بمظفّر]

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : كان عليّ بنُ يحيى المنجِّم وإبراهيم بن المدبِّر مجتمعين في منزل بعض الوجوه بسُرَّ مَن رأى على حال أُنس ، وكانت تغنِّيهم جارية يقال لها نَبْتٌ جاريةُ البكريّة المغنِّية من جواري القِيان ، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبِّر بنظره ومَزْحه وتجميشه[1] ، وهي مقبلة على فتًى كان أمرَدَ من أولاد الموالي يقال لهُ مُظَفَّر ، كانت تهواه ، وكان أحسن النّاس وجهاً ، ولم يزل ذلك دأبَهم إلى أن افترقوا ، فكتبَ إليه عليُّ بنُ يحيى يقول : [من الطويل]

لقد فتنَتْ نبتٌ فتى الظَّرف والنَّدى بمقلةِ رِيـمٍ فاتـرِ الطَّـرفِ أحورِ
وشدوٍ يروقُ السامعين ويملأُ الـ ـقلوب سروراً مُونِـقٍ متخيَّرِ
فأَصبحَ في فـخٍّ الهـوى متقنَّصا عزيـزٌ على إخوانـه ابنُ المدبِّرِ
ولم تدرِ مـا يَلْقى بهـا ولـو انَّها دَرَتْ روَّحتْ مـن ـتَرُّهِ المُتَسعِّرِ
وذاكَ بهـا صبٌّ ونَبتٌ خليَّـةٌ ومشغولـةٌ عنـه بوجـه مُظَفَّرِ
ولـو أنصفتْ نبتٌ لما عدلتْ به سواهُ وحازت حُسْنَ مرأًى ومَخْبَرِ

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر : [من الطويل]

طَرِبْـتُ إلى قطربّـلٍ وبَلَشْكُرِ وراجعتُ غَيّاً ليس عنّي بمُقصِرِ[2]
وذكَـرني شعرٌ أتـانيَ مونِـقٌ حبائبَ قَلبي في أوائِـلِ أعصُري
فنَهنَهتُ نفسي عن تذكُرِ ما مضى وقلتُ : أفيقي لاتَ حـينَ تذكُّرِ[3]
أبا حَسَنٍ مـا كنتَ تُعْرَفُ بالخَنا ولا بِعُلـوٍّ في المكـانِ المؤَخَّرِ
وما زِلْتَ محمود الشمائل مرتضى الخـ ـلائقِ معروفـاً بعُرْفٍ ومنكَرِ
أترمي بنَبْتٍ مـن جفاهـا تَخَيُّراً وباعدهـا عنـه بـرأْيٍ موقَّرِ ؟
ودافَعها عـن سرِّها وهي تَشْتَكي إليـه تبـاريحَ الهـوى المتسعِّرِ

1 التجميش : المغازلة بالقرص واللعب .
2 قطربّل : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر . بلشكر : من قرى بغداد .
3 نهنهت : كفت وزجرت .

ولــو كان تبّاعــاً دواعيَ نفسِه إذاً لقضى أُوطــارَه ابــنُ المدبّرِ
على أنَّه لو حصحَصَ الحقُّ باعَها ولــو كان مشغوفــاً بها بمُظَفَّرِ
بلؤلؤةٍ زهــراءَ يشرُق ضوءُهــا وغُــرَّةِ وجــهٍ كالصباحِ المشهَّرِ
إلى اللهِ أشكــو أنَّ هــذا وهــذِه غــزالا كثيبٍ ذي أقــاحٍ مُنوِّرِ
وأنــتَ فقــد طالبتَهــا فوجدتَها لها خُلُــقٌ لا يرعَــوِي ذو توعُّرِ
وحاولتَ منها سلوة عــن مُظَفَّرٍ فما لان منها العِطْفُ عند التَّخيُّرِ
نصحتُك عــن وُدٍّ ولم أَكُ جاهداً فإن شئتَ فاقبل قولَ ذي النصح أوْذَرِ

فكتب إليه عليُّ بنُ يحيى المنجّم : [من الطويل]

لعمري لقد أحسنتَ يا ابنَ المدبّر وما زلت في الإحسان عين المشهَّرِ
ظَرفْتَ ومن يجمعْ من العلم مثلَ ما جمعت أبا إسحاق يَظْرُفْ ويُشْهَرِ

ولإبراهيم في نبتٍ هذه أشعارٌ كثيرةٌ منها قوله : [من البسيط]

نَبْتٌ إذا سكتَت كان السكوتُ لها زَينــاً وإن نطقت فــالدرُّ يَنْتَثِرُ
وإنّمــا أَقصدتْ قلبــي بمُقلَتِها مــا كان سهمٌ ولا قوسٌ ولا وَتَرُ[1]

وقوله : [من البسيط]

يا نبتُ يا نبتُ قد هام الفؤادُ بكم وأنــت واللهِ أحلى الخلقِ إنسانا
ألا صِليني فإنّي قد شُغِفْتُ بِكُمْ إن شئتِ سرّاً وإن أحببتِ إعلانا

[خاتما عريب]

أخبرني جعفرُ بن قدامة قال : كان في إصبع إبراهيم بن المدبِّر خاتمان وهبْتهما له عَريب ، وكانا مشهورين لها ، فاجتمع مع أبي العَنبَس بن حمدون في اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب ، فلمّا سكرا اتّفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبي العَنبس ، ويقيمَ عنده من غدٍ إن لم يُرَ الهلال ، وأخذ الخاتَمين منه رهناً . ورُئي الهلالُ في تلك الليلة ، وأصبح النّاس صياماً ، فكتب إبراهيم إلى أبي العَنْبَس يطالبه بالخاتمين ، فدافَعه ، وعبث به ، فكتب إليه من غدٍ : [من الخفيف]

كيف أصبحتَ يا جعلتُ فِداكا إنّنــي أشتكي إليــك جَفاكا

1 أقصدت : أصابت فلم تخطىء .

قد تَمادى بك الجفاءُ وما كنـ ـتَ حقيقـاً ولا حَرِيّاً بذاكا
كُن شبيهاً بمَن مضى جعل اللـ ـهُ لكَ العُمرَ دائمـاً ورَعاكا
إنَّ شهرَ الصيامِ شهرُ فكاكٍ أنتَ فيه ونحنُ نرجو الفَكاكا
فارددِ الخاتَمـينِ ردّاً جَميلاً قد تنعَّمت فيهما مـا كفاكا[1]
يـا أبـا عبدِ اللهِ دعوةَ داعٍ يرتجي نُجحَ أمره إذْ دَعاكا

يعني أبا عبد الله بن حمدون والد أبي العَنْبَس المخاطب بهذا الشعر :

خاتمايَ اللذانِ عند أبي العبّـ ـاسِ قـد شارفَا لديه الهلاكا
وهـو حُـرٌّ وقد حكاك كما أنـ ـك في المكرُماتِ تحكِي أباكا

فبعث بالخاتَمين إليه .

[عريب تزوره ، وتستزير أبا العنبس]

وأخبرني جعفر قال : زارت عَريبُ إبراهيم بنَ المدبّر وهو في داره على الشاطىء في المُطَيْرة[2] واقترحت عليه حضور أبي العَنْبَس فكتب إليه إبراهيم : [من المتقارب]

قـل لابنِ حمدونَ ذاك الأريبِ وذاك الظريفِ وذاك الحسيبِ
كتابي إليكَ بشكوى عَريبِ لوجدٍ شديدٍ وشوقٍ عجيبِ
وشَوْقي إليكَ كشوقِ الغريبِ إلى أرضِهِ بعـد طولِ المغيبِ
ويوْمِـيَ إن أنـتَ تَمّمتَـه بقُربِكَ ذُو كُلِّ حُسْنٍ وطِيبِ
حَبـاني الزمـانُ كما أشتَهي بقرب الحبيب وبُعْـدِ الرقيبِ
فما زلـتُ أشربُ مـن كفِّه وأُسقيه سقيَ اللطيف الأديبِ
ويشكو إليَّ وأشكـو إليـه بقـولٍ عفيفٍ وقـولٍ مريبِ
إلى أن بـدا ليَ وجـهُ الصباحِ كوجهك ذاك العجيبِ الغريبِ
فلا تُخْلِنا يـا نظـامَ السرو رِ منك فأنـت شفاءُ الكَئيبِ
وغـنِّ لنـا هَزَجـاً مُمْسِكاً تَخِـفُّ لـه حركاتُ اللبيبِ
فإنّكَ قد حُزتَ حسنَ الغناء وقد فُزتَ منه بأوفى نصيبِ

---

1 تنعمت : تمتعت . وفي ل : تولّعت .

2 المطيرة : قرية من متنزهات بغداد وسامراء .

وكن بأبي أنتَ رَجْعَ الجوابِ فِداؤك أنفُسُنا من مُجيبِ

[يعجبه اللحن فيكمله]

أُخبرني جعفر قال : غنّى أبو العَنْبَس بنُ حَمْدون يوماً عند إبراهيم : [من مجزوء الكامل]

صوت

إنّي سألتكَ بالذي أدنى إليكَ من الوريدِ
إلاّ وصلتَ حبالَنا وكَفَيْتَنا شرَّ الوعيدِ

فزاد فيه إبراهيم قوله : [من مجزوء الكامل]

الهجرُ لا مستحَسَنٌ بعد المواثِقِ والعهودِ
وأَراكِ مغراةً به أفما غرِضت من الصدودِ[1]
إنّي أُجدِّدُ لَذَّتي ما دمت في يومٍ جديدِ
شُربي معتّقة الكُرو مِ ونُزهَتي وَرْدُ الخُدُودِ

فغنّى هذه الأبيات أبو العَنْبَس متّصلة باللحن الأوّل في البيتين وصار الجميع صوتاً واحداً إلى الآن ، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبّر والأوّلان لَيْسا له .

نسبة هذا الصوت

الغناء في البيتين الأوّلين خفيف ثقيل مزموم[2] لأبي العَنْبَس ، وفيهما لبنان خفيف ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب ثاني ثقيل بالوسطى .

[يكمل لحناً آخر]

قال جعفر : وغنته يوماً كُراعةُ بسُرَّ مَن رأى ونحنُ حضور عنده : [من السريع]

يا معشَر الناسِ أما مُسلمٌ يشفعُ عند المذنِبِ العاتبِ ؟
ذاك الذي يهرُب من وصلِنا تعلَّقوا بالله بالهاربِ

فزاد فيهما قولَه : [من السريع]

ملَّكتُه حَبْلي ولكنَّه أَلقاهُ من زُهدٍ عَلى غاربي

---

1 مغراة : مولعة من أغرى بالشيء أولع به . غرضت : ضجرت ومللت .
2 مزموم من الزم وهو شدّ الأوتار .

وقال إنّي في الهوى كاذبٌ فانتقمَ اللهُ من الكاذبِ

[عود إلى حبس المتوكّل له]

حدَّثني عمِّي، قال: حدَّثني محمد بن داود قال: كتب إبراهيم بن المدبّر إلى أبي عبد الله بن حمدون[1] في أيّام نكبته يسأله إذكارَ المتوكِّل والفتحِ بأمره: [من الرمل]

كَم تُرى يبقى على ذا بدني قد بَلي من طول هَمٍّ وضَني[2]!

أنا في أسرٍ وأسبابِ رَدًى وحديدٍ فادحٍ يكْلمُني

يا ابن حمدونَ فتى الجودِ الذي أنا منه في جَنْي وردٍ جَني

ما الذي ترقُبُه أم ما ترى في أخ مضطَهدٍ مرتَهَنِ!

وأبو عمرانَ موسى حنقٌ حاقدٌ يطلُبني بالإحَنِ[3]

وعبيدُ اللهِ أيضاً مثلُه ونجاحٌ بي مُجِدٌّ ما يَني

ليس يشفيه سوى سفكِ دمي أو يراني مُدرَجاً في كَفَني

والأميرُ الفتحُ إن أذكرتَه حُرْمَتي قام بأمري وعُني

فألُ صدقٍ حين أدعو باسمِه وسرور حين يَعْرُو حَزَني

قل له: يا حُسْنَ ما أوليتَني ما لِما أوليتَني من ثَمنِ

زاد إحسانُكَ عندي عِظَماً أنَّه بادٍ لِمَن يعرفُني

لستُ أدري كيفَ أجزيكَ به غير أنّي مُثقَلٌ بالمِنَنِ

ما رأى القومُ كذنبي عندَهمْ عُظْمُ ذَنبي أنَّني لم أخُنِ

ذاكَ فِعلي وتُراثي عن أبي واقتدائي بأخي في السُّنَنِ

سنَّةٌ صالحةٌ معروفةٌ هي منَّا في قَديم الزمَنِ

ظَفِر الأعداءُ بي عن حيلةٍ ولعلَّ اللهَ أن يُظفِرني

ليتَ أنِّي وهُمُ في مجلسٍ يَظْهَرُ الحقُّ به للفَطِنِ

فترى لي ولهُمْ ملحمَةً يَهلِكُ الخائنُ فيها والدَّني

---

1 حمدون: أحد ندماء المتوكل.

2 ضني: تعب.

3 أبو عمران موسى بن بغا الكبير أحد قوّاد المتوكّل.

والـــذي أسأَلُ أَن يُنصِفَنـــي حاكِـــمٌ يَقضي بمـــا يلزمُني
قُــل لحمدونَ خليـــلي وابنِـــه ولعيسى حرِّكـــوه يـــا بني[1]

يعني يا بني الزانية ، فلم يزالوا في أمره حتى خلَّصوه .

[هل جرب الخمر من فمها ؟]

حدَّثني محمد بن يحيى الصولي : قال : كان إبراهيم بن المدبّر يحبّ جارية للمغنِّية المعروفة بالبكريّة بسُرَّ مَن رأى فقال فيها : [من السريع]

غادرتِ قلبي في إسار لديك فويلتـا منـــكِ وويلي عليكِ
قـــد يعلـــمُ اللهُ عَـــلى عرشِه أنّـي أُعاني الموتَ شوقاً إليكِ
مُنِّـــي بفكِّ الأَسرِ أو فاقتُـــلي أيّـهما أحببتِ مـــن حُسْنَيَيْكِ
قـــد كنتُ لا أُعدي على ظالم فصرتُ لا أُعدي على مُقلتيكِ
الخمـــرُ مـــن فيـــكِ لَمن ذاقَهُ والوردُ للناظِـرِ مـــنْ وجنتيْكِ
يا حسرتا إن مُتُّ طوعَ الهوى ولم أنَـــلْ مـــا أَرتجيه لديكِ

وأنشدها أبو عبدِ الله بن حَمدونَ هذه الأبيات ، وغنَّت بها ، وجعل يكرِّر قوله :

الخمرُ مـــن فيكِ لَمن ذاقه

ويقول : هذا والله قولُ خبير مجرّب ، فاستحيتْ من ذلك ، وسبَّت إبراهيم ، فبلغه ذلك ، فكتب إلى أبي عبدِ الله يقول : [من البسيط]

أَلَـم يَشُقْكَ التماعُ البرقِ في السحَرِ ؟ بَلى وهَيَّج مـــن وَجْـــدٍ ومن ذِكَرِ
ما زال دمعـــي غزيرَ القَطْر مُنسجماً سَحّاً بأَربعـــةٍ تَجـــري مـــن الدُّررِ
وقلتُ للغيثِ لمـــا جـــادَ وابِلُـه ومـــا شجاني مـــن الأَحزانِ والسَّهَرِ
يا عارضاً ماطـــراً أُمطِـــرْ على كبدي فإنّهـــا كَبِـــدٌ حَـــرَّى مـــن الفِكَرِ
لشدَّ مـــا نـــالَ منّي الدَّهرُ واعتلقَتْ يدُ الزّمانِ وأَوهتْ من قُوى مِرَري[2]
يا واحـــدي مـــن عبادِ اللهِ كلِّهم ويـــا غنـــاي ويـــا كَهْفي ويا وَزَري
أَحينَ أنشدتَ شِعـــري في مُعذِّبتي أَمـــا رَثَيْتَ لهـــا من شدّة الحَصَرِ ؟

---

1 يقصد عيسى بن إبراهيم النصرانيّ كاتب سعيد بن صالح ، وكان يسعى على ابن المدبر .

2 مرري : قواي ، جمع مرّة .

وما شفعتَ بهـا شِعري وقلت به | في ريقها الباردِ السلسالِ ذي الخَصَرِ[1]
لبئس مستَنصحاً في مثـل ذلـك يا | نفسي فِـداؤكَ من مستنصح غَدِرِ
واليـوم يـومٌ كريـم ليس يُكرَمُه | إلاّ كريـمٌ مـن الفتيـانِ ذُو خَطَرِ
نشدتُـكَ اللهَ فاصْبَحْـه بصُحبتـه | مُباكِـراً فَألَـذُّ الشُّرب في البُكَرِ
واجمعَ نداماكَ فيـه واقترحْ رَمَـلاً | صوتاً تغنّيـه ذاتُ الـدَّلّ والخَفَرِ
يرتاح للدَّجْنِ قَلبـي وهـو مقتَسَمٌ | بـين الهمومِ ارتياحَ الأرضِ للمطَرِ
يا غـادراً يـا أُحبَّ النّاسِ كلّهمُ | إليَّ واللهِ مـن أُنثـى ومـن ذَكَرِ
ويا رجائـي ويا سُؤْلي ويـا أَمَلي | ويـا حياتـي ويا سَمعي ويا بَصري
ويا مُنـايَ ويـا نوري ويا فَرَحي | ويا سروري ويا شَمسي ويا قمري
لا تقبلي قـولَ حسَّادي علـيّ ولا | واللهِ مـا صدقـوا في القولِ والخبَرِ
أدالني اللهُ مـن دهـرٍ يُضَعْضِعُني | فقـد حُجِبتُ عـن التسليمِ والنظرِ[2]
إن يحجُبُوا عنك في تقديرهم بصَري | فكيف لم يحجُبُوا ذِكري ولا فِكَري ؟
يا قوم قَلبـي ضعيفٌ من تذكُّرها | وقلبُهـا فـارغٌ أقسى مـن الحجَرِ
اللهُ يعلـمُ أنّـي هائـمٌ دَنِـفٌ | بغـادَةٍ ليتَهـا حَظّـي مـن البَشَرِ

[مجلس من مجالسه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال : حدَّثني عبد الله بن محمد المَرْوَزي ، قال : حدَّثني الفضل بن العبّاس بن المأمون ، قال : زارتني عَريبُ يوماً ومعها عِدَّةٌ من جواريها ، فوافتنا ونحن عَلى شرابنا ، فتحدّثت معنا ساعة ، وسألتُها أن تقيمَ عندنا ، فأبَتْ ، وقالت : قد وعدتُ جماعة من أهلِ الأدب والظّرف أن أصيرَ إليهم ، وهم في جزيرة المربد ، منهم إبراهيم بن المدبّر ، وسعيد بن حميد ، ويحيى بن عيسى بن منارة ، فحلفت عليها ، فأقامت . ودعَت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطراً واحداً : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أردتُ ، ولولا ، ولعلّي .

ووجَّهت الرقعة إليهم ، فلمّا وصلت قرؤوها ، وعَيُوا بجوابها ، فأخذها إبراهيم بن المدبّر ، فكتب تحت أردت «ليتَ» وتحت لولا «ماذا» ؟ وتحت لعلّي «أرجو» ووجَّه

1 الخصر : البرد .
2 أدالني : نصرني .

بالرقعة إليها ، فلمّا قرأتْها طرِبت ونعرَت[1] ، وقالت : أنا أترك هؤلاء وأقعدُ عندكم ؟ تركني الله إذاً من يديه ، وقامت فمضتْ وقالت لكمْ فيمن أتخلَّفُه عندكم من جواريّ كفاية[2] .

[عريب تتدله في حبّه عند مكاتبتها]

أُخبرني محمد بن خلَف : قال : حدَّثني عبد الله بن المعتزّ ، قال : قرأت في مكاتبات لعَريب فصلاً من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبّر مكاتبة بديعة بعيادة : قد استبطأتُ عيادتكَ ، قُدِّمتُ قبلكَ ، وعَذَرْتك ، فما ذكرت عذراً ضعيفاً لا ينبغي أن يفرح به . فأستديم الله نعمه عندك .

قال وكتبت إليه أيضاً : أُستوهب الله حياتَك ، قرأت رقعتَك المسكينة التي كلّفتَها مسألتك عن أحوالنا ، ونحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ، ونسأله الإجابة فلا تُعوِّد نفسكَ ، جعلني الله فداءها ، هذا الجفاءَ ، والثقةَ منّي بالاحتمال وسرعة الرجوع .

وكتبْت إليه وقد بلغها صومُه يوم عاشوراء : قَبِل الله صومَكَ وتلقّاه بتبليغَكَ ما التمست ، كيف ترى نفسك ؟ ، نفسي فداؤك ، ولم كدّرت جسمَك في آب ، أخرجه الله عنك في عافية ، فإنّه فظّ غليظ وأنت محرور[3] ، وإطعامُ عشْرة مساكين أعظمُ لأجرك ، ولو علمتُ لصمتُ لصومك مساعدة لك وكان الثواب في حسناتكَ دوني ، لأنّ نيّتي في الصومِ كاذبة .

أُخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : اتّصلت لعريب أشغال دائمة في أيّام تركوا رسى ، وخدمتها فيما هنالك . فلم يرها إبراهيم بن المدبّر مدّة ، فكتب إليها : [من الطويل]

صوت

إلى اللهِ أشكو وحشتي وتفجُّعي	وبعدَ المَدى بيني وبين عَريبِ
مضى دونها شَهْرانِ لم أحلَ فيهما	بعيشٍ ولا مـن قُربها بنصيبِ
فكنت غريباً بين أهلي وجيرتي	ولستُ إذا أبصرتُهـا بغريبِ
وإنّ حبيباً لم يَـرَ النَّاسُ مثلَه	حقيقٌ بأن يُفْدى بكلِّ حبيبِ

لعَريب في هذه الأبيات خفيف ثقيل من رواية ابن المعتزّ ، وهو من مشهور غنائها .

1 نعرت : صوتت بخيشومها .

2 تخلّف فلان فلاناً : جعله خليفته .

3 محرور : يجد بصدره حرارة .

[عود إلى مكاتبات عريب]

وقال ابن المعتزّ في ذكره مكاتبات عَريب إلى إبراهيم بن المدبّر ، وقد كتب إليها يشكو علّته : كيف أصبحتَ أنعم الله صباحكَ ومبيتَك ؟ وأرجو أن يكون صالحاً ، وإنّما أردتَ إزعاجَ قلبي فقط .

وكتبتْ إليه تدعو له في شهرِ رَمضان : أُفديك بسمعي وبصري وأهلَّ اللهُ هذا الشهرَ عليك باليُمن والمغفرةِ ، وأعانك على المفتَرض فيه والمتنفَّل ، وبلَّغك مثلَه أعواماً ، وفرَّج عنك وعنّي فيه :

قال وكتبت إليه : فداؤك السمعُ والبصرُ والأُمُّ والأَبُ ومَن عرفني وعرفتُه . كيف ترى نفسَك وُقّيتَها الأذى ؟ وأعمى اللهُ شانِئَك ، ومقَّه[1] الله عند هذه الدّعوة ، وأرجو أن تكون قد أُجيبت إن شاء الله ، وكيف ترى الصوم ؟ عرَّفك الله بركَته ، وأعانك على طاعتِه ، وأرجو أن تكون سالِماً من كلِّ مكروه بحول الله وقوّته ، وواشَوقي إليكَ وواحشتي لَك ، ردَّك الله إلى أحسنِ ما عوّدك ، ولا أشمتَ بي فيك عدوّاً وَلا حاسداً . وقد وافاني كتابُكَ لا عدمتُه إلاّ بالغنى عنه بك ، وذكرت حامله ، فوجّهتُ رسولي إليه ليدخله ، فأسألَه عن خبرك ، فوجدتَه منصرفاً ، ولو رأيته لفرشت خدِّي له ، وكان لذلك أهلاً .

وكتبتْ إليه وقد عَتَبَتْ عليه في شيء بلَغها عنه : وَهب الله لنا بقاءَكَ ممتَّعاً بالنّعم ، ما زلتُ أمس في ذكرك ، فمرّة بمدحكَ ، ومرّة بشكركَ ، ومرّة بأكلك وذكرك بما فيك لوناً لوناً . اجحدْ ذنبك الآن وهات حُجَجَ الكتّاب ونفاقَهم ، فأمّا خبرنا أمس فإمّا شربنا من فَضلة نبيذك على تذكارك رطلاً رطلاً ، وقد رفعنا حُسباننا إليك ، فارفع حُسبانك إلينا ، وخبِّرْنا من زاركَ أمس وألهاكَ ، وأيّ شيء كانت القصَّةَ على جهتها ؟ ولا تُخطرف ، فتحوجَنا إلى كشفِك والبحثِ عنك ، وعن حالك ، وقُل الحقَّ ، فمن صدق نجا ، وما أحوجك إلى تأديب ، فإنَّكَ لا تُحسن أن تؤدّبه ، والحقّ أقولُ إنّه يعتريك كُزاز[2] شديد يجوز حدّ البرد . وكفاك بهذا من قولي عقوبة ، وإن عدت سمعتَ أكثرَ من هذا ، والسلام .

[شماتة]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني محمد بن داود قال : كان عيسى بن إبراهيم النَّصراني

---

1 مقّه : أي أهلكه .

2 الكُزاز هنا : الانزواء ، والانقباض ، والكزاز أصله من شدّة البرد .

المكنى أبا الخير كاتب سعيدَ بنْ صالح يسعى على إبراهيمِ بن المدبّر في أيّام نكبته ، فلمّا زالت ، ومات سعيد نُكب عيسى بن إبراهيم وحُبس ونُهبت دارهُ فقال فيه إبراهيم بن المدبّر : [من المنسرح]

قــل لأبــي الشرِّ إنْ مــررتَ به مقالــةً عُرّيــتْ مــن اللَّبسِ
ألبَسكَ اللهُ مـــن قوارعـــه آخـــذةً بالخُنـــاقِ والنَّفَسِ
لا زلتَ يا ابنَ البظراء مرتهَنا في شرٍّ حـال وضيـقِ محتَبَسِ
أقـــول لمـا رأيــتُ منزلَــه منتَهبــاً خاليــاً مــن الأُنسِ[1]
يــا منزلاً قــد عَفا مــن الطَّفس وساحــةً أُخليتْ مــن الدَّنسِ[2]
من لاقترافِ الفحشاء بعد أبي الشـــــــــــرّ ومن للقبيح والنجِسِ ؟

أخبرني جعفرُ بنُ قُدامة قال : وليَ إبراهيمُ بنُ المدبّر بعقب نكبته وزوالها عنه الثغورَ الجزرية ، فكان أكثر مقامه بمَنبج[3] ، فخرج في بعض أيّام ولايته إلى نواحي دَلوك[4] ورعبان[5] ، وخلّف بمنبج جاريةً كان يتحظّاها مغنّية يقال لها غادِر ، فحدَّثني بعضُ كتّابه أنّه كان معه بدَلوك ، وهو على جبل من جبالها ، فيه دَيْر يُعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزَهها ، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف فأكل وشرب ، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب : [من الطويل]

أيــا ساقِيَينا وسْطَ دَيْــر سليمانِ أديــرا الكُؤوسَ فانهلاني وعُلاَّني[6]
وخُصَّا بصافيها أبــا جعفر أخي وذا ثقتي بــين الأنــامِ وخُلصاني
وميلاً بهــا نحــو ابنِ سَلاَّمٍ الذي أودُّ وعُــودا بعــد ذاك لنعمانِ
وعُمَّا بها الندمان والصحبَ إنّني تَنَكَّرتُ عيشي بعد صحبي وإخواني
ولا تتركا نفسي تمُــتْ بسَقامها لذِكْرى حبيب قد شجاني وعنَّاني[7]

1 الأنس : المؤانسين : جمع أنيس .
2 الطفس : الدنس .
3 منبج : من أعمال حلب شمالي الشام .
4 دلوك : بليدة من نواحي حلب .
5 رعبان : مدينة بين حلب وسميساط .
6 دير سليمان : قرب دلوك مطل على مرج العين .
7 لذكرى حبيب في ل : لذكري حبيباً .

ترحّلتُ عنه عن صدود وهِجرة ... وأقبل نحوي وهو باكٍ فأبكاني
وفارقتُه واللهُ يجمع شملَنا ... بلَوعة محزون وغُلَّة حَرّانِ
وليلة عين المَرْج زار خيالُه ... فهيَّج لي شوقاً وجدَّد أشجاني[1]
فأشرفت أعلى الدَّيْر أنظر طامحاً ... بألمح آماقٍ وأنظَرِ إنسانِ
لعلّي أرى أبياتَ مَنبج رؤية ... تُسَكّنُ من وجدي وتكشفُ أحزاني
فقصَّر طرفي واستهلَّ بعَبرة ... وفدَّيتُ من لو كان يدري لفدَّاني
ومثَّلَه شوقي إليه مقابلي ... وناجاهُ قلبي بالضمير وناجاني

[يهدي شعره إلى أخيه]

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبّر أهداه مجموعاً إلى أخيه أحمد، فلمّا وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطّه: [من الوافر]

أبا إسحاقَ إن تكن الليالي ... عطفنَ عليكَ بالخطبِ الجسيمِ
فلم أرَ صرْفَ هذا الدَّهرِ يجري ... بمكروه على غيرِ الكريمِ

[وفاء عريب له]

أخبرني جعفر بن قدامة قال: حدَّثني ميمونٌ بنُ هارون قال: اجتمعتُ مع عريب في مجلس أنسٍ بسرَّ مَن رأى عند أبي عيسى بن المتوكّل، وإبراهيمُ بن المدبّر يومئذٍ ببغداد، فمرَّ لنا أحسنُ يوم، وذكرتْهُ عريب فتشوَّقته وأحسنت الثناء عليه والذكر له، فكتبتُ إليه بذلك من غد، وشرَحتْه له، فأجابني عن كتابي وكتب في آخره: [من الطويل]

أتعلَمُ يا ميمونُ ماذا تُهيجُه ... بذكركَ أحبابي وحِفظِهم العَهْدا
ووصفِ عريبٍ في كريم وفائها ... وإجمالها ذكري وإخلاصها الوُدَّا؟
عليها سلامي إن تكن دارُها نأتْ ... فقد قرَّب الله الذي بيننا جدّا
سقى الله داراً بعدَنا جمعتْكُمُ ... وسكَّن ربُّ العرش ساكنَها الخُلدا
وخصَّ أبا عيسى الأميرَ بنعمة ... وأسعد فيما أرتجيه له الجَدَّا
فما ثَمَّ من مجدٍ وَطَوْلٍ وسُودَد ... ورأيٍ أصيلٍ يصدَع الحجَرَ الصَّلْدا

[يصلحون بينه وبين عريب]

حدَّثني جحظةُ قال: حدَّثني عبد الله بن حمدون قال: اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبّر

1 عين المرج: قرية من نواحي سامراء.

وابن منارة والقاسم وابن زُرزُور في بستان بالمُطَيرة وَفي يوم غيم يُهريق رذاذه ويَقطر أحسن قَطْر ، ونحن في أطيب عيش وأحسن يوم ، فلم نشعر إلاّ بعرِيبَ قد أقبلت من بعيد ، فوثب إبراهيم بن المدبّر من بيننا ، فخرج حافياً ، حتى تلقّاها وأخذ بركابها[1] ، حتى نزلتْ وقبّل الأرضَ بين يديها ، وكانتْ قد هجرته مدّة لشيء أنكرته عليه ، فجاءَتْ وجلست وأقبلتْ عليه مبتسمة ، وقالتْ : إنّما جئتُ إلى مَنْ هاهنا لا إليكَ . فاعتذرَ وَشيَّعْنا[2] قوله ، وشفعنا له . فرضيت وأقامت عندنا يومئذٍ وباتَتْ ، واصطبحنا من غد ، وأقامت عندنا فقال إبراهيم : [من الرمل]

صوت

بأبي مــن حقَّقَ الظنّ به فأتانــا زائــراً مُبتدِيــا
كان كالغَيثِ تراخى مُدّةً وأتــى بعـد قُنوط مُرويا
طاب يومــانِ لنا في قُربه بعــد شهرين لهجرٍ مضَيا
فأقرَّ اللهُ عَينــي وشَفـى سَقَماً كان لجسمي مُبليا

لعريب في هذا الشعر لحنان : رَمَل وَهزج بالوسطى .

[من شعره في عريب]

أنشدني الصوليّ رحمه الله لإبراهيم بن المدبّر في عريب : [من المديد]

زعمــوا أنّي أُحــبُّ عَريبا صدقــوا واللهِ حُبّــاً عجيبا
حلَّ من قلبــي هواهـا مَحلاًّ لم تَــدَعْ فيــه لخَلْق نصيبا
ليقلْ من قَدْ رأى الناس قِدْماً : هل رأى مثلَ عَريب عَرِيبا ؟
هــي شمسٌ والنساءُ نُجـومٌ فـإذا لاحــتْ أفلـن غُيوبا

وأنشدني الصوليّ أيضاً له فيها . [من المتقارب]

ألا يــا عريبُ وُقيتِ الرَّدى وجنَّبـكِ اللهُ صَـرْف الزَّمنْ
فإنَّــك أصبحتِ زينَ النساء وواحـدة النّـاس في كلِّ فَنّ
فقربُــكِ يُدني لذيــذَ الحياةِ وبعـدُك ينفــي لذيذَ الوَسَنْ

1 الركاب : حديدة معلقة في السرج يستعان بها على الركوب ، والجمع رُكبُ .
2 شيّعنا : قوينا .

فنِعم الجليسُ ونعـم الأنيسُ ونعـم السَّميرُ ونعمَ السَّكنْ

وأنشدني أيضاً له : [من السريع]

إنّ عريباً خُلقتْ وحدَهـا في كلِّ ما يحسُنُ من أمرِها
ونعمــة للهِ في خَلقِــهِ يقصِّر العــالم عن شكرها
أشهـدُ في جاريتَيهــا على أنّهمــا مُحْسِنَتَــا دَهرِها
فبدعةٌ تُبــدعُ في شَدْوها وتُحْفَةٌ تُتحـف في زَمْرِها
يــا ربِّ أمتعْها بما خوَّلت وامدُد لنا يا ربِّ في عمرِها

[أبو شراعة يودّعه]

أخبرنا أبو الفيّاض سوار بن أبي شُراعة القيسيّ البصريّ قال : كان إبراهيمُ بنُ المدبّر يتولّى البَصرَة ، وكان محسناً إلى أهلِ البلد إحساناً يعمّهم ، ويشتمل على جماعتهم نفعُه ، ويخصُّنا من ذلك بأوفر حظّ وأجزلِ نصيب ، فلمّا صُرِفَ عن البصرة شيَّعه أهلُها ، وتفجّعوا لفراقه وساءهم صَرْفُه ، فجعل يردّ الناسَ من تشييعهم على قدر مراتبهم في الأنس به ، حتى لم يبقَ معه إلاّ أبي ، فقال له : يا أبا شراعة ، إنّ المشيِّع مودِّع لا محالة ، وقد بلغت أقصى الغايات ، فبحقِّي عليك إلاّ انصرفتَ ، ثم قال : يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به ، فأحضر ثياباً وطيباً ومالاً ، فودَّعه أبي ثم قال : [من الرمل]

يــا أبــا إسحاق سرْ في دَعَــة وامض مصحوباً فمـا منك خَلَفْ
ليت شعـري أيُّ أرض أجدبتْ فأُغيثت بك من جهد العَجَفْ ؟[1]
نــزل الرُّحْــمُ مــن الله بِهِــم وحُرِمنــاكَ لذنـب قـد سلفْ[2]
إنّمــا أنــت ربيــعٌ باكِــر حيثُمـا صرَّفــه الله انصـرفْ

[قلبه عند عريب]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن طلحة الكاتب قال : قرأتُ جواباً بخطّ إبراهيمَ بن المدبّر في أضعاف رقعة كتبتْها إليه عريبُ ، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره : [من الطويل]

وساءلتموه بعـدَكم كيـف حالُـه وذلك أمـر بيّــنٌ ليس يُشكلُ

1 العجف : الهزال الشديد .
2 الرّحم : الرحمة .

فلا تسأَلوا عن قلبــه فَهْو عندكم ولكن عن الجسم المُخلَّف فاسأَلوا

[لا سرور في غيابها]

أَخبرني عليّ بنُ العبّاس قال : حدَّثني أَبي قال : كنتُ عند إبراهيم بنِ المدبّر ، فزارته بدعةُ وتُحفةُ وأَخرجتا إليه رقعةً من عريب فقرأناها فإذا فيها : بنفسي أَنت وسمعي وبصري ، وقلّ ذلك لك ، وأَصبح يومنا هذا طيّباً ، طيَّب الله عيشَك ، قد احتجبت سماؤه ورقَّ هواؤه ، وتكامل صفاؤه ، فكأنّه أنت في رقّة شمائلك وطيب محضَرك ومخبرك ، لا فقدتُ ذلك أبداً منك ، ولم يصادف حسنُه وطيبُه مني نشاطاً ولا طرباً لأُمور صدَّتْني عن ذلك ، أُكره تنْغيص ما أَشتهيه لك من السرور بنشرها . وقد بعثتُ إليك ببدعةَ وتحفةَ ليؤنساك وتُسَرَّ بهما . سرَك الله وسرَّني بك !

فكتب إليها يقول : [من المنسرح]

كيــف السرورُ وأنــتِ نازحــةٌ عنّي وكيف يسوغُ لي الطربُ !
إن غبتِ غاب العيشُ وانقطعتْ أَسبابــــهُ وأَلحَّــــت الكُــرَبُ

وأَنفذ الجواب إليها ، فلم يلبث أَن جاءت ، فبادر إليها ، وتلقاها حافياً حتى جاءَ بها عَلى حمار مصري كان تحتها إلى صدر مجلسه ، يطأُ الحمارُ عَلى بساطه وما عليه ، حتى أَخذ بركابها ، وأَنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها ، ثم قال : [من الطويل]

أَلا ربّ يــوم قصَّر اللهُ طولَــه بقرب عريبٍ حبَّذا هو من قُرَبِ
بهــا تحسُن الدُّنيا وينعَــم عيشُها وتجتمع السرَّاءُ للعيـن والقَلْبِ

[من شعره في جاريتي عريب]

حدَّثني عليّ بن سليمان قال : أَنشدني أَبي قال : أَنشدني إبراهيم بن المدبِّر ، وقد كتب إلى بِدعة وتحفة يستدعيهما ، فتأخّرتا عنه فكتب إليهما : [من مجزوء الكامل]

قُــل يــا رسول لهــذه ولهــذه بأَبــي هُمــا
قــد كان وصلكما لنا حَسَناً ففيــم قَطعْتُما ؟
أَعريـــبُ سيّدةُ النسا ء بهجرنــا أُمرتْكُمـا ؟
كـلاَّ وبيــت الله بل هــذا جفــاءٌ منكما

[صوت له غنَّته عريب]

وأَنشدني عليّ بنُ العبّاس لإبراهيم بن المدبّر ، وفيه لعَرِيبَ هَزَج ، وقال : [من الهزج]

أَلا يــا بأَبــي أَنتمْ نأَت دارٌ بنا عنكمْ

فإن كنتُم تبدلتُمْ فما مِنْ بَدَل منكمْ
وإن كنتُم عَلى العَهدِ فأَحسنتُم وأَجملتمْ
ويا ليتَ المنى حَقَّت فنَبديهـا ولا نَكتُمْ
فكنتُـم حيثمـا كنّا وكنّـا حيثما كنتمْ

[من شعره في سجنه]

وحدَّثني عليّ قال : حدَّثني أَبي قال : دخلتُ ليلة على إبراهيم بن المدبّر في أيّام نكبته ببغداد في ليلة غَيم ، فلاح برقٌ من قطب الشمال ونحن نتحدّث ، فقطع الحديثَ ، وأمسك ساعة مفكّراً ، ثم أقبل عليّ فقال : [من مجزوء الخفيف]

بـارقٌ شرَّد الكـرى لاح مـن نحوِ ما تَرى
هـاج للقلـبِ شجوَه فاعْتَرى منه مـا اعترى
أيّهـا الشادنُ الـذي صاد قلبي ومـا درَى[1]
كـن عليمـاً بشِقْوَتي فيك من بينِ ذا الوَرى

[عود إلى جاريتي عريب]

وحدَّثني عن أَبيه قال : كنت عند إبراهيم بن المدبّر فزارتْه بِدعةُ وتُحفةُ وأَقامتا عنده ، فأَنشدنا يومئذٍ : [من الخفيف]

أيّها الزائـران حيّـاكما اللـ ـه ومـن أنتما لـه بالسَّلامِ
ما رأَينا في الدَّهرِ بدراً وشمساً طَرَقـا ثـم رجّعـا بالكلامِ
كيف خلَّفتما عَرِيباً سقاها اللـ ـه ربُّ العباد صوبَ الغَمامِ
هي كالشَمس والحسانُ نجوم ليس ضوءُ النّهارِ مثلَ الظلامِ
جمعتْ كلّ مـا تفرّق في النا سِ وصارت فريدةً في الأَنامِ

[شعره في سجنه]

وأنشدني عن أَبيه لإبراهيم بن المدبّر وهو محبوس : [من الطويل]

وإنّـي لأستنشي الشّمال إذا جـرتْ حنينـاً إلى أُلاَّفِ قلبـي وأَحبابي[2]
وأُهـدي مـع الريح الجنوب إليهمُ سلامي وشَكوى طولِ حُزني وأَوصابي

---

1 الشّادن : ولد الظبي .
2 أستنشي : أشمّ .

فياليت شعري هل عريبٌ عليمةٌ بذلك أو نام الأحبّة عمّا بي ؟

[يعاتب صديقه أبا الصقر]

حدَّثني عمِّي ، عن محمد بن داود قال : كان إبراهيم بن المدبّر صديقَ أَبي الصقر إسماعيل بن بُلبُل فلم يرضَ فعله لمّا نكب ولا نيابتُه عنه فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

لا تُطِل عذلي عناء إن في العذلِ بلاءَ
لست أَبكي بطن مرٍّ فكديًّا فكَداءَ[1]
إنّما أَبكي خليلا خانَ في الودِّ الصفاءَ
يا أَبا الصقرِ سقاك اللـ ـه تَهتاناً رواءَ[2]
وأَدامَ الله نُعمـا ك وَملاَّك البقاءَ[3]
لِمْ تجاهَلتَ وِدادي وتَناسيتَ الإخاءَ ؟
كنت بَرّاً فعلى رأ سي تعلَّمت الجفاءَ
لا تميلنَّ مع الريـ ـح إذا هبَّتْ رُخاءَ
ربَّما هبَّتْ عقيماً تترك الدُّنيا هَباءَ[4]

[حلم يتحقق]

أَخبرني عليّ بن العبّاس قال : حدَّثني أَبي قال : كنت عند إبراهيم بن المدبّر وزارته عَريبُ . فقال لها : رأيت البارحة في النوم أبا العَنْبَس وقد غنّى في هذا الشعر وأنتِ تراسلينه فيه : [من الرمل]

يا خليليَّ أَرِقْنا حَزَنا لِسَنا بَرقٍ تبدّى مَوْهنا[5]

وكأنّي أَجزته بهذا البيت وسأَلتكما أَن تضيفاه إلى الأوّل : [من الرمل]

وجلا عن وجهِ دعدٍ مَوْهِنا عجباً منه سَناً أَبدى سَنا

فقالت : ما أَملح والله الابتداءَ والإجازة ! فاجعل ذلك في اليقظة ، واكتب إلى أبي العَنْبَس

1 بطن مر : من نواحي مكّة يجتمع عنده وادي النخلتين . فكدياً : بأسفل مكة عند ذي طوى بقرب شعب الشافعيين . فكداء : بأعلى مكة عند المحصب .
2 تهتانا : مطراً متتابعاً . رواء : كثيراً مروياً .
3 ملاّك : أمتعك .
4 عقيماً : لا خير فيها .
5 موهن ، نحو نصف الليل .

وسَله عنّي وعنكَ الحضورَ ، فكتب إليه إبراهيم : [من الرمل]

يا أَبا العبّاسِ يا أَفتى الورى   زارنا طيفُك في سُكْرِ الكَرى
وتغنّى ليَ صوتاً حسناً   في سَنا برقٍ على الأُفْقِ سَرى
وعريبٌ عندنا حاصلةٌ   زينُ مَنْ يمشي على وجه الثَّرى
نحن أَضيافُكَ في منزِلنا   نتمنّاكَ فكُن أَنتَ القِرى

قال : فسار إليهما أبو العَنْبَس ، وحدَّثه إبراهيم برؤياه ، فحفظا الشعر ، وغنَّيا فيه بقية يومهما : [من الطويل]

صوت

أَلا حَيِّ قبل البين من أَنتَ عاشقُهْ   ومن أَنتَ مشتاقٌ إليه وشائقُهْ
ومَن لا تواتي دارَه غيرَ فَينَةٍ   ومَن أَنتَ تبكي كلَّ يوم تُفارقُهْ[1]

الشعر لقَيْس بن جَرْوَة الطائيّ الأجَئِيّ ، قاله في غارة أغارها عمرُو بنُ هند على إبلٍ لطيّىء فحرَّض زُرارة بن عُدَس عمرو بن هند على طيّىء وقال له : إنّهم يتوعّدونَك ، فغزاهم واتَّصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببني تميم في يوم أُوارة[2] وخبر ذلك يذكر هاهنا ؛ لتعلُّق بعض أَخباره ببعض .

والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ومن مجموع غناء إبراهيم .

1 الفينة : الحين .

2 أوارة : اسم ماء أو جبل لبني تميم بناحية البحرين .

[477] ـ ذكر الخبر في هذه الغارات والحروب

[يوم أوارة]

نسختُ ذلك من كتاب عُمَر بنِ محمد بن عبد الملك الزيّات بخطّه ، وذكر أنّ أحمدَ بن الهيثم بن فراس أخبره به عن العمريّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وغيره من أشياخ طيّىء .
قال : وحدّثني محمد بن أبي السريّ عن هشام بن الكلبيّ قالوا : كان من حديث يوم أُوارة أنّ عمرَو بنَ المنذر بن ماء السماء ، وهو عمرو بن هند يعرف باسم أُمّه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حُجْر آكل المُرار[1] الكنديّ وهو الذي يقال له مُضَرِّط الحجارة ، أنّه كان عاقد هذا الحيّ من طيّىء على ألاّ ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ، وأنَّ عمرو بنَ هند غزا اليمامةَ ، فرجع مُنفِضاً[2] فمرَّ بطيّىء ، فقال له زُرارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظليّ : أَبيتَ اللعن ! أَصِبْ من هذا الحيّ شيئاً ، قال له : ويلك ! إنّ لهم عَقْدا ، قال : وإن كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذْواداً[3] .

[قيس بن جروة يتهدّده عمرو بن هند]

فقال في ذلك الطائيّ ، وهو قَيس بن جَروة أَحد الأجئيِّين قال : [من الطويل]

أَلا حيٍّ قبل البين من أَنت عاشقُهْ ... ومَن أَنتَ مشتاقٌ إليـه وشائقُهْ
ومَـن لا تُواتـي دارَه غيرَ فَينةٍ ... ومَن أَنت تبكـي كلَّ يـومُ تُفارقُهْ
وتعـدو بصحـراء الثويّـةِ ناقتي ... كعدو النَّحوص قَدْ أمخَّت نواهِقُهْ[4]
إلى الملك الخيْر ابن هنـد تزوره ... وليس من الفوْت الذي هو سابقُهْ
وإنَّ نساءً هُـنَّ مـا قـال قائلٌ ... غنيمـةُ سَوء بينهـنّ مَهارِقُهْ[5]
ولـو نيل في عهدٍ لنا لحمُ أرنب ... رَدَدْنا وهـذا العهد أَنت مُعالقُهْ[6]

1 المرار : شجر تأكله الإبل .
2 منفضاً : نافذ الزاد .
3 الذود : جماعة الإبل من ثلاث إلى عشر ولا يكون إلاّ في الإناث .
4 الثوية : موضع قرب الكوفة . النحوص : الأتان لا ولد لها ولا لبن فيها . أمخت : صار لها مخ . النواهق : عظام شاخصة من ذي الحافر في مجرى الدمع ، أي سمينة .
5 المهرق : ثوب أبيض أو ورق يكتب عليه العهود وما أريد بقاؤه على الدهر .
6 معالقه : متعلق بذمتك .

فهبكَ ابنَ هنـد لم تعُقْك أمانـةٌ ... وما المـرء إلاّ عَقده ومَواثِقُهْ
وكنّـا أُناساً خافضـين بنعمـةٍ ... يسيل بنـا تلْـع المَـلا وأبارقُهْ[1]
فأقسمتُ لا أحتـلُّ إلاّ بصهوةٍ ... حـرامٌ عـليَّ رَملُـه وشقائِقُهْ[2]
وأقسم جَهـداً بالمنازلِ من مِنًى ... وما خبّ في بطحائِهنّ دَرادِقُهْ[3]
لئن لم تغيِّر بعضَ مـا قـد فعلتُم ... لأَنتحينّ العظـم ذو أنـا عارقُهْ[4]

فسمّي عارقاً[5] بهذا البيت . فبلغ هذا الشعر عمرَو بنَ هند ، فقال له زُرارة بن عُدَس : أَبيت اللعن ، إنّه يتوعّدك . فقال عمرو بن هند لتُرملة بن شُعاث الطائـيّ ، وهـو ابن عمّ عارق : أيهجوني ابن عمّك ويتوعَّدني ! قال : والله ما هجاك ، ولكنّه قد قال : [من الكامل]

والله لو كان ابنُ جفنةَ جارَكُمْ ... لَكَسا الوجوه غضاضة وهوانا[6]
وسلاسلا يبرقن في أَعناقكـم ... وإذاً لقطَّـع تلكـم الأَقرانا[7]
ولكـان عادتُـه على جيرانه ... ذهبـا ورَيطـا رادِعـا وجِفانا

قالوا : الرادع : المصبوغ بالزعفران ، وإنّما أراد ترملة أن يُذهبَ سَخيمته ، فقال : والله لأَقتلنّه . فبلغ ذلك عارقاً ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

مـن مبلـغٌ عَمرو بنَ هنـدٍ رسالةً ... إذا استحقبتها العِيس تُنْضى على البعدِ[8]
أَيوعـدُني والرمـل بينـي وبينـه ؟ ... تبـينْ رويـداً مـا أُمامة مـن هندِ
ومـن أَجـإٍ دوني رِعـانٌ كأَنَّها ... قنابل خيـل مـن كميت ومن وَرْدِ[9]

---

1 تلع : جمع تلعة . الملا : الصحراء . أبارق : جمع أبرق : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين .
2 أحتل : أنزل . صهوة : برج يتّخذ في أعلى الرابية . شقائق : جمع شقيقة ؛ وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب .
3 الخبب : سير يراوح الفرس فيه بين يديه ورجليه . درادق : جمع دردق كعسكر : صغار الإبل .
4 لأنتحين : لأقصدن ، يريد لأصيبن هذا العظم .
5 عرق العظم : أخذ اللحم الذي عليه كلّه .
6 الشطر الثاني في ل : ما إن كساكم غصة وهوانا .
7 الأقران : جمع قَرَن : حبل .
8 استحقبتها : حملتها على حقيبة الرجل . الإبل العيس : البيضاء جمع أعيس . تنضى : تهزل .
9 رعان : جمع رعن ، وهو أنف يتقدّم الجبل . قنابل : جمع قنبل ، جماعة من الخيل ، وفي ل : قبائل . كميت : تصغير كمت ، وهو من الخيل ما خالط حمرته سواد غير خالص . ورد : أحمر ضارب إلى الصفرة .

غدرتَ بأمـر أنـت كنتَ اجتذبْتنا عليـه وشرُّ الشيمة الغـدرُ بالعهدِ[1]
فقد يتركُ الغـدرَ الفتـى وطعامُه إذا هو أمسى حَلبـةٌ مـن دمِ الفصدِ[2]

فبلغ عمرَو بن هند شعرُه هذا ، فغزا طيئاً ، فأسر أسرى من طيّىء من بني عديّ بن أخزم ، وهم رهط حاتم بن عبد الله ، فيهم رجلٌ من الأجئيِّين يقال له قيسُ بن جَحدر ، وهو جدّ الطرماح بن حكيم ، وهو ابن خالة حاتم ، فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند ، وكذلك كان يصنع ، فسأله إيّاهم ، فوهبهم لـه إلاّ قيس بن جحدر ، لأنـّه كان من الأجئيِّين من رهط عارق ، فقال حاتم : [من الطويل]

فككت عديّـاً كلّها من إسارها فأنعِمْ وشفِّعني بقيسِ بنِ جَحْدَرِ
أبـوه أبـي والأمّهـاتُ امّهاتنا فأنعم فدتْكَ اليوم نفسي ومعْشري

فأطلقه .

[مالك بن المنذر]

قال : وبلغنـا أنّ المنذرَ بن ماء السماء وضع ابناً لـه صغيراً ، ويقـال : بـل كان أخاً له صغيراً ، يقال لـه : مالِك عند زُرارة ، وإنّه خـرج ذات يـوم يتصيَّدُ ، فأخفق ، ولم يصب شيئاً ، فرجع ، فمرَّ بإبلٍ لرجل من بني عبد الله بن دارِم ، يقال له سُوَيد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكان عند سويد ابنـةُ زُرارة بن عُـدَس ، فولدت لـه سبعةَ غِلمة ، فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ، ثم اشتوى وسويدٌ نائم ، فلمّا انتبه شدَّ على مالك بعصاً فضربه بها ، فأمَّه[3] . ومات الغلامُ ، وخرج سويدٌ هارباً حتى لحق بمكّة وعلم أنـّه لا يأمن ، فحالـف بني نوفل بن عبـد مناة واختطّ[4] بمكّـة ، فمن ولده أبو أهاب بن عزيز بن قيس بن سويد ، وكانت طيّىء تطلب عثرات زُرارة وبني أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخي الملك ، فأنشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلقَط الطائيّ يقول : [من مجزوء الكامل]

من مبلغٌ عمراً بأنَّ المـر ءَ لم يُخلَـقْ صُبارَهْ[5]
وحـوادث الأيّـام لا تبقـى لهـا إلاّ الحجارَهْ

---

1 اجتذبتنا في ل : احتذيتنا .
2 حلبة : مرة من الحلب وكانوا يأخذون دم العروق يفصدونه ويجففونه ثم يأكلونه .
3 أمّه : شجَّ رأسه .
4 اختطّ : نزل خطّة بمكّة .
5 صُبارة : الحجارة الملس .

أَن ابـــن عِجزةِ أُمّــه بالسَّفح أَسفَلَ من أُوارَهْ

قال هشام : أَوّل ولد المرأة يقال له : زُكمة ، والآخر : عِجزة .

تسفي الرياحُ خلاله سَحْياً وقَـــد سَلَبُـــوا إزارَهْ[1]

فاقتـــل زُرارةَ لا أَرى في القوم أَفضلَ من زُرارَهْ

[هرب زرارة وعودته]

فلمّا بلغ هذا الشعرُ عمرَو بن هند بكى ، حتى فاضت عيناه ، وبلغ الخبرُ زرارة ، فهَرَب ، وركب عمرو بن هند في طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهي حُبلى فقال : أَذَكَرٌ في بطنك أم أُنثى ؟ قالت : لا علم لي بذلك ، قال : ما فعل زُرارة الغادر الفاجر ؟ فقالت : إن كان ما علمتُ لطيِّبُ العَرَق سمين المَرق ويأكل ما وَجد ، ولا يسأل عمّا فَقَد ، لا ينام ليلة يَخافُ ، ولا يشبع ليلةَ يُضافُ . فبَقر بطنها .

فقال قوم زُرارة لزرارة : والله ما قتلتَ أَخاه ، فأتِ الملك ، فاصدقه الخبر ، فأَتاه زرارة ، فأَخبره الخبر فقال : جئني بسويد ، فقال : قد لحق بمكّة ، قال : فعليّ ببنيه السبعة ، فأُتي ببنيه وبأمّهم بنت زُرارة وهم غِلْمة بعضهم فوق بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه ، وتعلّق بزُرارة الآخرون فتناولوهم ، فقال زُرارة : يا بعضي دع بعضاً[2] ، فذهبت مثلاً . وقتِلوا .

[عمرو ينكل ببني تميم]

وآلى عمرو بن هند بأليَّة ليحرِقَنَّ من بني حنظلة مائة رجل ، فخرج يريدهم وبعث على مقدَّمته الطائيَّ عمرو بن ثعلبة بن عَتّاب بن مِلقط ، فوجدوا القوم قد نَذِروا ، فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلاً بأسفل أوارة من ناحية البحرين ، فحبسهم ، ولحقه عمرو بن هند ، حتى انتهى إلى أوارة ، فضُرِبت فيه قبّتُه ، فأمر لهم بأُخدود فحفِر لهم ، ثم أضرمه ناراً ، فلمّا احتدمت وتلظَّت ، قذف بهم فيها ، فاحترقوا .

[إنّ الشقي وافد البراجم]

وأَقبل راكب من البراجم ، وهم بطن من بني حنظلة ، عند المَساء ، ولا يدري بشيء ممّا كان يُوضع له[3] بعيره فأناخ ، فقال له عمرو بن هند : ما جاء بك ؟ قال : حبُّ الطعام ، قد

1 سحياً في ل : كشحيه . وسحياً : قشراً .

2 مثل يضرب في تعاطف ذوي الأرحام ، ورد في مجمع الأمثال 410/2 والجمهرة للعسكري 420/2 ، 423 والمستقصى 405/2 وفصل المقال 209 والأمثال للقاسم بن سلام 139 .

3 الإيضاع : حمل الدواب على العدو السّريع .

أُقويْتُ[1] ثلاثاً لم أذق طعاماً ، فلمّا سطع الدّخان ظننته دخانَ طعام ، فقال له عمرو بن هند : مِمّن أنتَ ؟ قال : من البراجم ، قال عمرو : إنّ الشقيّ وافدُ البراجم[2] فذهب مثلاً ، ورمى به في النار ، فهجت العرب تميماً بذلك ، فقال ابن الصَّعِقِ العامريّ : [من الوافر]

ألا أَبلغْ لديكَ بني تميم ... بآيـة مـا يُحبُّون الطعاما

[مثل من شجاعة المرأة]

وأَقام عمرو بن هند لا يرى أحداً ، فقيل له : أَبيت اللعن ! لو تحلَّلت بامرأة منهم ، فقد أُحرقت تسعة وتسعين رجلاً . فدَعا بامرأة من بني حنظلة ، فقال لها : مَن أنت ؟ قالت : أنا الحمراء بنت ضَمرة بن جابر بن قَطَن بن نهشلَ بن دارم ، فقال : إنّي لأظنّك أعجميّة ، فقالتْ : ما أنا بأعجميّة ولا ولدْتني العجم . [من الرجز]

إنّي لبنتُ ضمرةَ بـن جابر ... سادَ معـدّاً كابـراً عن كابرِ
إنّي لأختُ ضَمرة بنِ ضَمرهْ ... إذا البـلاد لُفِّعَـت بجمرهْ

قال عمرو : أما والله لولا مخافة أن تلدي مثلك لصَرَفتكِ عن النّار ، قالت : أما والذي أَسأَلُه أن يضع وسادَك ، ويخفِض عمادَك ، ويسلبك مُلكك ، ما قتلتَ إلاّ نساء أعاليها ثُدِيّ وأسفلها دُمِيّ قال : اقذفوها في النّار ، فالتفتت ، فقالت : ألا فتًى يكون مكان عجوز ! فلمّا أبطؤوا عليها قالت : صار الفتيانُ حُمماً[3] ، فذهبت مثلاً فأُحرِقت ، وكان زوجها يقال له هَوذة بن جرول بن نهشل بن دارم .

[لقيط يعيّر بني مالك]

فقال لقيط بن زرارة يعيّر بني مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك وقتله إيّاهم ونزولهم معه : [من المتقارب]

لمـن دمنـةٌ أقفرتْ بالجنابِ ... إلى السفحِ بين المَلا فالهضابِ[4]
بكيـتَ لعرفـان آياتهـا ... وهاج لك الشوقَ نعبُ الغرابِ

---

1 أقويت : نفد زادي .

2 مثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة . ويُروى راكب البراجم . ورد في مجمع الأمثال 29/1 والدرر الفاخرة 259/1 ، 260 والجمهرة 10/1 ، 121 ، 122 والمستقصى 405/1 وفصل المقال 452 .

3 مثل ورد في مجمع الأمثال 394/1 والمستقصى 137/2 .

4 الجناب، والسّفح والملا والهضاب : مواضع .

فأبلــغ لديــك بنــي مالك مغلغلــةً وسراةَ الرّبــابِ[1]
فــإن امــرءاً أنتــمُ حولَــه تحِفُّــون قبَّتَــه بــالقِبابِ
يُهــينُ سراتكــمُ عامــداً ويقتلكم مثـلَ قتـلِ الكلابِ
فلــو كنتــمُ إبــلاً أُملَحَت لقــد نزَعَتْ للمياهِ العذابِ[2]
ولكنّكــم غنــمٌ تُصطَفــى ويُتــرك سائرُهــا للذئابِ
لعمر أبيــكَ أبــي الخير مـا أردتَ بقتلهــمُ مـن صوابِ
ولا نعمــةً إن خيرَ الملــو كِ أفضلهم نعمــةً في الرقابِ

[شعر الطرماح في أوارة]

وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا : [من البسيط]

واسأل زُرارة والمأمور مـا فعلت قَتْلى أُوارةَ مـن رعلان واللّددِ[3]
ودارِمــاً قــد قذفنا منهمُ مائــة في جاحِم النارِ إذ يُلقونَ بالخُدَدِ[4]
ينزون بالمشتوي منهــا ويوقدُها عمرٌو ولولا شحوم القوم لم تَقِدِ

[زرارة يريد الثأر من ابن ملقط]

قال : فحدَّثني الكلبيّ عن المفضل الضبّيّ قال : لمّا حضر زُرارة الموتُ جمع بنيه وأهل بيته ثم قال : إنّه لم يبقَ لي عند أحد من العرب وِتْر ، إلاّ قد أدركته ؛ غير تحضيض الطائيّ ابن ملقطٍ الملك علينا ، حتى صنع ما صنع ، فأيّكم يضمن لي طلب ذلك من طيّىء ؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : أنا لك بذلك يا عم . ومات زرارة ، فغزا عمرو بن عمرو جديلة من طيّىء ، ففاتوهم ، وأصاب ناساً من بني طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن تمامة وقال في ذلك شعراً .

[لقيط بن زرارة يخطب بنت ذي الجدين]

وكان زُرارة بن عُدس بن زيد رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط ، ورأى منه خُيَلاءَ ونشاطاً ، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذٍ شابّ . فقال له زرارة : لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنّما جئتني بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء ، أو نكحتَ بنت ذي

1 مغلغلة : أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد .
2 أملحت : وردت ماء ملحاً .
3 رعلان : حصن . واللدد : موضع .
4 جاحم : شديد الاشتعال . الخدد : جمع خدة أي حفرة .

الجدَّين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله عليَّ ألا يمس رأسي غَسْل ، ولا آكُلَ لحماً ، ولا أشرب خمراً ، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ومعه ابن خال له : يقال له : القُراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شيبان ، فسلَّما على ناديهم ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ذو الجدَّين ؟ وكان سيدَ ربيعة يومئذٍ ، قالوا : نعم ، قال : فأيّكم هُو ؟ قال قيس : أنا قيسٌ ، فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً ابنتَك ، وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحدٌ ابنته علانية إلاّ أصابه بشَرٍّ وسمَّع به ، فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : أنا لقيط بنُ زُرارة بن عُدَس بن زيد ، قال قيس : عجباً منك يا ذا القُصَّة ! هلا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : ولم يا عمّ ؟ فوالله إنّك لرُغْبة[1] وما بي من نَضاة ، أي ما بي عار ، ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتك لا أفضحك ، فأعجَب قيساً كلامُه ، وقال : كفء كريم ؛ إنِّي زوّجتُكَ ومهرتُك مائة ناقة ليس فيها مظائر[2] ولا ناب[3] ولا كَزُوم[4] ؛ ولا تبيت عندنا عَزبا ولا محروما . ثم أرسل إلى أُمّ الجارية : أنِّي قد زوّجت لقيطَ بن زُرارة ابنتي القَدور ، فاصنعيها واضربي لها ذلك البَلَق[5] ، فإن لقيطُ بنَ زُرارة لا يبيت فينا عَزبا . وجلس لقيط يتحدّث معهم ، فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو فأردُّها للقاح وأهزِلُها للجمال ، وأمّا المقام فأسمنها للجِمال ، وأحبُّها للنساء . فأعجب ذلك قيساً ، وأمر لقيطاً ، فذهب إلى البَلَق فجلس فيه ، وبعثت إليه أُمُّ الجارية بِمجمرة وبخور ، وقالت للجارية : اذهبي بها إليه ، فوالله لئن ردّها ما فيه خير ، ولئن وضعها تحته ما فيه خير ، فلمّا جاءته الجارية بالمجمرة بخَّر شعره ولحيته ثم ردَّها عليها ، فلمّا رجعت الجاريةُ إليها ، خبَّرتها بما صنع ، فقالت : إنّه لخليقٌ للخير ، فلمّا أمسى لقيط أُهدِيت الجارية إليه . فمازحها بكلام اشمأزّت منه ، فنام وطرح عليه طرفَ خَميصة[6] ، وباتت إلى جنبه ، فلمّا استثقل انسلَّتْ فرجَعَت إلى أُمّها ، فانتبه لقيط ، فلم يرها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل بعيرك[7] وإيّاك أن يُسمع رُغاؤها .

1 رغبة : يرغب فيك الناس .
2 مظائر : ليست مشرومة الأنف حين تغمى للظئار .
3 الناب : الناقة المسنة .
4 الكزوم : الناقة ذهبت أسنانها هرماً .
5 البلق : الفسطاط .
6 الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .
7 البعير يطلق على الناقة أيضاً .

[لقيط يحظى بجوائز المنذر وكسرى]

فتوجها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأَصبح قيس ففقد لقيطاً فسكت ، ولم يدر ما الذي ذهب به . ومضى لقيط ، حتى أتى المنذرَ فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه ، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر ، ثم انصرف لقيط من عند كسرى ، فأتى أباه ، فأخبره خبره .

[لقيط يعود إلى زوجته ثم تئيم منه]

وأَقام يسيراً ، ثم خرج هو وقرادٌ حتى جاءا محلّة بني شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا في طلبهم حتى وقعا في الرمل ، فقال لقيط : [من البسيط]

انظر قـرادُ وهاتا نظرةً جزعا عُرضَ الشقائق هل بيَّنْتَ أظعانا

فيهن أترجّـة نضخ العبير بها تكسى ترائبها شَذْرا ومَرجانا[1]

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد . فجهزها أبوها ، فلمّا أرادت الرحيل قال لها : يا بنيَّة كوني لزوجـكِ أَمةً يكن لكِ عبداً ، وليكن أكثرُ طيبِك الماء ، فإنّك إنّما يُذهَب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدتِ فستلدين لنا غيظاً طويلاً ، واعلمي أنّ زوجَك فارسُ مضر ، وأنّه يوشك أن يُقتلَ أو يموت ، فلا تخمِشي عليه وجهاً ولا تحلقي شعراً ، قالت له : أما والله لقد ربيتَني صغيرة ، وأَقصيتني كبيرة ، وزوّدتني عند الفراق شرَّ زاد . وارتحل بها لقيط ، فجعلتْ لا تمرّ بحيّ من العربِ إلاّ قالت : يا لقيط ، أَهؤلاء قومُكَ ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلّة بني عبد الله بن دارم ، فرأت القبابَ ، والخيل العَرابَ[2] ، قالت : يا لقيط أَهؤلاء قومك ؟ قال : نعمْ ، فأقام أيّاماً يُطعِم ويَنحر ، ثم بنى بها ، فأقامت عنده حتى قُتِل يوم جَبَلة[3] ، فبعث إليها أبوها أخاً لها فحُمِلت ، فلمّا ركِبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادي بني عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بني دارم ، أُوصيكم بالغرائب خيراً[4] ، فوالله ما رأيت مثلَ لقيط ، لم تخمِش عليه امرأة وَجْهاً ولم تحلِق عليه شَعراً ، فلولا أنـّي غريبة لخَمَشْت وحلقت ، فحبب الله بين نسائكم ، وعادى بين رعائكم ، فأثْنوْا عليها خيراً .

1 الأترجة : ثمر شجر من فصيلة الليمون . نضخ : أثر طيب يبقى في الثوب وغيره . شذراً : قطعاً من الذهب .
2 العراب : خلاف البراذين واحدها عربي .
3 يوم جبلة : يوم بين بني عبس وذبيان ابنَي بغيض .
4 ل : شرّاً .

[زوجة لقيط في عصمة غيره]

ثم مضت حتى قدمتْ على أبيهـا ، فزوّجهـا من قومه ، فجعل زوجُها يسمعُها تذكر لَقيطاً ، وتحزن عليه ، فقال لها : أيَّ شيء رأيت من لقيط أحسنَ في عينك ؟ قالت : خرج يوم دَجْن وقد تطَيَّب وشرب ، فطرد البقر فصرع منها ، ثم أتاني وبه نضحُ دماء ، فضمّني ضمّة ، وشمَّني شمّة ، فليتني مِتُّ ثَمَّة ، فلم أرَ منظراً كان أحسنَ من لَقيط ، فمكث عنها حتى إذا كان يومُ دَجن شَرب ، وتطيّب ، ثم ركب ، فطرد البقر ، ثم أتاها وبه نضح دمٍ والطيبُ وريح الشراب ، فضمّها إليه وقبّلها ، ثم قال لها : كيف ترينَ ؟ أأنا أم لَقيط فقالت : ماءٌ ولا كصَدَّاء ، ومرعى ولا كالسَّعدان[1] فذهبت مثلاً ، وصَدَّاء : ركية ليس في الأرض ركية أطيب منها ، وقد ذكرها التميميّ في شعره : [من الطويل]

إنِّــي وتهيامــي بزينبَ كالذي	يُخالس من أحواض صَدَّاءَ مَشربا
يرى دونَ برد الماء هَـولاً وذادةً	إذا اشتدَّ صاحوا قبـل أن يتحببا[2]

يقول : قبل أن يروى يقال : تحبَّبتُ من الشراب أي رَويتُ ، وبضعْت منه أيضاً أي رويت منه ، والتحبُّبُ : الرِّيّ .

صوت

[من الطويل]

وكاتبةٍ في الخدِّ بالمسك جعفرا	بنفسي مَخطُّ المسك من حيث أثَّرا[3]
لئن كتبتْ في الخدِّ سطراً بكفِّها	لقد أودعتْ قلبي من الحُبِّ أسطُرا
فيا مــن لمَمْلوك لملكِ يمينــه	مطيــعٌ لهــا فيمـا أَسرَّ وأظهرا
ويا من هواها في السريرة جعفرٌ	سقى الله مــن سُقْيا ثَناياكِ جعفرا

الشعر لمحبوبة شاعرةِ المتوكّل ، والغناء لعريب خفيف رَمَل مطلق .

1 السعدان : أطيب المراعي للإبل . وهنا مثل ويُروى كصدى : ورد في مجمع الأمثال 277/2 وفصل المقال 199 ، 201 والجمهرة للعسكري 91/2 ، 241 ، 255 والمستقصى 339/2 وورد مرعى ولا كالسعدان في مجمع الأمثال 225/2 ، 242 ، 275 والمستقصى 344/2 وفصل المقال 199 والقاسم بن سلام 135 ومواطن أخرى .

2 اشتد في ل : شدّ .

3 المخطّ : القلم يخطّ به المسك .

[478] ـ أخبار محبوبة

[محبوبة أجمل من فضل]

كانت محبوبة موَلّدة من مولدات البصرة ، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشاعرة اليماميّة أن تتقدّمها ، وكانت محبوبة أجملَ من فَضْل وأعفّ ، ومَلَكها المتوكّل وهي بكر ، أهداها لهُ عبدُ الله بنُ طاهر ، وبقيت بعده مدّة ، فما طمع فيها أحد ، وكانت أيضاً تغنّي غِناءً ليس بالفاخر البارع .

[حاضرة البديهة]

أخبرني بذلك جحظةُ عن أحمد بن حَمدون . وأخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني عليّ بن يحيى المنجم : كان عليّ بنُ الجهم يُقرَّب من أنس المتوكّل جدّاً ، ولا يكتمه شيئاً من سرّه مع حرمه وأحاديث خَلواته ، فقال له يوماً : إنّي دخلت على قبيحةَ ، فوجدتُها قد كتبتْ اسمي على خدِّها بغالية[1] ؛ فلا والله ما رأيت شيئاً أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدِّ ، فقل في هذا شيئاً . قال : وكانت محبوبة حاضرة للكلام من وراء السِّتر ، وكان عبد الله بن طاهر أهداها في جملة أربعمائة وصيفة إلى المتوكّل ، قال : فدَعا عليّ بن الجهم بدواة ، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكّر ، قالت محبوبة على البديهة من غير فكرٍ ولا رويَّة : [من الطويل]

وكاتبةٍ بالمسكِ في الخدِّ جعفَرا ... بنفسي مَخطُّ المسكِ من حيث أثَّرا

لئن كتبتْ في الخدِّ سطراً بكَفِّها ... لقد أودعتْ قلبي من الحبِّ أسطرا

فيا مَنْ لمملوك لِملكِ يمينه ... مطيعٍ له فيما أسرَّ وأظهرا

ويا مَن مناها في السريرةِ جعفرٌ ... سقى الله من سُقيا ثَناياك جعفَرا

قال : وبقيَ عليّ بن الجهم واجماً لا ينطق بحرف . وأمر المتوكّل بالأبيات ، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تغنّي فيها ، قال عليّ بن يحيى ، قال علي بن الجهم بعد ذلك : تحيّرتُ والله ، وتقلّبتُ خواطري ، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله .

[شعرها في تفّاحة]

أخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثني ابن خُرْداذبه قال حدَّثني عليّ بنُ الجهم : قال :

---

1 الغالية : أخلاط من طيب .

كنتُ يوماً عند المتوكّل وهو يَشربُ ونحن بين يديه ، فدفع إلى محبوبة تُفّاحة مغلّفة فقبّلتها ، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذي كانت تجلس فيه إذا شرِب ، ثم خرجت جاريةٌ لها ومعها رقعة ، فدفعتها إلى المتوكّل فقرأها ، وضحك ضحكاً شديداً ، ثم رمى بها إلينا ، فقرأناها وإذا فيها : [من المنسرح]

يــا طيبَ تُفاحــة خلوتُ بهـا ... تُشعل نــارَ الهـوى على كَبِدي
أبكــي إليهــا وأشتكــي دَنَفي ... ومــا أُلاقــي من شدَّة الكَمَدِ
لــو أنَّ تفّاحــةً بكــت لبكت ... مــن رحمتــي هــذه التي بيدي
إن كنــتِ لا ترحمين مــا لقيتْ ... نفسي من الجهدِ فارحمي جسدي

قال : فوالله ما بقيَ أحد إلاّ استظرفها ، واستملحها ، وأمر المتوكّل فغُنّي في هذا الشعر صوتٌ شربَ عليه بقيّة يومه .

[وفاؤها للمتوكّل بعد موته]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بنُ يحيى المنجم : أن جواريَ المتوكّل تفرّقن بعد قتله ، فصار إلى وصيف عدّة منهنّ ، وأخذ محبوبة فيمن أخذ ، فاصطبح يوماً وأمر بإحضار جواري المتوكّل ، فأحضِرن ، عليهنّ الثياب الملونة ، والمذهبة والحُليّ ، وقد تزيَّنّ وتعَطَّرن إلاّ محبوبة فإنّها جاءت مَرْهاء[1] متسلِّبة[2] ، عليها ثيابُ بياضٍ غير فاخرة ، حزناً على المتوكّل . فغنّى الجواري جميعاً ، وشربن وطربَ وصيفٌ وشرب ، ثم قال لها : يا محبوبة غنّي فأخذت العود ، وغنّت وهي تبكي ، وتقول : [من مجزوء الخفيف]

أيُّ عيش يطيــبُ لي ... لا أرى فيــه جعفَــرا
ملكاً قــد رأتــه عَيْــ ... ــني قتيــلا معفَّــرا[3]
كلُّ مَــن كان ذا هُيــا ... مٍ وحــزن فقــد بــرا[4]
غيــر محبوبــةَ التــي ... لــو ترى الموتَ يُشترى
لاشترتــه بمِلكهــا ... كُــلُّ هــذا لتُقبَــرا

1 مرهاء : غير مكتحلة .
2 متسلبة : لابسة ثياب الحداد .
3 معفراً : ممروغاً في التراب أو مضروباً به الأرض .
4 برا : تخفيف من برأ ، أي شفي من المرض .

إن مَوْتَ الكئيبِ أَصْـ ـلَحُ مـن أن يعمَّرا

فاشتدّ ذلك على وصيف ، وهمَّ بقتلها . وكان بُغا حاضرا ، فاستوهبها منه ، فوهبها له ، فأعتقها ، وأمر بإخراجها ، وأن تكونَ بحيث تختارُ من البلاد ، فخرجت من سُرَّ مَن رأى إلى بغداد ، وأَخْمَلَتْ ذكرها طولَ عمرِها .

خصام وصلح في المنام ؛ ثم في اليقظة]

أَخبرني جعفر بن قُدامة ، قال : حدَّثني ملاوي الهَيْثَميّ قال : قال لي عليٌّ بنُ الجهم : كانت محبوبة أُهديت إلى المتوكّل ، أهداها إليه عبد الله بن طاهر في جملة أربعمائة جارية ، وكانت بارعةَ الحسن والظَّرف والأَدب مغنّيةً محسنة ، فحَظِيتْ عند المتوكّل ، حتى إنّه كان يُجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب ، فيُدخلُ رأسَه إليها ، ويحدّثها ، ويراها في كلّ ساعة . فغاضبها يوماً ، وهجرها ومنع جواريَه جميعاً من كلامِها ثم نازعتْه نفسه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعته العزّةُ ، وامتنعت من ابتدائه إدْلالاً عليه بمحلّها منه . قال عليٌّ بنُ الجهم : فبكَّرْتُ إليه يوماً فقال لي : إنّي رأيت البارحة محبوبة في نومي كأنّي قد صالحتها ، فقلت : أقرّ الله عينَك يا أمير المؤمنين ، وأنامَك على خير ، وأيقظك على سرور ، وأرجو أن يكون هذا الصلح في اليقظة ، فبينا هو يحدَّثني وأُجيبه إذا بوصيفة قد جاءته ، فأسرّت إليه شيئاً ، فقال لي : أتدري ما أسرّتْ هذه إليَّ ؟ قلت : لا ، قال : حدَّثتني أنّها اجتازت بمحبوبة الساعةَ وهي في حجرتها تغنّي ، أفلا تعجب من هذا ؟ إنّي مغاضبها ، وهي متهاونة بذلك ، لا تبدؤني بصلح ، ثم لا ترضى حتى تغني في حجرتها ، قم بنا يا عليٌّ حتى نسمع ما تُغنّي . ثم قام ، وتبعتُه ، حتى انتهى إلى حُجرتها فإذا هي تغنّي وتقول : [من المنسرح]

أَدُور في القصر لا أَرى أحـداً أشكـو إليـه ولا يكلّمُني
حتـى كأنّي ركبتُ معصيةً ليستْ لهـا توبـةٌ تُخلّصُني
فهـل لنـا شافعٌ إلى مَلِكٍ قد زارني في الكَرى فصالحني
حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا عـاد إلى هجـره فصارمني

فطرب المتوكّلُ ، وأحستْ بمكانه . فأمرت خدَمَها ، فخرجوا إليه ، وتنحّينا وخرجتْ إليه ، فحدَّثته أنها رأتـه في منامهـا ، وقد صالحها ، فانتبهتْ ، وقالت هذه الأبيات ، وغنَّت فيها . فحدَّثها هو أيضاً برؤياه ، واصطلحا ، وبعث إلى كلٍّ واحد منّا بجائزة وخِلْعة .

ولمّا قُتِل تسلّى عنه جميعُ جواريه غيرها ، فإنّها لم تزل حزينة متسلّبة هاجرة لكلّ لذة حتى ماتتْ . ولها فيه مراثٍ كثيرة .

صوت

[من البسيط]

يـــا ذا الذي بعذابي ظلَّ مفتخرا   هل أَنـــت إلاّ مليكٌ جارَ إذ قَدَرا

لـــولا الهوى لتجازيْنا على قَدَرٍ   وإن أُفِقْ منه يوماً ما فسوفَ تَرى

الشعر يقال إنّه للواثق ، قاله في خادم له غضب عليه ، ويقال : إنّ أبا حفص الشَّطرنجي قاله له .

والغناء لعُبَيدة الطنبوريّة رمَل مطلق ، وفيه لحن للواثق آخر ، قد ذكر في غنائه .

[479] ـ أخبار عبيدة الطنبورية

[نشأتها]

كانت عُبيدةُ من المحسِنات المتقدمات في الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاقُ وحسْبُها بشهادته . وكان أبو حَشيشة[1] ، يعظّمها ، ويعترف لها بالرياسة والأستاذيّة ، وكانت من أحسنِ النّاس وجهاً ، وأطيبِهم صوتاً . ذكرها جحظة في كتاب الطُّنبوريين والطُّنبوريّات ، وقرأتُ عليه خبرَها فيه فقال : كانت من المحسِنات ، وكانت لا تخلو من عِشْق ، ولم يُعرف في الدُّنيا امرأة أعظمُ منها في الطنبور ، وكانت لها صنعةٌ عجيبة ، فمنها في الرمَل : [من المجتث]

كُـــن لي شفيعاً إليكا ... إن خَـــفَّ ذاك عليكا
وأعفِنـــي مـــن سؤالي ... سواكَ مـــا في يديكا
يـــا مَـــنْ أُعِزُّ وأَهوى ... مـــالي أُهـــونُ عليكا ؟

[تغنّى بحضرة إسحاق وهي لا تعرفه]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : قال ، لي عليّ بن الهيثم اليزيديّ : كان أبو محمد ، يعني أبي رحمة الله إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ ، يألفني ويدعوني ، ويعاشرُني ، فجاء يوماً إلى أبي الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه ، فرجع ومرَّ بي ، وأنا مشرف من جَناح لي ، فوقف وسلَّم عليَّ . وأخبرني بقصته ، وقال : هل تنشطُ اليومَ للمسير إليَّ ؟ فقلت له : ما على الأرض شيء أحبّ إليَّ من ذلك ، ولكنّي أُخبرُك بقصَّتي ، ولا أكتمُك . فقال : هاتِها ، فقلت : عندي اليوم محمدُ بنُ عمرو بنِ مَسعدة وهارون بن أحمد بن هشام ، وقد دعونا عُبيدةَ الطُّنبوريّة ، وهي حاضرة ، والساعةَ يجيء الرجلان ، فامض في حفظ الله ، فإنّي أجلسُ معهم حتى تنتظمَ أمورُهم ، وأروح إليك ، فقال لي : فهلاّ عرضتَ عليَّ المُقام عندك ؟ فقلت له : لو علمتُ أنّ ذلك ممّا تنشَط له والله لرغبتُ إليك فيه ، فإن تفضّلتَ بذلك كان أعظمَ لِمنّتك ، فقال : أفْعلُ ، فإنّي قد كنت أشتهي أن أسمَع عُبيدة ، ولكن لي عليك شريطَة ، قلت : هاتِها ، قال : إنّها إن عرفتني وسألتموني أن أُغنّي بحضرتها لم يَخْفَ عليها أمري وانقطعتْ فلم تصنع شيئاً ، فدعوها على جبِلّتها ، فقلت : أفعلُ

1 أبو حشيشة : محمد بن علي بن أبي أمية كان نديم الخلفاء ، وله كتاب في الطنبوريين .

ما أُمرتَ به ، فنزل وردَّ دابته وعرَّفتُ صاحبيَّ ما جرى ، فكتماها أمرَه وأكلنا ما حضر ، وقُدِّم النبيذ ، فغنَّت لحناً لها تقول : [من مجزوء الوافر]

قريـــبٌ غيرُ مقتـــرِبِ ومؤتلِـــفٌ كمجتنِبِ
لـــه وُدِّي ولي منـــه دواعي الهـــمّ والكُرَبِ
أواصلـــه على سَبـــبٍ ويهجُرني بـــلا سببِ
ويظلمنـــي على ثقـــةٍ بـــأنَّ إليـــهِ مُنْقَلَبي

فطرب إسحاق ، وشرب نِصفاً ، ثم غنَّت وشرب نِصفاً ، ولم يزل كذلك حتى والى بين عشرة أنصاف ، وشربناها معه ؛ وقام ليصلّي ، فقال لها هارون بن أحمد بن هشام : وَيحك يا عبيدة ! ما تبالين والله متى متّ ، قالت : ولِم ؟ قال : أتدرينَ من المستحسنُ غناءَكِ والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله ، قال : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فلا تعرِّفيه أنّك قد عرفته . فلمّا جاء إسحاق ابتدأتْ تغنّي ، فلحقتها هيبَةٌ له ، واختلاط ، فنقصتْ نقصاناً بيِّناً ، فقال لنا : أعرّفتّموها من أنا ؟ فقلنا لـه : نعم ، عرَّفها إيَّاكَ هارونُ بنُ أحمد ، فقال إسحاق : نقوم إذاً ، فننصرف ، فإنّه لا خيرَ في عشرتكم الليلةَ ولا فائدةَ لي ولا لكم ، فقام فانصرف .

حدّثني بهذا الخبر جحظةُ عن جماعة منهم العبّاس بن أبي العَنْبَس ، فذكر مثله وقال فيه : إنّ الصوت الذي غنّته : [من البسيط]

يـــا ذا الذي بِعذابـــي ظلّ مفتخرا

[المسدود يأبى أن يغنّي قبلها]

حدّثني جحظةُ قال : حدَّثني محمد بن سعيد الحاجب قال : حدَّثني ملاحِظٌ غلام أبي العبّاس بن الرشيد . وكان في خدمة سعيد الحاجب ، قال : اجتمع الطُّنبوريُّون عند أبي العبّاس بن الرشيد يوماً ، وفيهم المسدودُ وعُبيدة ، فقالوا للمسدود : غنِّ ، فقال : لا والله ، لا تقدَّمتُ ، عُبيدة ، وهي الأستاذة ، فما غنَّى حتى غنَّتْ .

[لم تدخل عليه بعد أن تزوّج]

وحدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني شرائح الخزاعيُّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر وساباط شرائح مشهور قال : كانت عُبيدة تعشقني فتزوَّجتُ فمرَّت بي يوماً فسألتها الدُّخولَ إليّ فقالت يا كشخانُ[1] ، كيف أدخل إليك وقد أقعدتَ في بيتك صاحب مصلحةٍ ! ولم تدخلْ .

1 الكشخان : مَن لا يغار على حريمه .

[ما كتب على طنبورها]

وحدَّثني جحظة قال : وهب لي جعفرُ بنُ المأمونُ طُنبورَها فإذا عليه مكتوب بأبنوس : [من مجزوء الخفيف]

كلّ شيء سوى الخيا نـة في الحُبّ يُحْتَمَلْ

[لا تردّ يد لامس]

وحدَّثني جحظةُ وجعفرُ بنُ قدامة ، وخبر جعفر أتمّ ، إلاّ أنّي قرأتُه على جحظة ، فعرفه ، وذكر لي أنّه سَمِعه ، قالا جميعاً : حدَّثنا أحمد بن الطيّب السرخسيّ قال : كان عليّ بن أحمد بن بسطام المروزيّ ، وهو ابن بنت شبيب بن واج ، وَشبيب أحد النفر الذي سترهم المنصور خلف قبّته يوم قتلَ أبا مُسلم ؛ وقال لهم : إذا صفّقتُ فاخرجوا فاضربوه بسيوفكم . ففعل وفعلوا ، فكان عليّ بن أحمد هذا يتعشّقُ عُبيدة الطُّنبوريّة وهو شابٌّ وأنفقَ عليها مالاً جليلاً ، فكتبتُ إليه أسأله عن خبرها ومَن هي ؟ ومن أين خرجَت ؟ فكتب إليَّ : كانت عُبيدةُ بنتَ رجل يقال له صباح مولى أبي السمراء الغسَّانيّ ، نديم عبد الله بن طاهر ، وأبو السمراءِ أحدُ العِدَّة الذين وَصلهم عبد الله بن طاهر في يوم واحد لكلّ رجل منهم مائةُ ألفِ دينار ، وكان الزبيديّ الطُّنبوريّ أخو نظم العمياء ، يختلف إلى أبي السمراء ، وكان صباح صاحب أبي السمراء ، فكان الزبيديّ إذا سار إلى أبي السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح والد عبيدة وباتَ ، وشربَ ، وغنَّى وأَنِس ، وكان لعُبيدة صوت حسن وطبع جيِّد ، فسمعت غناءَ الزُّبيديّ ، فوقع في قلبها واشتهتْه ، وسمع الزُّبيديّ صوتها ، وعرفَ طبعَها فعلَّمها ، وواظبَ عليها ، ومات أبوها ، ورقَّت حالُها ، وقد حَذِقت الغِناء على الطُّنبور ، فخرجت تغنّي ، وتقنع باليسير ، وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح ، فلم يزل أمرها يزيد ، حتى تقدّمتْ وكبُر حظّها ، واشتهاها النّاس . وحلّتْ تِكَّتَها ، وسَمحت ، ورغب فيها الفتيانُ ، فكانَ أولَ مَن تعشَّقها علي بن الفرج الرُّخّجيّ أخو عمر ، وكان حسنَ الوجه كثيرَ المال ، فكنت أراها عنده ، وكنّا نتعاشر على الفروسيّة ، ثم ولدت من عليّ بن الفرج بنتاً ، فحَجَبها لأجل ذلك ، فكانت تحتال في الأوقات بعلّة الحمَّام وغيره ، فتلُمُّ بمَن كانت تودُّه ويودُّها ، فكنت ممّن تلُمُّ به ، وأنا حينئذٍ شابٌ قد ورثتُ عن أبي مالاً عظيماً وضِياعاً جليلة ، ثم ماتت بنتُها من عليّ بن الفرج ، وصادفَ ذلك نكبتَهم واختلالَ حال عليّ بن الفرج ، فطلّقها فخرجت ، فكانت تخرج بدينارين للنهار ودينارين لليل ، واعترّتْ[1] بأبي السمراء ، ونزلت في بعضِ دوره .

1 اعترّتْ بفلان : اعترضت للمعروف .

وتزوّجت أُمّها بوكيل له ، فتعشّقت غلاماً من آل حمزةَ بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد ، وكان يغنّي بالمعرفة غناء مليحاً ، وكان حسنَ الوجه ، لا عيب في جَماله إلاّ أنّه كان متغيّرَ النَّكْهَـة ، وكانت شديدة الغُلمة لا تحرِم أحداً ولا تكرهه ، من حدٍّ الكهول إلى الطفل ، حتى تعلَّقت شابّاً يعرفُ بأبي كرب بن أبي الخطّاب ، مشرط الوجه أفطس قبيحاً شديد الأدْمة ، فقيل لها : أيّ شيء رأيت في أبي كرب ؟ فقالتْ : قد تمتّعت بكلّ جِنسٍ من الرّجـال إلاّ السودان ، فإنّ نفسي تبشعهم ، وهذا بينَ الأسود والأبيض ، وبيته فارغ لما أُريد ، وهو صفعاني[1] إذا أردت ووكيلي إذا أردت . قال : وكان لها غُلام يَضْرِب عليها يقال له عليّ ويلقّب ظئر عُبيدة ، فكانت إذا خلت في البيت وشَبقت اعتمدت عليه ، وقالت : هو بمنزلة بغْلِ الطحَّان يصلح للحَمْل والطَّحْن والركوب .

وكان عمرو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنّيهم مع جواريه ، وإنّما عرفها من داري ، لأنّه بعث يدعوني ، فدخل غلامُه ، فرآها عندي ، فوصفها له فكتب إليَّ يسألني أن أجيئَـه بها معي . ففعلتُ ، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث بن جمعة والحسن بن سليمان البرقيّ وهارون بن أحمد بن هشام ، فعدلوا كلُّهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه ، ومال إليها جواريه ، وما خرجت إلاّ وقد عقدت بين الجماعة مودّة ، وكان جواري عمرو بن بانة يشتقْن إليها ، فيسألنه أن يدعوها ، فيقول لهنّ : ابعثْن إلى عليّ حتى يبعثَ بها إليكنّ ، فإنّه يميل إليها ، وهو صديقي وأخشى أن يظنّ أنّي قد أفسدتها عليه ، ولم يكن به هذا إنّما كان به الدّيناران اللذان يريد أن يحدرها بهما ، وكان عمرو من أبخل النّاس ، وكان صوتُ إسحاق بن إبراهيم عليها : [من البسيط]

يـــا ذا الذي بعذابـــي ظلَّ مفتخراً

وكان صوتُ عَلّويه ومُخارق عليها : [من مجزوء الوافر]

قريـــبٌ غير مقترب

وهذان الصوتان جميعاً من صنعتها .

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهي أن يسمعها ، ويمنع نفسه ذلك لتيهه ولبَرْمكته وتوقّيه أن يبلغَ المعتصم عنه شيء يعيبه ، وماتت عُبيدة من نَزْف أصابها ، فأفرط حتى أتلفها .

---

1 صفعاني : يصفع .

[إسحاق يحزنها حية ويرثيها ميتة]

وفي عبيدة يقول بعضُ الشعراء ، ومن النّاس مَن ينسبه إلى إسحاق : [من البسيط]

أُمست عُبيدةُ في الإحسانِ واحدةً فاللهُ جارٌ لها من كلِّ محذورِ
من أَحسَنِ النّاس وجهاً حين تُبصرُها وأحذقِ النّاس إن غنَّت بطُنبورِ

أَخبرني جعفرُ بن قدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : سمعت إسحاق يقول : الطُنبور إذا تجاوز عُبيدةَ هَذَيان .

صوت

[من السريع]

سَقِمتُ حتى ملَّني العائدُ وذبتُ حتى شِمتَ الحاسدُ
وكنتُ خِلواً من رسيسِ الهوى حتى رماني طرفُك الصائدُ

الشعر فيما أُخبرني به جحظة لخالد الكاتب ووجدتُه في شعر محمد بن أُميَّة له ، والغناء لأحمد بن صَدقة الطُّنبوريّ ، رمل مطلق .

وقد مضت أُخبارُ خالد الكاتب ومحمد بن أُميّة ونذكر هاهنا أَخبارَ أَحمدَ بن صدقة .

[480] ـ أخبار أحمد بن صدقة

[اسمه ونسبه ونشأته]

هو أحمدُ بن صدَقة بن أبي صدقة ، وكان أبوه حجازيّاً مغنّياً ، قدِم على الرشيد ، وغنّى له ، وقد ذَكرْتُ أخبارَه في صدر هذا الكتاب .

وكان أحمدُ بنُ صدقة طُنبوريّاً محسناً مقدَّماً حاذقاً حَسَنَ الغناء مُحكم الصنعة ، وله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطُّنبوريّين ، وكان ينزل الشام ، فوُصف للمتوكّل ، فأمر بإحضاره ، فقدِم عليه وغنّاه ، فاستحسن غناءه ، وأجزل صلته ، واشتهاه الناسُ وكثُر مَن يدعوه ، فكسب بذلك أكثر ممّا كسبه مع المتوكّل أضعافاً .

[جحظة يشيد به]

أخبرني بذلك جحظةُ وقال : كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوتَ المتقدِّمَ ذكرُه ووصفَه وقرَّظه ، وذكر بعده هذا الصوت : [من السريع]

وشادنٍ ينطِق بالظَّرفِ حُسنُ حبيبي منتهى الوصفِ
هام فؤادي وجرت عَبْرتي لا بَعُدَ الإلْفُ من الإلفِ

قال : وهو رَمَل مطلق ، ولو حلفْتُ أنّهما ليسا عند أحد من مغنّي زماننا إلاّ عند واحد ما حَنِثت ، يعني نفسه .

[خبره مع خالد بن يزيد]

حدّثني محمد بنُ مزْيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال : حدَّثني أحمد بن صدَقة قال : اجتزت بخالد بن يزيدَ الكاتب ، فقلت له : أنشدْني بيتين من شعركَ حتى أُغنّي فيهما . قال : وأيُّ حظّ لي في ذلك ؟ تأخذُ أنت الجائزةَ وأُحصِّل أنا الإثم !

فحلفت له أنّي إن أفدتُ بشعرك فائدة جعلت لك فيها حظّاً ، أو أذكرتُ به الخليفة ، وسألته فيك ، فقال : أمّا الحظّ من جهتك فأنت أنزل من ذلك ، ولكن عسى أن تفلحَ في مسألة الخليفة ، ثم أنشدني : [من المتقارب]

تقولُ سلا فمن المدْنَفُ ومَنْ عينُه أبداً تَذْرِفُ ؟
ومَنْ قلبُه قَلِق خافقٌ عليك وأحشاؤه ترجُفُ ؟

فلمّا جلس المأمون للشرب دعاني ، وقد كان غضب على حَظِيَّة له ، فحضرتُ مع المغنّين ، فلمّا طابت نفسه وَجَّهتْ إليه بتفّاحة من عنبر ، عليها مكتوب بالذهب : يا

سيِّدي ، سلوتَ . وعلم الله أنّي ما عرفتُ شيئاً من الخبر .

[غضب المأمون]

وانتهى الدور إليَّ ، فغنَّيتُ البيتين ، فاحمرَّ وَجه المأمون ، وانقلبت عيناه وقال لي : يا ابن الفاعلة ، ألك عليَّ وعلى حرمي صاحب خبر ! فوثبت ، وقلت : يا سيدي ما السبب ؟ . فقال لي : من أين عرفتَ قصّتي مع جاريتي ؟ فغنَّيتَ في معنى ما بيننا ، فحلفتُ له أنّي لا أعرف شيئاً من ذلك ، وحدّثته حديثي مع خالد ، فلمّا انتهيتُ إلى قوله ، «أنتَ أنزلُ من ذلك» ضحك ، وقال : صدق ، وإن هذا الاتفاق ظريف ، ثم أمر لي بخمسة آلاف درهم ولخالد مثلها .

[دخوله على المأمون في يوم السعانين]

أخبرني محمد قال : حدَّثنا حمّاد قال : حدَّثني أحمدُ بنُ صدقة قال : دخلت على المأمون في يوم السعانين[1] ، وبين يديه عشرون وَصيفة ، جَلَباً روميات مزنّرات[2] ، قد تزينَّ بالدِّيباج الروميّ ، وعَلّقن في أعناقهنّ صُلْبانَ الذهب ، وفي أيديهنّ الخوص والزيتون ، فقال لي المأمون : وَيلك يا أحمد ! قد قلتُ في هؤلاء أبياتاً فغنّني فيها .

ثم أنشدني قوله : [من الهزج]

ظبــــاءٌ كالدنانيــــر مِــلاحٌ في المقاصيرِ
جَلاُهــــنَّ السعانينُ علينـــا في الزنـــانيرِ
وقــد زَرَّفن أصداغاً كأذنـــابِ الزرازيرِ
وأقبلــــنَ بــأوساطٍ كأوساط الزنـــابيرِ

فحفظتها ، وغنّيته فيها ، فلم يزل يشرب ، وترقُص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند[3] ، إلى الإيلا حتى سكر ، فأمر لي بألفِ دينار ، وأمر بأن يُنثرَ على الجواري ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت الألف ، ونُثرت الثلاثة الآلاف عليهنّ ، فانتهبتُها مَعهنّ .

[يغضب فيسترضيه الفضل]

حدَّثني جحظة قال حدَّثني جعفر بن المأمون قال : اجتمعنا عند الفضل بن العبّاس بن المأمون ، ومعنا المسدود ، وأحمد بن صدقة ، وكان أحمد قد حلَق في ذلك اليوم رأسَه ، فاستعجلوا بسُلافة كانت لهم ، فأخذ المسدود سُكُرّجة[4] خردَل ، فصبّها على رأس أحمد بن

1 يوم السّعانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع .
2 مزنّرات : لابسات الزنّار وهو خاص بالنصارى ، والمجوس يتزيّنون به .
3 الدستبند : الرقص مع التماسك بالأيدي في حلقات وهو معرّب .
4 سكرجة : صحفة للطعام .

صدقة وقال : كلوا هذه حتى تجيء تلك . فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم ، فانصرف . ولمّا كان من غد جمعهما الفضل بن العبّاس ، فتقدّم المسدودُ ، ودخل أحمد وطُنبور المسدود موضوع ، فجسَّه ، ثم قال : مَن كان يسبح في هذا الماء ؟ فما انتفعنا بالمسدود سائر يومه ، على أن الفضل قد خلع عليهما ، وحَملهما .

[نهايته على أيدي الأعراب]

ولم يزل أحمد مقيماً ، حتى بلغه موت بُنيَّة له بالشام ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه .

[كان أبخر]

قال جحظة : وقال بعض الشعراء يهجو أحمدَ بنَ صدقة وكانت له صديقة فقطعتْه فعيَّره بذلك ونسبها إلى أنّها هربت منه لأنّه أبخر : [من الكامل]

هربتْ صديقــة أحمــدِ هربتْ مـن الرِّيقِ الرّدِي
هربت فإن عـادت إلى طُنبـورِه فاقطــعْ يدي

صوت

[من الطويل]

ألم تعلَمــوا أنّي تُخاف عَرامتي وأن قَناتــي لا تلـينُ على القَسْرِ
وإنِّــي وإيّاكم كمَن نبَّــه القَطا ولو لم تُنبَّه باتت الطيرُ لا تسْري
أنــاةً وحلماً وانتظاراً بكم غداً فما أنا بالواني ولا الضَّرَع الغُمرِ[1]
أظُنُّ صروفَ الدَّهرِ والجهلِ منكمُ ستحملكم منّي على مَركَب وَعْرِ

الشعر للحارث بن وعْلة الجَرميّ ، والغناء لابن جامع ثقيل بالبِنصر عن عمرو ، وفيه لسِياط لحن ذكره إبراهيم ولم يجنّسْه ، وقيل إنّ الشعر لوعلةَ نفسِه .

1 الضَّرَع : الجبان . والغُمر : الغبي ، والذي لا يجرّب الأمور .

[481] ـ أخبار الحارث بن وعلة

[نسبه]

الحارث بن وعْلة بن عبد الله بن الحارث بن بُلع بن سبيلة بن الهون بن أعجب بن قدامة بن جَرْم بن زبان ، وهو علافٌ ، وإليه تنسبُ الرِّحال العِلافِيّة ، وهو أوّل مَن اتّخذها ، بن حُلْوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة . وقد ذكرت متقدّماً الاختلاف في قضاعة ، ومن نسبَه مَعَدِّياً ، ومَنْ نَسَبه حِميريّاً .

والرِّحال العِلافيَّة[1] مَشْهُورَة عند النّاس ، قد ذكرتْها الشعراءُ في أشعارها ، قال ذو الرُّمّة : [من الطويل]

وليلٍ كجلباب العَروس ادَّرعتُـه ... بأربعة والشَّخصُ في العين واحدُ
أحَـمُّ عِـلافيٌّ وأبيضُ صـارمٌ ... وأعيسُ مَهْـرِيٌّ وأروعُ ماجدُ

وكان وَعلةُ الجرميّ وابنُه الحارث من فُرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها ، وشهد وعلةُ الكُلاب الثاني[2] ، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المِنقريّ ، وطلبه ، ففاته ركْضاً وعدواً ، وخبره يذكر بعد هذا في موضعه إن شاء الله تعالى .

[ابن الأشعث وعبد الملك يتمثّلان بشعره وشعر أبيه]

فأخبرني عمّي قال : حدَّثني الكُرانيّ ، قال : حدَّثنا العمريّ عن العُتبيّ قال : كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجّاج مبتدئاً : أمّا بعد ، فإن مَثَلي ومَثَلَكَ كما قال القائل : [من البسيط]

سائلْ مُجاورَ جَـرْم هـل جنيتُ لها ... حَرْبـاً تفرّق بـين الجيرة الخُلُطِ ؟
أم هـل دلفتُ بجـرَّار لـه لَجَبٌ ... يَغشى الأماعيزَ بين السَّهل والفُرُطِ ؟[3]

والشعر لوَعْلَة الجَرمِيّ ، هذا مَثَلي ومَثَلُك ، فسأحملك على أصعبه ، وأريحك من مركبه .

1 علاف : رجل من الأزد وهو زبان أبو جرم من قضاعة .
2 الكلاب : ماء بين جبلة وشمام وللعرب يومان فيه : الكلاب الأول والكلاب الثاني وثانيهما لتميم على مذحج .
3 الفُرُط : واحد الأفراط : وهي آكام شبيهات بالجبال .

فكتب الحجّاج بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه جوابه : أمّا بعد ؛ فإنّي قد أجبت عدوَّ الرحمن بلا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله ، ولعمرُ الله لقد صدق ، وخلع سلطانَ اللهِ بيمينه ، وطاعتَه بشماله ، وخرج من الدِّين عُرياناً ، كما ولدتْه أمُّه .

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدعَ جوابَه بشعر فقال : وعلى أن مَثَلي ومَثَلَه ما قال الآخر : [من الطويل]

أنــاةً وحِلْماً وانتظاراً بكُــم غدا ... فما أنا بألواني ولا الضرَعِ الغَمْرِ
أظُنّ صروفَ الدَّهرِ والجهلَ منهمُ ... ستحمِلُهم منّي على مَركَــب وعْرِ

فليت شعري أَسَما عَدوُّ الرّحمن لدعائم دين اللهَ يهدِّمُها ؟ أم رام الخلافةَ أن ينالها ؟ وأوشك أن يُوهن اللهُ شوكتَه ، فاستعنْ بالله ، واعلم أنّ اللهَ مع الذين اتّقوْا والذين هم مُحسنون .

قال مؤلّف هذا الكتاب : الشعر الذي تمثَّل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعلَة الجرميّ ، والشعر الذي تمثَّل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة .

[يخذله قومه وينصره آخرون]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال : حدَّثني طلحة بن عبد الله الطَّلحيّ ، عن أحمد بن إبراهيم ، عن أبي عبيدة قال : قتلَتْ نَهدٌ أخا وعلة الجرميّ ، فاستعان بقومه ، فلم يعينوه ، فاستعان بحُلفاء [من] بني نمير ، وكانوا له حلفاء وإخواناً ، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال في ذلك : [من البسيط]

سائل مُجاورَ جَرم هل جنيتُ لها ... حرباً تُزيِّل بـين الجيرة الخُلُطِ[1]
أم هــل علوتُ بجرَّار له لَجبٌ ... يغشى المخارمَ بين السهل والفُرُطِ[2]
حتى تركتُ نساءَ الحيّ ضاحيةً ... في ساحة الدّار يستوقدْنَ بالغُبُطِ[3]

[يفرّ من قيس بن عاصم عند غزوه لليمن]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ ، قال : حدَّثنا الرياشيّ قال : خرج رجل من بني تميم ، يقال إنّه قيسُ بن عاصم قال الرياشيّ : وحقق أبو عبيدة أنّه قيس ، يوم الكُلاب ، يلتمس أن يصيبَ رجلاً من ملوك اليمن له فداء ، فبينا هو في ذلك إذ أدرك وَعلَة

1 الخلط : خليط وهم القوم الذين أمرهم واحد .
2 المخارم : جمع مخرم وهو أفواه الفجاج .
3 ضاحية : بارزة .

الجَرْميّ ، وعليه مقطعات له فقال له : على يمينك ، قال : على يساري أقصَدُ لي ، قال : هيهاتَ منك اليمن ، قال : العراقُ منّي أبعد ، قال : إنّك لن ترى أهلَك العامَ ، ولا أهلك تراهم ، وجعل وعلةُ يركضُ فرسه ، فإذا ظنَّ أنّها قد أعيت وَثَب عنها ، فعدا معها ، وصاح بها ، فتجري وهو يُجارِيها ، فإذا أعْيا وثب فركِبَها ، حتى نجا . فسأل عنْه قيس ، فعرف أنّه وَعْلَةُ الجرميّ ، فانصرف وتركه ، فقال وعلة في ذلك : [من الطويل]

فِـدًى لكما رحْلي أُمّي وخالتي ... غـداةَ الكُلابِ إذ تُحَـزُّ الدَّوابرُ

نجوتُ نجاء لم يَـرَ النّاسُ مثلَه ... كأنّي عقابٌ عنـد تَيْمَن كاسِرُ[1]

ولّما رأيت الخيلَ تدعـو مُقاعِساً ... تنازعنـي من ثُغـرةِ النحر جائِرُ

فإن أستطع لا تلتبسْ بي مُقاعسٌ ... ولا يـرَني ميدانهـم والمحاضرُ

ولا تَـكُ لي جـرَّارة مضريَّـةٌ ... إذا مـا غدت قوتَ العيالُ تُبادرُ

أمّا قوله : «تحزّ الدوابر» فإنّ أهل اليمن لّما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه : لا تشتغلوا بأسْرهم فيفوتكم أكثرهم ، ولكن اتَّبِعوا المنهزمين ، فجزّوا أعصابَهم من أعقابهم ودعُوهم في مواضعهم ، فإذا لم يبقَ أحد رجعتم إليهم ، فأخذتموهم . ففعلوا ذلك ، وأهل اليمن يومئذٍ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم : اليزيدون ، وهم يزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن هَوْبَر ، ويزيد بن المأمورِ ويزيد بن مخرَّم . هؤلاء الأربعة اليزيدون ، والخامس عبد يغوث بن وقّاص ، فقُتِل اليزيدون أربعتهم في الوقعة ، وأُسِر عبد يغوث بن وقاص ، فقتلته الرِّباب برجل منها ، وقد ذُكِر خَبَرُ مقتله متقدّماً في صوت يغنى فيه وهو : [من الطويل]

ألا لا تلوماني كفى اللومَ ما بيا

وأمّا قوله : [من الطويل]

ولّما رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً

فإنّ بني تميم لّما التقت مع بني الحارث بن كعب في هذا اليوم تداعت تميم في المعمعة يا آل كعب ! فتنادى أهلُ اليمن : يا آل كعب ! فتنادوا : يا آل الحارث ! فتنادى أهل اليمن ! يا آل الحارث ! فتنادوا : يا آل مقاعس ! وتميّزوا بها من أهل اليمن .

---

1 تيمن : أرض بين بلاد تميم ونجران .

صوت

[من البسيط]

واللهِ لا نظرتْ عينـي إليكَ ولو سالت مَسارِبُها شوقاً إليكَ دَما
إن كنتُ خنتُ ولم أُضمرْ خيانتكمْ فاللهُ يأخـذُ مِمَّن خـانَ أو ظَلَما
سماجـة لُمحبٍّ خـان صاحبَـه مـا خان قطُّ محبٌّ يعرفُ الكَرَما

الشعر لعليّ بن عبد الله الجعفريّ ، والغناء للقاسم بن زُرزور ، ولحنه ثقيل أوّل مطْلق ابتداؤه نشيد ، وكان إبراهيم بن أبي العَنْبَس يذكر أنّه لأبيه .

[482] ـ أخبار عليّ بن عبد الله بن جعفر ونسبه

[نسبه]

هو عليُّ بنَ عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليهم السلام ، وأمّه وَلاّدة بنت الحجَل بن عنبسة بن سعيد بن العاصي بن أميّة : شاعر ظريف حجازيّ ، كان عمر بن الفرج الرُّخّجيّ حمله من الحجاز إلى سُرَّ من رأى مع مَنْ حمل من الطالبيِّين فحبسَه المتوكّل معهم .

[يحبسه المتوكّل]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ قال : حدَّثنا عمر بن عثمان الزُّهريّ المعروف بابن أبي قُباحَة قال : رفع عمر بن الفرج عليّ بن عبد الله بن جعفر الجعفريّ إلى المتوكّل أيّام حَجَّ المنتصر ، فحبسه المتوكّل لأنّه كان شيخَ القوم وكبيرَهم ، وكان أغلظ لعُمَر بن الفرج .

[يتديّث في شعره]

قال عليّ بن عبد الله : مكثت في الحبس مدّة ، فدخل عليَّ رجل من الكتَّاب يوماً فقال : أريد هذا الجعفريَ الذي تديَّث في شعرِه فقلت له : إليَّ فأنا هو ، فعدل إليّ وقال : جعلت فداك ! أُحبّ أن تنشدني بيتيك اللذين تديّثت فيهما ، فأنشدته : [من الطويل]

ولما بدا لي أنّها لا تودُّني وأن هواها ليس عنّي بمُنجَلِ
تمنَّيتُ أن تهوى سواي لعلَّها تذوقُ حراراتِ الهوى فترقَّ لي

قال : فكتبهما ، ثم قال لي : اسمع ، جعلتُ فداك ، بيتين قلتهما في الغيْرة ، فقلت : هاتِهما فأنشدني : [من الخفيف]

ربّما سرَّني صدودُك عنّي في طلابيكِ وامتناعكِ منّي
حذراً أن أكون مِفتاحَ غيري فإذا ما خلوت كنتِ التَّمَنّي

[لا يخفض جبينه إلا لله]

حدَّثني اليزيديُّ قال : حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال : أخبرني العبّاس بن عيسى العُقَيليّ أنّ عليّ بن عبد الله الجعفريّ أنشده : [من المجتث]

واللهِ واللهِ ربِّـــــي وتلكَ أَقصـى يَميني
لو شئتُ ألا أُصلِّـي لمـا وضعت جَبيني

[أيّهما يدع]

حدَّثنا اليزيديّ قال: حدَّثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرني العبّاسُ بن عيسى قال: حدَّثني عليّ بن عبد الله الجعفريّ قال: مرَّت بي امرأة في الطواف، وأنا جالس أُنشدُ صديقاً لي هذا البيتَ: [من البسيط]

أهوى هَوى الدِّين واللذاتُ تُعجبني فكيفَ لي بهـوى اللذات والدِّينِ؟

فالتفتت المرأةُ إليَّ وقالت: دع أيَّهما شئت وخُذ الآخرَ.

[عود إلى الصوت]

حدَّثنا اليزيديّ قال: حدَّثنا محمد بن الحسن الزُّرقيّ قال: حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال: أنشدني عليٌّ بن عبد الله بن جعفر الجعفريّ لنفسه: [من البسيط]

والله لا نظـرتْ عيني إليكَ ولو سالت مساربُها شوقاً إليـكَ دَما
إلاّ مفاجـأةً عنـد اللقـاء ولا نازعتكِ الدَّهـرَ إلاّ ناسيا كلِما
إنْ كنتُ خُنتُ ولم أُضمرْ خيانتكمْ فاللهُ يأخذُ مِمَّن خـانَ أو ظلما
سماجَـةٌ لمحـبٍّ خـان صاحبَه مـا خان قطُّ محبٌّ يَعرفُ الكرَما

قال عبد الله بن شبيب وأنشدني عليٌّ بن عبد الله لنفسه: [من الكامل]

صوت

وقف الهوى بي حيثُ أَنت فليس لي متأخَّـر عنـه ولا مُتقـدَّمُ
أجـد الملامـةَ في هـواكِ لذيذةً حُبّـاً لذكـركِ فلْيلُمْني اللوَّمُ
وأَهَنْتِني فأهنت نفسيَ جاهـداً ما مـن يهون عليك مِمّن يُكرمُ
أشبهتِ أعدائـي فَصِرتُ أُحِبُّهم إذ صار حظِّي منـكِ حظِّيَ منهمُ

صوت

[من الطويل]

أتعـرفُ رسمَ الدّارِ مـن أُمِّ معبدِ نعم فرمـاكَ الشوقُ قبل التجلُّدِ

فيا لكَ مِنْ شوقٍ ويا لكِ عبرَةً سوابقُها مِثــل الجُمــانِ المبدَّدِ

الشعر لعتيبة بن مرداس المعروف بابن فَسْوة ، والغِناء لجميلة ، خفيف ثقيل بالبنصر عن ابن المكّيّ .

وذكر الهشاميّ أنّ فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأوّل ، وأنّه يظنّه من منحول يحيى إليه .

[483] ـ أخبار عتيبة ونسبه

[نسبه]

عُتَيبة بن مرداس أحد بني كعب بن عمرو بن تميم ، لم يقع إليَّ من نسبه غيرُ هذا ، وهو شاعر مُقلٌّ غيرُ معدود في الفحول ، مُخضرم ممّن أدرك الجاهلية والإسلام هجَّاء خبيث اللسان بَذِيٌّ .

وابنُ فسْوة لَقب لزمه في نفسه ، ولم يكن أبوه يُلقّب بفسوة ، إنّما لُقب هو بهذا ، وقد اختُلِف في سبب تلقيبه بذلك ، فذكر إسحاق الموصليّ عن أبي عمرو الشّيبانيّ : نسختُ ذلك من كتاب إسحاق بخطّه .

[لماذا لقّب بابن فسوة]

أنّ عتيْبَةَ بن مِرداس كان فاحشاً كثيرَ الشرّ قد أدركَ الجاهليّة ، فأقبل ابن عَمٍّ له من الحَجّ ، وكان من أهلِ بيت منهم يقال لهم : بنو فَسْوة ، فقال لهم عتيبة : كيف كنْتَ يا ابن فسوة ؟ فوثب مغضباً ، فركب راحلته وقال : بئس لعمر الله ما حيَّيْتَ به ابن عمِّك ، قدِم عليك من سفر ، ونَزل دارَك ! فقام إليه عُتيبة مُستْحيياً ، وقال له : لا تغضب يا ابن عمّ ، فإنّما مازحتُكَ ! فأبى أن ينزل ، فقال له : انزِل وأنا أشتري منك هذا الاسمَ فأتسمَّى بـه ، وظـنَّ أنّ ذلك لا يضرّه ، قال : لا أفعلْ أو تشتريه منّي بمحضَرٍ من العشيرة . قال : نعم فجمعهم وأعطاه بُرداً وجملاً وكبشين ، وقال لهم عتيبةُ : اشهدوا أنّي قد قبلت هذا النَّبزَ وأخذت الثمن ، وأنّي ابنُ فسوة ، فزالت عن ابن عمِّه يومئذٍ ، وغَلَبتْ عليه وَهُجيّ بذلك ، فقال فيه بعض الشعراء : [من البسيط]

أُودى ابنُ فسوة إلاّ نَعْتَه الإبلا

وعُمِّر عُمراً طويلاً ، وإنّما قال : [من البسيط]

أُودى ابنُ فسوة إلاّ نَعْتَه الإبلا

لأنّه كان أوصفَ النّاس لها ، وأغراهم بوَصفها ، ليس له كبير شعر إلاّ وهو مُضَمَّن وَصفها .

[سبب آخر للتسمية]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : إنّما سُمِّي عتيبةُ بنُ مرداس ابن فسوة ، لأنـّه كان له جارٌ من عبد القيس ، فكان يتحدّثُ إلى ابنته ، وكان

لها حظٌّ من جمال ، وكانت تُعجبُه ويَهيم بها ، فكان أحداثُ بني تميم ، إذا ذكروا العبديّ ، قالوا : قال ابن فسوة ، وفعل ابن فسوة ، فأكثروا عليه من ذلك حتى ملَّ فعمِل على التحوُّل عنهم ، وبلغ ذلك عتيبةَ ، فأتاهُ فطلب إليه أن يقيم ، وأن يحتمل اسمه ، ويشتريه منه ببعير ، فلم يفعل ، قال : العبديّ : فتحوّلتُ عنهم وشاع في النّاس أنّه قد ابتاع منّي وغلب عليْهِ ، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له : [من الطويل]

وحَوَّلَ مولانـا علينا اسمَ أُمّه   ألا رُبَّ مولًى ناقصٍ غير زائدِ

[ابن عبّاس ينهره]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث قال : حدَّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ وابن دأْب وابن جُعْدَبة ، قالوا : أتى عُتيبةُ بن مرداس ، وهو ابن فسوة ، عبدَ الله بن العبّاس عليهما السلامُ وهـو عامـل لعليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه على البصرة ، وتحته يومئذٍ شُمَيلة بنت جُنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانيّة ، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السُّلميّ ، فاستأذن عليه ، فأذِن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدَحهم ، فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلمّا دخل على ابن عبّاس قال له : ما جاء بكَ إليَّ يا ابنَ فسوة ؟ فقال له : وهل عنك مَقصَرٌ أو وراءك مَعْدًى ؟ جئتك لتعينَني على مروءتي ، وتَصِلَ قرابتي ، فقال له ابن عبّاس : وما مروءة مَنْ يعصِي الرحمنَ ويقول البُهتانَ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصلَ ؟ والله لئن أعطيتك لأعيننَّكَ على الكفرِ والعصيان ، انطلق فأنا أُقسِم بالله لئن بلغني أنّك هجوت أحداً من العرب لأقطعنَّ لسانك . فأراد الكلام ، فمنعه مَنْ حضر ، وحبسه يومَه ذلك ، ثم أخرجه عن البصرة .

[الحسن وابن جعفر يصلانه خشية لسانه]

فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليٍّ عليه السلام ، فلقي الحسن بن عليّ عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام ، فسألاه عن خَبَره مع ابن عبّاس عليه السلام فأخبرهما ، فاشتريا عرضَه بما أرضاه ، فقال عتيبة يمدح الحسن وابن جعفر عليهما السلام ويلوم ابنَ عبّاس رضي الله عنهما : [من الطويل]

أتيتُ ابنَ عبّاس فلم يقضِ حاجتي   ولم يَرْجُ معروفي ولم يَخشَ منكَرِي
حُبستُ فلم أنطق بعذر لحاجةٍ   وسَدَّ خَصاص البيت من كلِّ منظرِ[1]

1 خصاص الباب : ثقبه .

وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءه كصوت الحمام في القَليب المغوَّرِ[1]
ومـا أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابه بذي صَولَـة ضارٍ ، ولا بحَزوَّرِ[2]
فلو كنتُ مِن زهرانَ لم ينس حاجتي ولكنَّني مـولى جميل بنِ مَعْمَرِ

وكان حليفاً لجَميل بن مَعْمر القُرشيّ :

وباتَتْ لعبد الله مِن دون حاجتي شُمَيلةُ تلهـو بالحديـث المفتَّرِ
ولم يَقتربْ مـن ضوء نارٍ تحثُّها شُميلة إلاّ أن تَصلَّـى بمِجْمَرِ
تُطالع أهلَ السوق والبابُ دونَها بمستفلِكِ الذِّفـرى أَسيل المدثَّرِ[3]
إذا هـي هَمَّتْ بالخروجِ يردُّها عن البابِ مصراعـاً مُنيف مجَيَّرِ

وجدت بخطّ إسحاق الموصليّ مُجَيَّر : مجير . والمجيّر : المصهرج[4] . والجيار : الصهروج .

فليت قَلوصي عُرِّيتْ أو رحلتُها إلى حَسن في داره وابنِ جعفرِ
إلى ابنِ رسول الله يأمـرُ بالتّقى وللدِّين يدعـو والكتابِ المطهَّرِ
إلى معشَر لا يخصِفـون نعالهـم ولا يلبسون السِّبتَ ، ما لم يُخَصَّرِ[5]
فلمّا عرفتُ اليأسَ منه وقد بدتْ أيـادي سَبا الحاجـاتِ للمتذكِّرِ
تَسنَّمتُ حُرجوجـاً كأن بُغامَها أحيحُ ابنِ مـاء في يراعٍ مُفَجَّرِ[6]
فما زلتُ في التَّسيارِ حتى أنختُها إلى ابـنِ رسول الأُمَّـةِ المتخيَّرِ
فلا تَدَعُنِّـي إذْ رحلـتُ إليكمُ بَنـي هاشم أن تُصْدروني بِمَصدرِ

وهي قصيدة طويلة ، هذا ذكر في الخبر منها .

وأخبرني بهذا الخبر أحمـدُ بنُ عبد العزيز الجوهـريّ ، وأحمـدُ بنُ عبيد الله بن عمّـار ، عن عمر بن شَبَّة ، عن المدائنيّ مثل ما مضى أو قريباً منه ، ولم يتجاوز عمر بن شبّة المدائنيّ في إسناده .

---

1 القليب : البئر البعيدة الغور .

2 حزور : رجل قوي .

3 مستفلك : مستدير . الذّفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .

4 مصهرج : أي معمول بالصاروج وهو النورة وأخلاطها تصرج بها الحياض ، والبيوت ونحوها .

5 يخصفون : يخرزون . السبت : الجلد المدبوغ . يخصر : يدقق وسطه .

6 الحرجوج : الناقة السمينة الطويلة وتجمع على حراجيج . أحيح : المراد الصوت . ابن ماء : طائر يكثر وجوده حول الماء .

[عامر بن الكريز يُهينه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدَّثني محمد بن الحسَن بن الحرون قال : قال ابن الأعرابيّ : كان عتيبة بن مرداس السُّلَميّ شاعراً خبيثَ اللسان مَخُوف المعرَّة في جاهليّته وإسلامه ، وكان يَقدُم على أُمراء العراق وأشرافِ النّاس ، فيصيب منهم بشعره ، فقدِم على ابن عامر بن كُرَيْز ، وكان جواداً ، فلمّا استؤذن له عليه أرسل إليه : إنّك والله ما تسألُ بحسب وَلا دين ولا منزلة ، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيَك شيئاً ، وأمر به فلُكِزَ وأُهينَ فقال ابنُ فَسْوة : [من الطويل]

وكائــن تخطَّت ناقتــي وزَميلُها ... إلى ابن كُريز مِنْ نُحوسٍ وأَسْعُدِ

وأغبرَ مَسْحولِ الترابِ تَـرى لـه ... حيا طردَتْه الريحُ من كلِّ مَطْرَدِ[1]

لعمرك إنّي عند بـاب ابنِ عامر ... لكالظَّبــي عنـد الرَّمْيَــةِ المتردِّدِ[2]

فلم أَرَ يومــاً مثلــه إذ تكشَّفتْ ... ضبابتُـــه عنّـــي ولمّــا أُقَيَّدِ

[ثم يطيب خاطره]

فبلغ قولُه ابنَ عامر ، فخاف لسانَه وما يأتي به بعد هذا ورجع له ، وأَحسن القومُ رِفْدَه ، وقالـوا : هـذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه واليَسير يرضيه ، فقال : رُدُّوه فـرُدّ ، فقـال لـه : إيه يا عتيبة ، أردد عليّ ما قلت ، فقال : ما قلت إلاّ خيراً قال : هاته فقـال : قلت[3] : [من الطويل]

أتعرفُ رسمَ الدّارِ مـــن أُمِّ معبَدِ ... نعم فرمـاك الشوقُ قبلَ التجلُّدِ

فيا لكَ مـــن شوقٍ ويا لكِ عَبرةً ... سوابقُهــا مِثــل الجُمــانِ المبدَّدِ

وكائــنْ تخطَّتْ ناقتــي وزميلُها ... إلى ابن كُريز مِــن نُحوسٍ وأَسعُدِ

فتى يشتري حُسنَ الثَّنــاءِ بماله ... ويعلــم أنَّ المـــرءَ غيرُ مخلَّدِ

إذا مــا ملمّــاتُ الأُمــورِ اعترينَه ... تجلَّى الدُّجى عن كوكَبٍ مُتوقِّدِ[4]

فتبسَّم ابن عامر وقال : لعمري ما هكذا قلت ، ولكنّه قول مستأنف ، وأَعطاه حتى رَضي وانصرف .

1 مسحول : ناعم .
2 عند في ل : بعد .
3 ورد هذا المطلع في دالية عدي بن زيد في المجمهرات .
4 اعترينه في ل : اعتلينه .

[ابن الأعرابيّ يستحسن أبياتاً له]

قال : وأنشدنا ابن الأعرابيّ له بِعقب هذا الخبر ، وكان يَستحسنُ هذه الأبياتَ ويستجيدُها : [من الطويل]

منعّمــةٌ لم يغذهــا أهــلُ بلدةٍ ... ولا أهلُ مصرٍ فهْــيَ هيفاءُ ناهِدُ
فَرِيعتْ فلم تخبـا ولكن تأوّدتْ ... كما انتصَّ مكحولُ المدامعِ فاردُ[1]
وأهوت لتنتاشَ الرِّواق فلـم تَقُم ... إليــه ولكــن طأطأتْــه الولائدُ[2]
قليلــةُ لحــم الناظرَيــنِ يَزينها ... شبابٌ ومخفوضٌ من العيش باردُ
تَناهى إلى لهــو الحديــثِ كأنّها ... أخــو سَقَمٍ قــد أسلمتــه العوائدُ
ترى القُرطَ منْهــا في قناة كأنّها ... بمهلكــة لــولا البُــرا والمَعاقِدُ[3]

[يرثي صريعاً في بئر]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : أغار رجل مِنْ بني تَغلب يقال له الهُذَيل بعقب مقتل عثمان على بني تميم ، فأصاب نَعَماً كثيراً ، فورد بها ماءً لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال لـه سَفارِ[4] ، فإذا عليـه الأسود وخالد ابنا نُعيم بن قَعْنب بن الحارث بن عمرو بن همّام بن رباح في إبل لهما قد أورداها ، فأراد الهذيل أخذَها ، فتفرّقت ، فتفرّق أصحابُه في طلبها ، وهو قائم على رأس رَكيَّة من سَفار ، فرماه أحدهما فقتَله فوقع في الرَّكيَّة فكانت قَبرَه . ويقال : بل رماه عبدٌ أسود لمالك بن عروة المازنيّ ، فقال عتيبة بن مِرداس الذي يقال له ابنُ فَسْوة في ذلك : [من الطويل]

مَــنْ مبلــغٌ فِتيــانَ تغلبَ أنّه ... خــلا للهُذيل من سفارٍ قلِيبُ ؟
إذا صوَّت الأصداءُ صوَّت وسطَها ... فتى تغلبــيٌّ في القَلِيــبِ غريبُ
فأعددتُ يربوعــاً لِتَغلــبَ إنّهم ... أنــاسٌ غذتهــم فتنــةٌ وحروبُ
حويتَ لقاحَ ابني نُعيم بن قَعنب ... وإنّــك إن أحرزتَهـــا لكسوبُ

[بشر بن كهف يمنعه]

وقال أبو عمرو أيضاً : كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوّج أخت بشر بن كهف أحد

---

1 انتصّ : سار .

2 الرِّواق : مقدم البيت أو الفسطاط . وتنتاش : تتناول .

3 البُرا : جمع برة ، وأصلها بروة : الخلخال . المعاقد : جمع معقاد ، وهو خيط فيه خرزات تعلّق في عنق الصبيّ .

4 سفار : منهل بين البصرة والمدينة قبل ذي قار لبني مازن بن مالك .

بني خُزاعة بن مازن ، فكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحمى ، فسأله ابنُ فسوة أن يُرْعيه فأبى ، ومنعه ، وطرد إبله ، فقال في ذلك : [من الطويل]

مَــنْ يــكُ أَرْعــاه الحمى أخواتُه ... فما ليَ من أُختٍ عَوانٍ ولا بِكرِ

وما ضرَّها أَن لم تكن رَعتِ الحِمى ... ولم تطلب الخيرَ الممنَّع مــن بشرِ

متى ما يجيء يوماً إلى المال وارثي ... يجد قَبض كفٍّ غير ملأى ولا صِفرِ

يجــد مُهــرة مثــل القَنــاةِ طِمِرَّة ... وعضْبٌ إذا ما هُزَّ لم يرضَ بالهَبْرِ[1]

فإن تمنعــوا منهــا حِمــاكم فإنّه ... مُباحٌ لهــا مــا بين إنبط فالكدْرِ[2]

إذا ما امرؤٌ أثنى بفضل ابــن عمّه ... فلعنــةُ ربِّ العالمــين عَــلى بشرِ

[يسرقون ثيابه]

وقال أَبو عمرو الشيبانيّ ، ونسخته أيضاً من خطّ إسحاقَ الموصليّ ، وجمعت الروايتين : إنّ ابن فسوةَ نزل ببني سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة ، وبات بهم ، ومعه جارية له يُقال لها جوزاء ، فسرقوا عَيْبَةً له فيها ثيابُه وثياب جاريته ، فرحل عنهم ، فلمّا عاد إلى قومه أعلمهمْ ما فعله به بَنو سعد بن مالك . فركب معه فُرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبني سعد فأَخذوا منها صِرْمةً[3] ، واستاقوها فدفعوها إليه ، فقال يمدح قومه ويهجو بَني سعدٍ بقوله : [من الطويل]

جزى اللّهُ قومي من شفيعٍ وشاهدٍ ... جــزاء سليمــانَ النَّبــيُّ المكرَّمِ

همُ القومُ لا قــومُ ابنِ دارةَ سالمٍ ... ولا ضابىءٍ إذ أُسْلِما شَرَّ مُسلَمِ

وما عيبة الجوزاء إذ غدرتْ بها ... سَراةُ بنــي قيس بسرٍّ مكتَّــمِ

إذا ما لَقِيت الحيَّ سعدَ بنَ مالك ... على زَمّ فانــزل خائفاً أَو تقدّمِ[4]

أُناسٌ أَجارونــا فكــان جِوارُهمْ ... شَعاعــاً كلحــمِ الجازرِ المتقسَّمِ

لقد دنِستْ أعراضُ سعدِ بن مالك ... كما دَنِسَتْ رجــلُ التقيِّ من الدَّمِ

لهم نِسوة دُسْمُ الثياب مَواجِــنٌ ... ينادين مَــن يبتاعُ عــوداً بدِرهمِ

إذا أَيِّمٌ قيسيَّةٌ مــات بعلُهــا ... وكان لهــا جــارٌ فليستْ بأَيِّمِ

---

1 الطمرة : الفرس الجواد . الهبر : قطع اللحم ، المفرد هبرة .

2 إنْبط : موضع ببلاد كلب بن وبرة . الكدر : موضع على ثمانية برد من المدينة أو ماء لبني سليم .

3 الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين .

4 زم : بئر لبني سعد بن مالك .

يْمشِّي ابـــنُ بشر بينهنَّ مقابَـلا بأيـــر كأيْـــرِ الأرجحيّ المخرَّمِ
إذا راحَ مـــن أبياتِهـــنَّ كأنّما طليْتَ بتنوُّم قَفـــاه وخِمخِمِ[1]

وفيه رواية إسحاق :

تسوق الجواري مَنْخَراه كأنّما دَلَكنَ بتنوُّم قفـاه وخمخمِ

صوت

[من المنسرح]

قد طالَ شَوقي وعادني طربي من ذكر خَوْدٍ كريمةِ النسبِ
غرّاءَ مثـــلِ الهـلالِ صُورَتها أو مثلِ تمثالِ صُورة الذهبِ

ويروى : «بيعة الرُهُب» الشعر لعبد الله بن العجلان النّهديّ ، والغناء لمالك ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن مسْحج .

1 التنوم : شجر مثمر ورقه مع الخل يقلع التآليل . خمخم : نبت له شوك دقيق .

[484] ـ أخبار عبد الله بن العجلان

[نسبه]

هو عبد الله بن العَجْلان بن عبد الأَحَبّ بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . شاعر جاهليٌّ أحد المتيّمين من الشعراء ومَنْ قتله الحبّ منهم .

وكانت له زوجة يقال لها هند ، فطلّقها ، ثم ندِم على ذلك ، فتزوّجت زوجاً غيره ، فمات أسفاً عليها .

[قصته تشبه قصة قيس ولبنى]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديٍّ قال : كان عبد الله بن العجلان النهديّ سيِّداً في قومه وابنَ سيِّد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بني نَهْدٍ مالاً ، وكانت هند امرأة عبد الله بن العَجْلان ، التي يذكرها في شعره امرأة من قومه من بني نَهْدٍ ، وكانت أحبَّ النّاس إليه ، وأحظاهم عنده ، فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلِد ، فقال له أبوه : إنّه لا ولد لي غيرُك ، ولا ولد لـك ، وهـذه المرأة عاقر ، فطلِّقها ، وتزوّج غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فآلى ألاّ يكلّمه أبداً حتى يطلّقها فأقام على أمره ، ثمّ عمدَ إليه يوماً ، وقد شرِب الخمر حتى سكِر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه أن صِرْ إليَّ ، فقالت له هند : لا تمضِ إليه ، فوالله ما يريدك لخير ، وإنّما يريدك لأنّه بلغه أنّك سكران ، فطمع فيك أن يقسم عليك ، فتطلّقني ، فنمْ مكانك ، ولا تمضِ إليه . فأبى وعصاها ، فتعلّقت بثوبه ، فضربها بمسواك ، فأرسلته ، وكان في يدها زعفران ، فأثَّر في ثوبه مكان يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده في أمرها ، وأنّبه ، وضعَّفه ، وجمع عليه مشيخة الحيِّ وفتيانهم ، فتناولوه بألسنتهم ، وعيَّروه بشغفه بها وضَعْفِ حَزْمه ، ولم يزالوا به حتى طلَّقها . فلمّا أصبح خبَّر بذلك ، وقد علمت به هند ، فاحتجبت عنه ، وعادت إلى أبيها ، فأسِف عليها أسفاً شديداً ، فلمّا رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير ، فزوَّجها أبوها منه ، فبنى بها عندهم ، وأخرجها إلى بلده . فلم يزل عبد الله بن العَجْلان دَنِفاً سقيماً ، يقول فيها الشعر ، ويبكيها حتى مات أسفاً عليها ، وعرضوا عليه فتيات الحيّ جميعاً فلم يقبل واحدة منهنّ ، وقال في طلاقه إيّاها : [من مجزوء الكامل]

فارقــتُ هنداً طائعــاً فندمـت عنـدَ فراقِها
فالعينُ تــذْري دمعــةً كالـدُّرِّ مـــن آماقِها
متحلِّياً فـــوق الردا ء يجول مــن رَقْراقِها
خَــوْدٌ رَداحٌ طَفْلَــةٌ ما الفحش من أخلاقِها
ولقــد أَلَـــذُّ حديثَهــا وأُسَرُّ عنـــد عنـاقِها

وفي هذه القصيدة يقول :

إن كنتِ ساقيــةً ببُزْ لِ الأُدْمِ أو بِحقـاقِها
فاسقي بني نهــدٍ إذا شربــوا خيــار زِقاقِها
فالخيل تعلم كيف نُلْـ ـحِقها غــداة لحاقِها
بأسِنَّةٍ زُرْقٍ صبَحْــ ـنا القَوْمَ حـدَّ رقاقِها
حتى تــرى قِصَد القنا والبيــضَ في أعناقِها

[شعره في غارة شنّها قومه]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : لمّا طلّق عبد الله بن العَجْلان هنداً أُنكِحَت في بني عامر ، وكانت بينهم وبين نهد مغاورات ، فجمعت نهد لبني عامر جمعاً ، فأغاروا على طوائف منهم ، فيهم بنو العجلان وبنو الوحيد وبنو الحَرِيش وبنو قُشَيْر ، ونذروا بهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، وغنمت نهدٌ أموالهم ، وقتل في المعركة ابنٌ لمعاوية بن قشير بن كعب وسبعة بنين له ، وقُرْط وجُدعانُ ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة بن كعب وحُسين بن عمرو بن معاوية ومَسْحَقة بن المجمَّع الجعفيّ ، فقال عبد الله بن العجلان في ذلك : [من الوافر]

أَلا أبلغ بنــي العجلان عنّي فــلا يُنْبيك بالحَدثانِ غيري
بأَنّــا قــد قتلنا الخير قُرْطا وَجُرنــا في سَراةِ بنــي قشيرِ
وأَفلَتَنا بنــو شَكَــلٍ رجــالاً حُفــاةً يربئــون على سُمَيْرِ

[قيسية ترثي قتلى قيس]

وقالت امرأة من بني قيس ترثي قتلاهم : [من الوافر]

أُصبتم يا بنــي نهــدِ بن زيد قُرومــاً عنــدَ قعقعةِ السلاحِ
إذا اشتدَّ الزّمــانُ وكان محلاً وحاردَ فيــه إخْوانُ السماحِ

أهانـوا المالَ في اللَّزباتِ صبراً وجـادوا بالمتـالي واللقاحِ
فبكّي مالكـاً وابْكـي بجيراً وشدّاداً لمشتجِـرِ الرّمـاحِ
وكَعباً فاندبيه معـاً وقُرطـا أولئك معشري هدُّوا جناحي
وبكّي إن بكَيْتِ على حُسَيْلٍ وَمِـرداس قتيلِ بنـي صباحِ

[حسيل يغدر به أسيره]

قال : وأَسَر عبد الله بن العَجلان رجلاً من بني الوَحيد ، فمنَّ عليه ، وأَطلقه ، ووعده الوحيديّ الثوابَ فلم يَفِ فقال عبد الله : [من الوافر]

وقالوا لـن تنالَ الدَّهـر فقراً إذا شكرتْك نعمتَك الوحيدُ
فيا ندما ندمـت عـلى رِزام وَمُخْلِفِـهِ كما خُلِـع العَتُـودُ

قال أَبو عمرو : ثم إنّ بني عامر جمعوا لبني نهد ، فقالت هند امرأة عبد الله بن العَجلان التي كانت ناكحاً فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر : لك خمسَ عَشرة ناقة على أَن تأتي قومي فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر ، فقال : أفعَل ، فحملته على ناقة لزوجها ناجيةٍ ، وزوّدته تمراً وَوَطْباً من لبن ، فركب فجدَّ في السير ؛ وفَنيَ اللبنُ ، فأتاهم والحيّ خلوف في غزو ومِيرَةٍ ، فنزل بهم ، وقد يبس لسانه ، فلمّا كلّموه لم يقدر على أن يجيبهـم ، وأومأ لهم إلى لسانه ، فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن ، فأسخن ، وسقاه إيّاه ، فابتلّ لسانه ، وتكلّم ، وقال لهم : أتيتم ، أنا رسول هند إليكم تُنذركم ، فاجتمعت بنو نهد واستعَدّت ووافتهم بنو عامر فَلَحِقُوهم على الخيل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزمت بنو عامر ، فقال عبد الله بن العَجلان في ذلك : [من الطويل]

عـاوَدَ عيني نصبُهـا وَغرورها أهَـمٌّ عَناهـا أم قَذاهـا يعورُها
أم الدّار أمستْ قـد تعفَّت كأنها زبـورُ يمـانٍ رقشتـه سطورُها
ذكرت بهـا هنداً وأترابَها الألى بها يكذب الواشي ويُعْصى أَميرُها
فمـا مُعْـوِلٌ تبكـي لفقد أليفها إذا ذكرتـه لا يكـفُّ زفيرُها
بأغـزر منّـي عبرة إذ رأيتهـا يحـث بهـا قبـل الصباحِ بَعيرُها
أَلَم يأتِ هنداً كيفما صُنْعُ قومها بني عامـر إذ جاء يسعى نَذِيرُها
فقالوا لنـا إنّـا نحـبّ لقاءكم وإنّـا نحيّـي أرضَكـم ونزورُها
فقلنا : إذا لا نَنْكُل الدَّهرَ عنكمُ بصُمٍّ القنا اللائيّ الدمـاءَ تُميرُها

فلا غرو أنَّ الخيل تَنْحِط في القنا   تمطَّرُ من تحت العوالي ذكُورُها[1]
تأوَّهُ ممّا مَسَّها من كريهةٍ   وتُصفي الخدود والرِّماحُ تَصورُها[2]
وأربابها صرعى بِبُرْقَةِ أخرب   تُجَرِّرُهُمْ ضُبْعانها ونُسورُها
فأبلغ أبا الحجاج عنّي رسالةً   مغلغلة لا يَغْلِبَنْك بُسُورُها
فأنت منعتَ السلم يومَ لقيتنا   بكفَّيكَ تُسْدي غيَّةً وتنيرُها
فذوقوا على ما كان من فرط إحْنَة   حلائبنا إذْ غابَ عنّا نصيرُها

[نهاية حبّه]

قال أبو عمرو : فلمّا اشتدَّ ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سرّاً من أبيه مخاطراً بنفسه حتى أتى أرض بني عامر لا يرهب ما بينهم من الشرِّ والتِّراتِ ، حتى نزل ببني نمير ، وقصد خباء هند ، فلمّا قارب دارها رآها وهي جالسة عَلى الحوض ، وزوجها يسقي ، ويذود الإبلَ عن مائه ، فلمّا نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره ، وأقبل يشتدُّ إليها ، وأقبلت تشتدّ إليه ، فاعتنق كلّ واحد منهما صاحبه ، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان ، حتى سقطا على وجوههما ، وأقبل زوج هند ينظر ما حالُهما ، فوجدهما ميتين .

قال أبو عمرو : وأخبرني بعض بني نهد أنَّ عبد الله بن العَجلان أراد المضيّ إلى بلادهم ، فمنعه أبوه وخوّفه الثارات وقال : نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ أو بمكّة ، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت ، فحجّ ، وحجَّ أبوه معه ، فنظر إلى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثَرُ كفِّها في ثوبه بخَلوق ، فرجع إلى أبيه في منزله ، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات . هذه رواية أبي عمرو .

وقد أخبرني محمد بن خلف وَكيع ، قال حدَّثني عبد الله بن عليّ بن الحسن قال : حدَّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيّوب عن ابن سيرين قال : خرج عبد الله بن العجلان في الجاهليّة فقال : [من الطويل]

ألا إنَّ هنداً أصبحت منك محرماً   وأصبحت من أدنى حُمُوَّتِها حَما
وأصبحت كالمقمورِ جفْن سلاحه   يقلّب بالكفَّينِ قوساً وأسهما

ثم مدَّ بها صوته فمات .

1 تنحط : تزفر . تمطر : تسرع .

2 تصورها : تميلها .

[الشعر له أم لمسافر]

قال ابن سيرين : فما سمعت أنّ أحداً مات عشقاً غير هذا . وهذا الخبر عندي خطأ لأنّ أكثر الرّواة يروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أميّة ، قالهما لمّا خرج إلى النُّعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة ، فقدِم أبو سفيان بن حرب ، فسأله عن أخبار مكّة ، وهل حدث بعده شيء ، فقال : لا ، إلاّ أنّي تزوّجتُ هنداً بنت عتبة ، فمات مسافرٌ أسفاً عليها ، ويدلّ على صحّة ذلك قوله :

وأصبحت مـن أدنـى حموَّتِهـا حما

لأنـّه ابن عمّ أبي سفيـان بن حرب لحّاً وليس النميريّ المتزوّج هنداً النهدية ابن عمّ عبد الله بن العجلان فيكون من أحْمائها ، والقول الأوّل على هذا أصحّ .

[من شعره في هند]

ومن مختار ما قاله ابن العجلان في هند : [من الطويل]

ألا أبلغا هنـداً سلامي فإن نأتْ ... فقلبيَ مذ شطَّتْ بها الدارُ مدنَفُ

ولم أرَ هنـداً بعـد موقِف ساعة ... بأنْعَـمَ في أهـلِ الدِّيـارِ تطوَّفُ

أتَتْ بين أتراب تَمايَسُ إذ مشتْ ... دبيبَ القطا أو هـنَّ منهنّ أقْطَفُ

يباكِرْنَ مِـرْآةً جليّـاً وتـارةً ... ذكيّاً وبالأيْدي مَداكٌ ومِسْوَفُ

أشارت إلينـا في خَفَـاةٍ وراءَها ... سراةُ الضُّحى منّي على الحيِّ موقفُ

وقالت : تباعد يا ابن عمِّي فإنَّني ... مُنيت بذي صَـوْلٍ يَغار ويَعْنُفُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال : أنشدنا فضل اليزيديّ عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهديّ قال إسحاق وفيه غناء : [من الطويل]

خليليَّ زورا قبل شحْط النّوى هنداً ... ولا تأمنا مِنْ دارِ ذِي لَطَفٍ بُعْدا

ولا تعجلا ، لم يَدْرِ صاحبُ حاجةٍ ... أغيّاً يلاقـي في التعجُّلِ أم رُشْدا

ومـرَّا عليهـا بـاركَ اللهُ فيكما ... وإن لم تكن هندٌ لوجهيكما قَصْدا

وقولا لها ليس الضلال أجازَنـا ... ولكنَّنا جُزْنـا لنلقاكُـمُ عَمْدا

صوت

[من مجزوء الوافر]

ألا يـا ظبيـةَ البلَـدِ ... براني طـولُ ذا الكمدِ

فــردِّي يــا معذِّبتي فؤادي أو خُذي جسدي
بُليتُ لشِقوتــي بكُــمُ غلاماً ظاهِــرَ الجلَدِ
فشَيَّبَ حُبُّكــم رأْسي وبيّضَ هجــرُكم كبِدي

الشعر للمؤمّل بن أميل ، والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[485] ـ أخبار المؤمّل ونسبه

[نسبه]

المؤمّل بن أُميل بن أُسيد المحاربيّ . من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، شاعر كوفيٌّ من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعبّاسيّة ، وكانت شهرته في العبّاسيّة أكثر ، لأنّه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصّهم ، ويخدمهم من أوليائهم ، وانقطع إلى المهديّ في حياة أبيه وبعده . وهو صالح المذهب في شعره ليس من المبرِّزين الفحول ولا المرذُولين ، وفي شعره لِينٌ ، وله طبع صالح .

[يتمنّى العمى فيعمى]

وكان يهوى امرأةً من أهل الحِيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدَتَه المشهورة : [من البسيط]

شفَّ المؤمِّلَ يوم الحيرة النظرُ ليت المؤملَ لم يُخلق له بَصَرُ

يقال : إنّه رأى في منامه رجلاً أدخل أصبعيه في عينيه ، وقال : هذا ما تمنّيت ، فأصبح أعمى .

[المهدي يغدق ويردّ ما استعاده المنصور]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ : قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثنا عبد الله بن الحسن الحرّاني ، قال : حدَّثني أبو قُدامة ، قال : حدَّثني المؤمّل قال : قدِمت على المهديّ وهو بالرّيّ ، وهو إذ ذاك وليّ عهد ، فامتدحتُه بأبيات ، فأمر لي بعشرين ألفَ دِرْهم ، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبي جعفر المنصور ، وهو بمدينة السلام يُخْبره أنّ الأمير المهديّ أمر لشاعر بعشرين ألفَ درهم ، فكتب إليه يَعذِله ويلومه ، ويقول له : إنّما ينبغي أن تعطي لشاعر بعد أنْ يقيم ببابك سنةً أربعةَ آلاف درهم ، وكتب إلى كاتب المهديّ أن يوجِّه إليه بالشاعر ، فطُلبَ ، ولم يَقدر عليه ، وكتب إلى أبي جعفر أنّه قد توجّه إلى مدينة السلام ، فأجلَس قائداً من قوّاده على جِسر النهرَوان ، وأمره أن يتصفَّح الناسَ رجلاً رجُلاَ ، فجعل لا يمرّ به قافلة ، إلاّ تصفّح من فيها ، حتى مرّت به القافلةُ التي فيها المؤمِّل ، فتصفحهم ، فلمّا سأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمِّل بنَ أميل المحاربيّ الشاعر ، أحدُ زوار الأمير المهديّ ، فقال : إيّاك طلبتُ ، قال المؤمّل : فكاد قلبي ينصدع خوفاً من أبي جعفر .

فقبضَ عليَّ ، وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، وقال له : هذا الشاعر الذي أخذ من المهديّ عشرين ألفاً ، قد ظَفرنا به ، فقال : أدخلوه إليَّ ، فأُدخلتُ إليه ، فسلَّمت تسليم فزع ، مروّع ، فردَّ السلام ، وقال : ليس لك هاهنا إلاَّ خيْر ، أنتَ المؤمّل بن أُميل ؟ قلت : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنينَ أنا المؤمّل بن أُميل ، قال : أتيتَ غلاماً غِرّاً كريماً ، فخدعته فانخدع ؟ قلت : نعم ، أصلح الله الأمير ، أتيت غلاماً غِرّاً كريماً ، فخدعتُه فانخدعَ قال : فكأنّ ذلك أعجبَه ، فقال : أنشدني ما قلتَ فيه فأنشدتُه : [من الوافر]

هو المهديُّ إلاّ أن فيه … مشابهَ صورة القمرِ المنيرِ
تشابه ذا وذا فهما إذا ما … أنارا مُشكلانِ على البصيرِ
فهذا في الظلامِ سراجُ ليلٍ … وهذا في النّهارِ ضياءُ نُورِ
ولكن فضَّل الرحمن هذا … على ذا بالمنابرِ والسَّريرِ
وبالمُلْك العزيزِ فذا أميرٌ … وماذا بالأميرِ ولا الوزيرِ
وبعضَ الشهر ينقصُ ذا وهذا … مُنير عند نقصانِ الشهورِ
فيا ابن خليفةِ الله المصفَّى … به تعلو مفاخرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافَوْا … إليكَ مِنْ السهولةِ والوُعورِ
لقد سبق الملوك أبُوك حتَّى … بقوا من بين كابٍ أو حَسيرِ[1]
وجئتَ مصلياً تجري حثِيثاً … وما بك حين تجري من فُتورِ[2]
فقال الناس ما هذان إلاّ … كما بينَ الخليق إلى الجديرِ
لئن سبق الكبيرُ لأهْلُ سَبْقٍ … له فضلُ الكبير على الصَّغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مَدى كبيرٍ … فقد خُلِق الصغيرُ من الكَبيرِ

فقال : والله لقد أحسنت ، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألفَ درهم ، فأين المال ؟ قلت : هو هذا ، قال : يا ربيع ، امض معه ، فأعطِه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي . قال المؤمِّل : فخرج معي الربيع ، وحَطّ ثِقْلي ، ووَزنَ لي من المال أربعةَ آلاف درهم ، وأخذَ الباقي .

فلمّا وَلِيَ المهديُّ الخلافة ولّى ابن ثوبانَ المظالم ، فكان يجلس للناس بالرُّصافة ، فإذا

1 كاب : عاثر من كبا يكبو .
2 مصلياً : تالياً للسابق .

ملأَ كساءه رِقاعاً رفعها إلى المهديّ ، فرُفِعَتْ إليه رُقْعة ، فلمّا دخل بها ابن ثَوبان جعل المهديُّ ينظر في الرقاع ، حتى إذا وصل إلى رُقعتي ضَحِك ، فقال له ابنُ ثوبان : أَصلَحَ الله أميرَ المؤمنين ! ما رأيتك ضَحِكْتَ من شيءٍ من هذه الرّقاع إلاّ من هذه الرُّقعة ، فقال : هذه رقعة أعرفُ سببها ، ردّوا إليه عشرين أَلفَ درهم ، فردّوها إليَّ وانصرفْت .

[يبايع موسى وهارون فيأخذ بدرة ونصفاً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ ، قال : حدَّثنا عبد الله بن سعد بن أَبي سعد قال : حدَّثني الحكم بن موسى السلوليّ ، قال : حدَّثني سعد بن أخي العوفيّ قال : قدِم على المهديّ في بيعة ابنيه موسى وهارون المُؤمِّل بنُ أميل المحاربيّ والحسين بن يزيد بن أبي الحكم السَّلوليّ وقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحِمْيَريّ من الكوفة ، فقدِما على المهديّ في عسكره ، فأنشده المؤمِّل : [من الوافر]

هــاكَ بِياعَنــا يــا خير والٍ فقــد جُدْنــا بــه لكَ طائعينا
فإن تفعلْ فأَنــت لذاك أَهلٌ ففضلك يا ابنَ خير النّاس فينا
وعَدلُكَ يا ابن وارث خَيرِ خَلْق نبــيٍّ الله خَيْـــرِ المرسلينا
فــإن أَبــا أَبيكَ وأَنتَ منه هــوَ العبَّــاسُ وارثــهُ يقينا
أَبان بــه الكتابُ وذاك حقٌّ ولسنــا للكتــابِ مُكذِّبينا
بكم فُتِحتْ وأَنتم غير شكٍّ لهــا بالعَــدلِ أَكرمُ خاتمينا
فدونكَهــا فأَنــتَ لهــا محلٌّ حَباكَ بهــا إلـــهُ العالَمينا
ولــو قِيدَتْ لغَيرِكُم اشمأَزَّت وأَعْيَـــتْ أن تُطيــعَ القائدينا

فأَمر لهما بثلاثينَ أَلفَ درهم ، فجيء بالمال ، فأُلقي بينهما ، فأَخذ كلّ واحد منهما بَدرة[1] ، وصدَعَ الأُخرى بينهما ، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفاً .

[يتلف في ضحكه كل مال]

أَخبرني جعفرُ بن قُدامة قال : حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، عن عبد الله بن أَمين عن أَبي محمد اليزيديّ ، عن المؤمِّل بن أُميل قال : صِرتُ إلى المهديّ بجُرجان فمدحته بقولي : [من المتقارب]

تعزَّ ودعْ عنكَ سَلمى وسِرْ حثيثــاً على سائـراتِ البِغالِ

1 البدرة : كيس فيه عشرة آلاف درهم .

وكلّ جوادٍ لـه مَيْعَـةٌ يَخُبُّ بسرجِكَ بعدَ الكَلالِ[1]
إلى الشمسِ شمسِ بني هاشمٍ وما الشمسُ كالبَدْرِ أو كالهلالِ
ويُضحكه أن يدومَ السؤالُ ويُتلف في ضحكه كلَّ مالِ

فاستحسنَها المهديُّ ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وشاع الشعر وكان في عسكره رجل يُعرف بأبي الهوْسات ، يُغنّي ، فغنّى في الشعر لرُفقائه ، وبلغ ذلك المهديّ فبعث إليه سرّاً ، فدخل عليه ، فغنّاه ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وأمر لي بعشرة آلاف درهم أُخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور .

ثُمّ ذكر باقي الخبر على ما تقدَّم قبله ، وزاد فيه : أنّ المنصور قال له : جئتَ إلى غلام حَدَث ، فخدعته ، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألفَ درهم لشعر قلته فيه ، غيرِ جيّد وأعطاكَ من رقيقِ المسلمينَ مالاً يملكه ، وأعطاك من الكُراعِ والأثاثِ ما أسرف فيه ، يا ربيعُ خُذ منه ثمانية عشر ألف درهم ، وأعطِه ألفين ، ولا تعرض لشيء من الأثاث والدّواب والرقيق ، ففي ذلك غناؤه . فأُخِذَتْ والله منّي بخَواتِمها ، ووُضِعتْ في الخزائن ، فلمّا وليَ المهديّ دخلتُ إليه في المتظلّمين . فلمّا رآني ضحك وقال : مَظلمةٌ أعرفها ، ولا أحتاج إلى بيّنة عليها ، وجَعل يضحك ، وأمر بالمالِ فرُدَّ إليَّ بعينه ، وزاد فيه عشرَة آلاف .

[لا لحم فيه ولا دم]

أخبرني الحسنُ بن عليّ الخفّاف قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بنُ مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني حُذيفة بن محمد الطائيّ قال : حدَّثني أبي قال : رأيت المؤمَّل شيخاً مُصفرّاً نحيفاً أعمى ، فقلت له : لقد صدقت في قولك : [من الطويل]

وقـد زعموا لي أنّها نذرتْ دَمي وما لي بحَمـدِ الله لحـمٌ ولا دمُ

فقال : نعم ، فديتك ، وما كنت أقول إلاّ حقّاً .

قال محمد بن القاسم : وحدَّثني عبد الله بن طاهر أنّ أوّل هذا الشعر :

حلمتُ بكـم في نَوْمتي فغضبتُمُ ولا ذنب لي إن كنتُ في النّومِ أحلُمُ
سأطردُ عنّـي النـومَ كيلا أراكُمُ إذا مـا أتاني النَّـومُ والنّاس نُوَّمُ
تُصارِمُنـي واللهُ يعلـمُ أنّنـي أبَـرُّ بهـا من والديْها وأرحَمُ

1 ميعة الفرس : أوّل جريه .

صوت

وقد زعموا لي أنّها نذرتْ دمي ... ومـا لي بحمـدِ اللهِ لحمٌ ولا دمُ
برى حبُّها لحمي ولم يُبق لي دَماً ... وإن زعمـوا أنّي صحيحٌ مسلَّمُ
فلم أرَ مثـلَ الحُبّ صحَّ سَقيمهُ ... ولا مثل مَن لا يعرف الحبُّ يسقُمُ
ستقتُلُ جِلداً باليـاً فـوقَ أعظمٍ ... وليس يُبـالي القتلَ جلـدٌ وأعظُمُ

في هذه الأبيات التي أوّلها :

وقَـد زعموا لي أنّها نذرت دمـي

لنبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق في مجرى الوُسطى عن ابن المكّيّ .

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه ، قال : حدَّثني محمد بن أحمد بن عليّ ، قال : لمّا قال المؤمَّل : [من البسيط]

شفَّ المؤمّل يوم الحيرةِ النظرُ ... ليت المؤمَّل لم يُخْلَقْ له بَصَرُ

عَمي ، وأُرِي في منامه : هذا ما تمنيتَ .

أخبرني حَبيبُ بن نَصْر قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد ، قال حدَّثني عليّ بن الحسن الشيبانيّ : قال : رأى المؤمّل في منامه قائلاً يقول : أنت المتألّي على الله ألاّ يعذّبَ المحبِّين حيث تقول :

يَكفي المحبِّينَ في الدُّنيا عذابُهمُ ... والله لا عذَّبَتْهم بعدهـا سَقَرُ

فقال له : نعم ، فقال : كذبت يا عدوَّ الله ، ثم أدخل إصبعيه في عينيه وقال له : أنت القائل :

شفّ المؤمَّل يوم الحيرة النظرُ ... ليت المؤمّل لم يُخْلَقْ لـه بصرُ

هذا ما تمنّيت ، فانتبهَ فزعاً ، فإذا هو قد عَمي .

[لا ترضى مضر بقتله]

أُخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن زهير قال : حدَّثنا مُصعب الزُّبيريّ قال : أُنشِدَ المهديُّ قولَ المؤمَّل :

قتلتِ شاعرَ هذا الحيِّ من مُضرٍ ... واللهُ يعلم ما ترضى بذا مُضَرُ

فضحك ، وقال : لو علمنا أنّها فعلت ما رَضينا ، ولَغَضبنا له وأنكرنا .

صوت

[من الطويل]

بكيتُ حذارَ البين علماً بما الذي إليـه فؤادي عنـد ذلك صائرُ
وقال أُنـاس لـو صبرتَ وإنَّني على كلِّ مكروه سوى البين صابرُ

الشعر لأبي مالك الأعرج ؛ والغناء لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته ورواية الهشاميّ .

قال الهشاميّ : وفيه ليزيد حوراء ثاني ثقيل ، ولسليم ثقيل أوّل .

[486] ـ أخبار أبي مالك ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو مالك النَّضر بن أَبي النضر التميميّ ، هذا أَكثر ما وجدتُه من نسبه ، وكان مولده ومنشؤه بالبادية .

ثم وفد إلى الرشيد ، ومدحه ، وخَدمه فأَحمدَ مذهبه ، ولحظتْه عنايةٌ من الفضل بن يحيى ، فبلغ ما أَحبَّ ، وهو صالح الشعر ، متوسّط المذهب ، ليس من طبقةِ شعراء عصره المجيدين ، ولا من المرذولين .

[يرثي أباه]

أَخبرني أَبو دُلَف هاشم بن محمد الخزاعيّ قال : حدَّثنا أَحمد بن الهَيثم بن فراس قال : كان أَبو مالك النضر بن أَبي النضر التميميّ مع الرشيد ، وكان أَبوه مقيماً بالبادية ، فأَصاب قوم من عشيرته الطريقَ ، وقطعُوه عن بعض القوافل ، فخرج عامل دِيارِ مضر ، وكان يقال له جَيَّال ، إلى ناحيةِ كانت فيها طوائف من بني تميم ، فقصدَهم وهم غارُّون[1] ، فأخذَ منهم جماعةً فيهم أبو النضر أبو أبي مالك الأعرج ، وكان ذا مال ، فطلبه فيمن طلَب من الجناة ، وطمع في ماله ، فضربه ضرباً أتى فيه على نفسه ، وبلغ ذلك أَبا مالك فقال يرثيه : [من الخفيف]

فيمَ يُلحى على بكائي العذولُ ... والذي نابنـي فَظيـعٌ جليلُ
عدّ هـذا الملام عنّي إلى غيـ ... ـرى فقلبـي ببَثّـه مشغولُ
راعَني والدي جَنتْ كفُّ جَيّا ... لِ عليـه فـراح وهـو قَتيلُ
أيّها الفاجعي برُكني وعزّي ... هبلَتْني إن لم أُرُعـك الهُبولُ[2]
سُمْتَني خُطَّةَ الصَّغار وأُظلمْـ ... ـتَ نَهـاري عليَّ غالتْك غولُ
مـا عداني الجفاءُ عنكَ ولكنْ ... لم يُدلني مـن الزمان مُديلُ[3]

---

1 غارُّون : غافلون .
2 هبلتني الهبول : ثكلتني أمّي .
3 لم يدلني : لم ينصرني .

زال عنّا السرورُ إذ زُلتَ عنّا وازدهانا بكاؤنا والعويلُ[1]
ورأينا القريبَ منّا بعيداً وجفانا صديقُنا والخليلُ
ورمانا العدوُّ من كلِّ وجه وتجنّى على العزيزِ الذليلُ
يا أبا النضر سوفَ أبكيك ما عشـ ـتُ سويّا وذاك منّي قليلُ
حملتْ نعشَك الملائكةُ الأبـ ـرارُ إذ ما لَنا إليك سبيلُ
غير أنّي كذبتُك الودَّ لم تقـ ـطُر جفوني دماً وأنت قَتيلُ
رضيتْ مقلتي بإرسال دَمعي وعلى مثلك النفوسُ تَسيلُ
أسِواكَ الذي أجودُ عليه بدمي إنّني إذاً لبخيلُ
عثر الدهرُ فيك عثرةَ سَوْءٍ لم يقُلِ مثلَها المعينُ المقيلُ
قُل إن ضنَّ بالحياةِ فإنّي بعده للحياةِ قالٍ مَلولُ
إنَّ بالسفحِ من ضباعةَ قومي ليسَ منهم ، وهم أدانٍ ، وَصولُ[2]
لا يزورون جارَهم من قريبٍ وهمُ في الترابِ صَرعى حلولُ
حفرة حَشْوُها وفاءٌ وحِلمٌ وندًى فاضلٌ ولُبٌّ أصيلُ
وعفافٌ عمّا يَشين وحِلمٌ راجحُ الوزنِ بالرّواسي يَميلُ
ويمين بنانُها غيرُ جَعد وجبينٌ صَلت وخدٌّ أسيلُ[3]
وامرؤ أشرقتْ صُفَيحهُ خدَّيـ ـهِ عليه بشاشةٌ وقَبولُ

صوت

[من الطويل]

لئن مصرُ فاتتني بما كنتُ أرتجي وأخلفني فيها الذي كنتُ آملُ
فما كلّ ما يخشى الفتى بمُصيبِه ولا كلُّ ما يرجو الفَتى هو نائلُ

الشعر لأبي دُهمان ، والغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . انتهت أخبار مالك ونسبه .

---

1 ازدهانا : استخفّنا وأذهب وقارنا .
2 ضباعة : اسم جبل من جبال طيىء .
3 جعد : قصير . صلت : واضح .

[487] ـ أخبار أبي دهمان

أبو دُهمان الغِلابيّ شاعر من شعراء البصرة ممّن أدرك دولتَي بني أُميّة وبني العبّاس . ومدح المهديّ ، وكان طيّباً ظريفاً مليحَ النادرة .

[لا يبوح باسم محبوبته]

وهو القائل لمّا ضَرب المهديُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عُتبة : [من المنسرح]

لولا الذي أحدثَ الخليفةُ في الْـ ـعُشاق مـن ضربهم إذا عَشِقُوا

لبُحْـتُ باسم الذي أُحِبُّ ولـ ـكنّي امـرؤ قـد ثَنانيَ الفَرَقُ

[يجيد التقليد]

حدَّثني بذلك الصوليّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبي العتاهية . وأخبرني جَحْظةُ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قال رجل لأبي دهمان : ألا أحدّثك بظريفة ؟ قال : بَلى ، قال : كنّا عند فلان ، فمدّ رجله هكذا ، فضَرَط ، ومدّ المحدِّث رجله يحكيه فضرَط ، فقال له أبو دُهمان : يا هذا أنتَ أحذَقُ خلق الله بحكاية .

[رجل يتيه عليه وهو أمير]

نسختُ من كتاب بخط ميمون بن هارون : بلغني أنّ أبا دُهمان مرَّ وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديقٌ له يسايرهُ ، فقام النّاس إليه ودعَوْا له إلاّ ذلك الرجل ، فقال أبو دهمان لصديقه وهو يسايره : أما ترى ذلك الرجلَ في النَّظارة وترى تيهَه عليّ ؟ فقال له : وكيف يتيه عليك وأنتَ الأمير ! قال : لأنّه قد ناكَني وأنا غلام .

[غلامه يتعجّل موته]

وأخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدَّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ ، قال : مرض أبو دُهمان مرضاً أشْفى منه على الموت ، فأوصى وأملى وصيّته على كاتبه ، وأوصى فيها بعِتق غلام كان له واقفاً ، فلمّا فرغ غدا الغلامُ بالرقعة ، فأترَبها ، ونظر إليه أبو دُهمان ، فقال له : نعم أترِبها يا ابنَ الزّانية ، عسى أن يكونَ أنجَحَ للحاجة ، لا شفاني الله إن أنجحتَ ، وأمر به ، فأخرج لوقته ، فبِيع .

صوت

[من الطويل]

يكُـرُّ كما كـرَّ الكُليبيّ مُهـرَه ومـا كـرَّ إلاّ خيفةً أن يُعيَّرا

فلا صُلح حتى تزحف الخيلُ والقنا بِنا وبِكمْ أَوْ يَصْدُرَ الأمـرُ مَصْدَرا

الشعر لأبي حُزابة التميميّ ، والغناء لابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر .

وهذا الشعر يرثي به أبو حُزابةَ رجلاً من بني كُلَيب بن يربوع يقال له ناشرةُ اليَرْبُوعيّ ، قُتِل بسجستان في فتنة ابن الزُّبير ، وكان سيِّداً شُجاعاً .

[يرثي ناشرة اليربوعيّ]

أُنشدنيه جَعفرُ بن قُدامة قال : أَنشدني أَبو هِفَّان وأَحمد بن أَبي طاهر قالا : أَنشدنا عبدُ الله بن أَحمد العدويّ لأبي حُزابة يرثي ناشرةَ اليربوعيّ وقُتِل بسجستان في فتنة ابن الزُّبير قال : [من الطويل]

لعَمري لقد هدَّتْ قريشٌ عروشَنا بأَبيضَ نفَّـاح العَشيَّـات أَزهرا

وكان حَصاداً للمَنايـا زَرعْنَـهُ فهلاَّ تركنَ النَّبتَ ما كان أَخضرا

لحا اللهُ قوماً أَسلموكَ وجرّدوا عناجِيج أَعطتْها يمينُك ضُمَّرا[1]

أَما كان فيهمْ ماجدٌ ذو حفيظةٍ يرى الموت في بعض المواطنِ أَفخرا

يكـرّ كما كَـرَّ الكُليبيّ مُهـره ومـا كـرَّ إلاّ خشية أَن يُعَيَّرا

يُريد ما كان في هؤلاء القَوم مَنْ يكرُّ كما كرَّ ناشرة الكُلَيْبيّ مُهرَه ؟

1 العناجيج : جياد الخيل واحدها عنجوج كعصفور .

[488] ـ أخبار أبي حزابة ونسبه

[نسبه ونشأته]

أبو حُزابة اسمه الوليد بن حنيفة ، أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم . شاعر من شعراء الدولة الأمويّة بَدَوِيٌّ حَضِر[1] وسكن البصرة ، ثم اكتُتِب في الديوان ، وضُرِب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك ، وأظنُّه قُتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجّاء .

[أبطأت عليه جائزة طلحة]

فأخبرنا الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدَّثنا محمد الهيثم الشاميّ قال : حدَّثني عمّي أبو فراس عن العذريّ قال : دخل أبو حُزابة على طلحةِ الطلحات الخُزاعي ، وقد استعمله يزيدُ بن معاوية على سِجِستان ، وكان أبو حُزابة قد مدحه ، فأبطأت عليه الجائزةُ من جهته ، ورأى ما يُعطى غَيرُه من الجوائز ، فأنشده : [من الطويل]

وأدليتُ دَلْـوِي في دِلاء كثيرةٍ فجئن مِـلاءً غير دَلْـوي كما هِيا
وأهلكنـي ألاّ تـزالَ رَغِيبـةٌ تُقصِّـر دوني أو تَحُـلُّ وَرائيـا
أراني إذا استمطرتُ منكَ سحابةً لِتُمطِرني عـادتْ عَجاجاً وسافِيا

قال : فرماه طلحة بحُقّ فيه دُرّة فأصاب صدرَه ، ووقعت في حجره ، ويقال : بل أعطاه أربعةَ أحجارٍ ، وقال له : لا تُخدعْ عنها ، فباعها بأربعين ألفاً . ومات طلحةُ بسِجِستان .

[بخيلٌ يخلف كريماً]

ثم وَلِيَ من بعده رجل من بني عبدِ شمس يقال له عبدُ الله بن عليّ بن عَدِيّ وكان شحيحاً فقال له أبو حزابة[2] : [من الرجز]

يا ابنَ عليٍّ بَـرِحَ الخفاءْ قد علِم الجيرانُ والأكفاءْ

---

1 حضِر وحضري بمعنى واحد .

2 الأبيات في الحيوان 1 : 255 برواية فيها اختلاف :

يا ابنَ عـليٍّ بَـرِح الخفـاءْ أنت لغير طلحـة الفـداءْ
قد علم الأشرافُ والأكفاءْ أنـّك أنـت الناقص اللّفّـاءْ
. . . . .
بنـو عـليٍّ كلّهـم سواءْ كأنّهـم زينيّـة جِـراءْ

أنّكَ أنتَ النذلُ واللفّاء ... أنت لعَيْنِ طَلْحَةَ الفِداءْ[1]
بنو عَدِيٍّ كلّهم سواءْ ... كأنّهم زينيّةٌ جِراءْ[2]

[رثاء وهجاء]

قال ثم وليَها بعدَ عبد الله بن عليّ عبدُ العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُريز أيّام الفتنة ، فاستأذنَه أبو حزابة أنْ يأتيَ البَصرة ، فأذِن له ، فقدمها ، وكان الناس يحضُرون المِرْبد ، ويتناشدون الأشعار ، ويتحادثون ساعة من النهار ، فشهدهم أبو حُزابةَ ، وأنشدهم مَرثية له في طَلحةِ الطلحات يضمنها ذمّاً لعبدِ الله بن عليٍّ وهي قوله : [من الرجز]

هيهاتَ هيهاتَ الجنابُ الأخضر ... والنائلُ الغمرُ الذي لا يُنْزَرُ
وَاراهُ عنّا الجَدثُ المغوَّرُ ... قد علِم القومُ غداة استعبَرُوا[3]
والقَبرُ بين الطلحاتِ يُحفر ... أنْ لَنْ يروا مثلَك حتى يُنشروا
أنّا أتانا جَرزٌ محمّرُ ... أنكَرَه سَرِيرُنا والمِنْبَرُ
والمسْجدُ المُحْتَضرُ المُطَهَّرُ ... وخَلفٌ يا طلح منك أعْوَرُ
بليَّةٌ يا ربَّنا لا نَسخَرُ ... أقلُّ من شبرين حِينَ يُشبَرُ
مثل أبي القعواء لا بل أقْصرُ

قال : وأبو القَعْواءِ حاجبٌ لطلحة كان قصيراً .

[بئس العقاب]

فقال عون بن عبد الرحمن بن سَلامة ، وسلامة أمُّهُ ، وهو رجل من بني تميم بن مرّة قيس : بئسَما قلت ! أتشاهر الناسَ بشَتْم قريش ؟ فقال له ، إنّي لم أعُمّ ، إنّما سَمَّيت رجلاً واحداً ، فأغلظ له عونٌ حتى اتصرفَ عن ذلك الموضع ، ثم أمر عَوْن ابن أخ له ، فدعا أبا حُزابة فأطعمه ، وسَقاه ، وخلط في شرابه شُبْرُما[4] فسلّحه ، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه ، فسلَح على بابهم وَفي طريقه ، حتى بلغ أهلَه ، ومرض أشهراً ، ثم عُوفي ، فركب فرساً له ، ثم أتى المِرْبد فإذا عونُ بن سلامة واقف ، فصاح به ، فوقف ، ولو لم يقفْ كان أخفَّ لهجائه ، فقال له أبو حُزابة : [من الرجز]

---

1 اللفاء : الخسيس .
2 زينية : كلاب .
3 المغوّر : البعيد الغور .
4 الشبرم : شراب مسهل .

يــا عون قفْ واستمع الملامَةْ لا سلَّــم اللهُ عــلى سلامَهْ
زنجيّــة تحسبُهــا نَعامَــهْ شكّــاءَ شانَ جسمَها دَمامَهْ
ذاتِ حِــرٍ كريشتَي حمامَــهْ بينهمــا بَظْــرٌ كــرأس الهامَهْ
أعلمتُهــا وعالِــمِ العَلامَــهْ لــو أن تحت بَظرها صِمامَهْ
لدفعتْ قُدُما بها أمامَــهْ

فكان الناس يصيحون به :

أعلمتها وعــالم العلامَهْ

[أبو حزابة ينشد طلحة]

أخبرني عَمِّي قال : حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدَّثني عمِّي أبو فراس ، عن الهيثم بن عديّ قال : كان عبد الله بن خلف أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقُتِل معها يومئذٍ ، وعلى بني خلف نزلتْ عائشة بالبصرة في القصر المعروف بقصرِ بني خلف ، وكان هوى طلحة الطلحات أمَويّاً ، وكانت بنو أميّةُ مكرِمين له .

فأنشد أبو حُزابة يوماً طلحة : [من الرجز]

يا طلحَ يَأبى مجدُك الإخلافا والبخــلَ لا يُعترفُ اعترافا[1]
إن لنــا أحمــرةً عِجافــاً يأكُلْــن كلَّ ليلــة إكافا[2]

فأمر له طلحة بإبلٍ ودراهمَ ، وقال له : هذه مكانُ أحمرتك .

[يأبى الوقوف بباب يزيد]

أخبرني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثني العمريّ ، عن لَقيط قال : قيل لأبي حُزابة : لو أتيتَ يزيدَ بن معاوية لفرض لك ، وشرَّفكَ ، وألحقكَ بعِلْية أصحابه ، فلست دونَهم ، وكان أبو حُزابة يومئذٍ غلاماً حَدَثاً ، وكان معاوية حيّاً ، ويزيدُ أميراً يومئذٍ ، فلمّا أكثر قومُه عليه في ذلك وفي قولهم : إنّك ستَشرفُ بمصيرك إليه قال : [من الطويل]

يُشرّفنــي سيفــي وقلــبٌ مُجانبٌ لكــلّ لئيــم باخــلٍ ومعلهَجِ[3]

---

1 اعترفه : سأل عن حاله .
2 الإكاف : برذعة .
3 معلهج : أحمق لئيم .

وكَـرّي على الأبطال طِرْفـاً كأنّه ظَليمٌ وضربـي فـوق رأسِ المدَجَّجِ
وقَولي إذا ما النفسُ جاشتْ وأجهشت مخافــةَ يــومٍ شَرُّه متــأجّجِ
عليكِ غمارَ المـوت يـا نفسُ إنّني جريءٍ على درء الشجاع المُهَجْهَجِ[1]

[ثم يقف ؛ فلا يصل إليه]

فلمّا أكثر عليه قومُه ، وعنّفوه في تأخّره أتى يزيدَ بن معاوية ، فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه فرجع ، وقال : والله لا يراني ما حملت عيناي الماءَ إلاّ أسيراً أو قتيلاً ، وأنشأ يقـول : [من الطويل]

فوالله لا آتــي يزيــدَ ولـو حوتْ أناملُــه مــا بــين شرقٍ إلى غربِ
لأنَّ يزيــداً غيَّر الله مــا بِــه جَنوحٌ إلى السُّوءَى مُصِرٌّ على الذنبِ
فقل لبني حــرْب تَقُـوا الله وحدَه ولا تُسعـدوه في البِطالــة واللعبِ
ولا تأمنــوا التغييرَ إن دام فعلُـه ولم ينهَه عن ذاك شيخُ بَني حربِ
أيشربُها صِرفــاً إذا الليــل جنَّــه معتَّقةً كالمسكِ تختــالُ في العُلبِ
ويَلْحــى عليهــا شاربيهــا وقلبُــه يَهيمُ بها إن غاب يوماً عن الشَّربِ[2]

[يرهن سرجه ليبيت]

أخبرني حبيبُ بنُ نَصر المهلّبيّ قال : حدَّثنا عمر بن شبَّة ، عن المدائنيّ قال : لمّا خرج عبد الرحمن بن محمدِ بن الأشعث على الحجّاج ، وكان معه أبو حُزابة فمرّوا بدَسْتَبى[3] وبها مستراد[4] الصَّنّاجة[5] ، وكانت لا يبيت بها أحدٌ إلاّ بمائة درهم ، فبات بها أبو حُزابة ورهن عندها سرجَه ، فلمّا أصبحَ وقف لعبد الرحمن ، فلمّا أقبل صاح به وقال : [من الرجز]

أمرٌ عضال نابني في العَجِّ كأنّنــي مطالَبٌ بخَرْجِ[6]
ومسترادٌ ذهبتْ بالسَّرْجِ في فتنة الناسِ وهذا الهَرْجِ

فعرف ابنُ الأشعث القصَّةَ ، وضحك ، وأمر بأن يُفتكَّ له سرجهُ ، ويُعطى معه ألفَ

---

1 المهجهج : الداهية .
2 الشّرب : جماعة الشّاربين .
3 دستبى : كورة كبيرة تشمل قرى كانت مقسومة بين الري وهمذان .
4 مستراد : موضع كمراد .
5 الصناجة : اللاعبون بالأوتار أو المغنّون .
6 العجّ : الصياح والضوضاء .

درهم ، وبلغت القصّةُ الحجّاجُ فقال : أيجاهرُ في عسكره بالفجور فيضحك ، ولا ينكِر ! ظفرتُ به إن شاء الله .

[لا يثيبه على المدح فيهجوه]

أخبرني عمّي ، قال حدَّثنا الكُرانيّ عن العُمريّ ، عن العُتبيّ قال : مدح أبو حُزابة عبد الله بن علي العَبْشَميّ وهو على سِجِستان فلم يُثِبْه فقال يهجوه : [من مجزوء الكامل]

هَبَّتْ تُعاتبْني أُما ... مةُ في السماحة والفِضالِ
وأبيتُ عند عِتابها ... إلاّ خلائقَ ذي النَّوالِ
أُعْطي أخي وأحُوطُه ... جُهدي وأبذُل جُلَّ مالي
وأقِيه عند تشاجُر الأبطا ... ل بالأَسَلِ النِّهالِ
حِفْظاً له ورعايةً ... للخالياتِ من الليالي
إذ نحنُ نشربُ قَهوة ... دِرياقة كدمِ الغَزالِ[1]
حمراءَ يُذهِبُ رِيحُها ... ما في الرؤوس من الخَبالِ
وإذا تشعشع في الإنا ... ء رمتْ أخاها باغتيالِ[2]
وعلا الحَبابُ فخلتُه ... عِقْداً يُنظَّم من لآلي
تَشفي السقيمَ بريحها ... وتُميتُه قبل الإجالِ[3]
تلك التي تركتْ فؤا ... د أبي حُزابةَ في ضَلالِ
لا يستفيق ولا يُفيـ ... ـق نزيفها في كلّ حالِ
وإذا الكماةُ تنازلوا ... ومشى الرجالُ إلى الرجالِ
وبدت كتائبُ تَمتري ... مُهجَ الكَتائبِ بالعوالي[4]
فأبو حُزابةَ عند ذا ... ك أخو الكريهة والنِّزالِ
يمشي العرضنةَ مُعلِماً ... بالسيف مشياً غير آلِ[5]

1 درياقة : شفاء .
2 تشعشع : تمزج وتخلط .
3 الإجال : جمع أجل .
4 تمتري : تستخرج .
5 جاعلاً لنفسه علامة ليتحدّى الأبطال في النزال .

كالليــث يتــرك قِرنَـــه مُتجـــدِّلا بـــين المجالِ
إنّي نذيــرُ بنـــي تميــ ـــم مــن أُخي قيلٍ وقالِ
مَن لا يجـــود ولا يسو د ولا يُجير مـــن الهُزالِ
وتراه حـــين يجيئُه السؤّا ل يُولَـــع بـــالسُّعالِ
متشاغـــلاً متنحنِحـــاً كالكلب جَمَّحَ للعِظالِ[1]
فـــارفضْ قريشاً كُلَّهـــا من أُجل ذي الداء العُضالِ

يعني عبد الله بن عليّ العبشَميَّ .

[يشيد بشجاعة التميميِّين]

أُخبرني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدَّثني محمد بن الهيثم الشاميّ قال : حدَّثني عمِّي أبو فِراس ، عن العذريّ قال : دخل ابو حُزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجّاج ، وقد قَدِما سِجِستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان عبد الرحمن لمّا قدماها هرَب ، ولم يبقَ بسِجِستان من أُصحابه إلاّ سبعمائة رجل من بني تميم كانوا مقيمين بها ، فقال لهما أبو حُزابة : إنّ الرّجل قد هرب منكما ، ولم يبقَ من أصحابه أحد ، وإنّما بسِجِستان مَن كان بها من بني تميم قبل قدومه فقالا له : ما لهم عندنا أمان ، لأنّهم قد كانوا مع ابن الأشعث ، وخلعوا الطّاعة ، فقال : ما خلعوها ، ولكنّه ورد عليهم في جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقَة . فلم يُجيباه إلى ما أراد ، وعاد إلى قومه ، وحاصرهم أهل الشام ، فاستقتلت بنو تميم ، فكانوا يخرجون في كلّ يوم إليهم ، فيواقعونهم ، ويَكْبسونهم بالليل ، وينهبون أطرافهم ، حتى ضجروا بذلك ، فلمّا رأى عمارة فِعلَهم صالحهم ، وخرجوا إليه ، فلمّا رأى قلّتهم قال : أما كنتم إلاّ ما أرى ! قالوا : نعم ، فإن شئت أن نُقيلك الصلح أقلناك ، وعُدْنا للحرب ، فقال : أنا غنيّ عن ذلك ، وآمنهم ، فقال أبو حُزابة في ذلك : [من الطويل]

لله عينـاً مَـــن رأى من فوارس أكرَّ على المكـروه منهم وأُصبَرا
وَأَكــرمَ لـــو لاقَوْا سواداً مُقاربا ولكن لقُوا طَمّاً من البحرِ أُخضرا[2]

---

1 جمّح : الجمح : الكبر والفخر ويبدو أن معناها هنا : الانتصاب . العظال : الملازمة في السفاد للكلاب ونحوها .
2 طمّاً : غمراً .

فما برحـوا حتى أعضُّوا سيوفَهم ذُرى الهام منهم والحديدَ المُسمَّرا
وحتى حسبناهم فوارسَ كهَمْسٍ حيوا بعد ما ماتوا من الدّهرِ أعصرا[1]

صوت

[من المتقارب]

إذا اللهُ لم يسَق إلاّ الكـرامَ فسَقَّى وُجـوه بَنـي حَنبلِ
وسقَّـى ديارَهـمُ باكـراً من الغيث في الزّمن المُمْحِلِ
تُكفكفـه بـالعَشيّ الجنوبُ وتُفْرِغُـهُ هـزّة الشَّمأَلِ[2]
كأنَّ الرَّبابَ دوينَ السحابِ نَعـامٌ تعلَّـقُ بـالأَرجلِ[3]

الشعر لزهير السكب التميميّ المازنيّ ، والغناء لإبراهيم خفيف رَمل بالبِنصر عن الهشاميّ وحبش .

1 كهمس : أبو حي من ربيعة .
2 تفرغه في ل : وتقرعه .
3 الرباب : السّحاب الأبيض .

[489] ـ نسب زهير السكب وأخباره

[نسبه]

هو زُهير بن عُروة بن جُلْهُمة بن حَجر بن خُزاعَيّ ، شاعر جاهليٌّ . وإنّما لقّب السَّكب ببيت قاله وقال فيه : [من البسيط]

بَرقٌ يُضيء خلالَ البيتِ أُسْكوبُ[1]

[يتشوّق إلى أبناء عمومته]

أُخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازة قال : حدَّثنا أُبو هِفَّان عن سَعِيد بن هُرَيم عن أُبيه قال : كان زُهير بن عروة المازنيّ الملقّب بالسَّكْب جاهليّاً ، وكان من أُشراف بني مازن وأشدّائهم وفُرسانهم وشُعرائهم ، فغاضب قومه في شيء ذمّه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بني تميم ، فلحِقَه فيهم ضيم ، وأرادَ الرجوعَ إلى عشيرته ، فأَبَتْ نفسُه ذلكَ عليه ، فقال يتشوّق ناساً منهم كانوا بني عمّه دِنْية يقال لهم بَنُو حَنْبل : [من المتقارب]

إذا الله لم يَسْقِ إلاّ الكـرامَ ... فسقَّـى وجـوهَ بنـي حَنْبلِ
مُلِثّاً أحـمَّ دوانـي السَّحاب ... هَزيـم الصلاصـل والأزملِ[2]
تكركره خضخضاتُ الجنوب ... وتفرغـه هِـزّة الشَّمألِ[3]
كأنّ الربابَ دُوينَ السحابِ ... نَعـام تعلَّـق بـالأرجُلِ
فنعـم بَنـو العمّ والأقربون ... لدى حُطْمـة الزمن المُمْحلِ[4]
ونعـم المواسونَ في النائبـا ... ت للجـار والمعتفـى المُرْمِلِ[5]

---

1 أسكوب : المطر .

2 ملثا : دائم المطر لا ينقطع . أحم : أسود . صلصل الرعد : صفا صوته وواحدة الصلاصل : صلصلة . الأزمل : الصوت المختلط .

3 تكركره : تجمعه بعد تفرّقه . خضخضات : جمع خضخضة : وهي تحريك الماء والسويق ونحوهما . وريح الجنوب عند العرب ممطرة مخصبة بخلاف ريح الشّمال . وتفرغه في ل : تقرعه .

4 حطمة : الشدة .

5 المعتفي : السّائل . المرمل : الذي نفد زاده .

ونعـم الحماةُ الكفاةُ العظيمَ إذا غائِـظُ الأمـرِ لم يُحلَلِ[1]
ميامينُ صُبُرٌ لـدى المعضلاتِ على مُوجِـع الحدَثِ المعضِلِ
مباذيلُ عفـواً جزيـلَ العطاء إذا فَضلـةُ الـزّاد لم تُبذَلِ[2]
همُ سبقوا يـوم جَرْيِ الكرامِ ذَوي السبق في الزمـنِ الأوَّلِ
وسامَوْا إلى المجدِ أهلَ الفَعال فطالـوا بفعلهـم الأطوَلِ

[أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره]

أخبرنا هاشم بنُ محمد الخزاعيّ : قال : حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمَعيّ ، عن عمّه قال : سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرَّبابِ فقال : أما تراه معلقاً بالسحابِ كالذيل له ، أما سمعت قول صاحبنا السَّكب : [من المتقارب]

كأن الرَّبابَ دُوَيْنَ السحاب نَعـامٌ تعلَّـق بـالأرجلِ

صوت

[من المتقارب]

سلا عـن تذكُّـره تُكتَما وكان رَهِينـا بهـا مُغرَما
وأقصـرَ عنهـا وآثارُهـا تُذكِّـره داءَهـا الأقدما

الشعر للنَّمِر بن تولَب ، والغناء لخزَرج خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ .

1 غائظ الأمر : الأمر المجهد الشاق .
2 عفواً : فضلاً وزائداً .

[490] ـ أخبار النمر بن تولب ونسبه[1]

[اسمه ونسبه]

هو النَّمِر بن تَولَب بن أُقيش بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل ، واسم عكل عوف بن عبد مناف*، بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار .

شاعر مقلٌّ مخضرم أُدركَ الجاهليّة ، وأُسلم ، فحسُن إسلامه ، ووفد إلى النبيّ ﷺ ، وكتبَ له كتاباً ، فكان في أيدي أهلِه ، وَرَوى عنه ﷺ حديثاً سأذكره في موضعه ، وكان النمرُ أحدَ أجواد العرب المذكورين وفُرسانهم .

[أبو عمرو بن العلاء يسمّيه الكيس]

حدَّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : أُخبرنا محمد بن حبيب قال : قال الأصمعيّ : كان أبو عمرو بن العلاء يُسمّي النمرَ بن تولب الكَيِّسَ لجَوْدة شعره وحُسْنه .

أُخبرنا محمد بن خلف المرزُبان قال : حدَّثنا عبد الله بن محمد قال : أُخبرنا محمد بن سلام الجُمَحيّ ، وأخبرنا به أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلاَّم قال : كان النّمر بن تولب جواداً لا يُليق[2] شيئاً ، وكان شاعراً فصيحاً جريئاً على المنطق ، وكان أبو عمرو بن العلاء يسمِّيه الكيِّس لحُسن شعره .

أُخبرني هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخزاعيّ قال : أُخبرنا الرياشيّ قال : حدَّثنا الأصمعيّ : قال حدَّثنا قُـرَّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله بن الشّخِّير أخي مُطرِّف ، وأخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ قال : حدَّثنا محمد بن سلاّم قال : وفد النَّمِر بن تولَب على النبيّ ﷺ وكتب له كتاباً ، أخبرناه قُرّة بن خالد السَّدوسيّ وسعيد بن إيّاس الجريريّ ، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشَّخّير أخي مُطرّف .

[يحظى بكتاب نبوي]

وأُخبرني عمّي عن القاسم عن محمد الأنباريّ عن أُحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ ، عن

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 309 وفي كتب الصحابة وطبقات ابن سعد ج7 ق1 ص 26 والمعمرين 63 والجمحي 36–38 واللآلي 284–285 والخزانة 1 : 152–156 ، وله ترجمة ضافية في شعر النمر بن تولب صنعة نوري حمودي القيسيّ . مطبعة المعارف بغداد ص 5–22 .

2 لا يُليق : لا يبقي شيئاً لجوده وسخائه .

قُرّة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله أخي مُطرف ، واللفظ قريبٌ بعضُه من بعض ، قال : بينما نحنُ بهذا المِربد جلوس ، يعني مِربُد البصرة ، إذ أتى علينا أعرابيّ أشعثُ الرأس ، فوقفَ علينـا ، فقلنا : والله لكأنَّ هذا الرجلَ ليس من أهل هذا البلد ، قال : أجَلْ ، وإذا معه قِطعة من جِراب أو أديم ، فقال : هذا كتاب كتبهُ لي رسول الله ﷺ ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب ، بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ رسول الله لبني زُهَير ، هكذا قال أحمدُ بنُ عبيد ، وقال الباقون : لبني زُهَير بن أُقيش ، حيٌّ من عُكْل ، إنّكم إن شهدتم أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله ، وأقمتم الصلاةَ ، وآتيتم الزكاةَ ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخُمْس من الغنائم وسهم النبيّ والصَّفيّ[1] فأنتم آمنون بأمان الله وأمانِ رسوله .

[يشكون في روايته ، فيغضب]

وقال أحمد بن عبيد الله في خبره خاصة : «لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم» . وقالوا جميعاً في الخبر : فقال له القومُ : حدِّثنا رَحِمَكَ اللهُ ، ما سمعت من رسول الله ﷺ ، فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : «صَومُ شهر الصَّبر ، وصومُ ثلاثة أيّام من كلّ شَهر يُذهِبْن كثيراً من وَحَر[2] الصدر» . فقال له القوم : أأنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال : أراكُم تخافون أن أكذبَ على رسول الله ﷺ ، لا حدّثْتُكم حديثاً ، ثم أهوى إلى الصحيفة ، وانصاع[3] مُدبراً . قال يزيد بن عبد الله : فقيل لي بعد ما مضى : هذا النمر بن تولب العُكليّ الشاعر .

[مثل من كرمه]

أخبرني محمد بن خَلَف قال : حدّثنا عبد الله بن محمد بن خلف قال : أخبرنا محمد بن سلام ، قال : خرج النمرُ بنُ تولب بعد ما كبر في إبله ، فسأله سائل ، فأعطاه فحلَ إبله ، فلمّا رجعت الإبل إذا فحلُها ليس فيها ، فهتفت به امرأتهُ ، وعذَلَتْه ، وقالت : فهلاً غيرَ فحل إبلك ؟ فقال لها : [من المتقارب]

دَعِينـــي وأمـــري سأكفِيكهِ   وكُوني قعيـدةَ بيت ضُباعا[4]
فإنّـــك لـــن تَرْشُدي غاويـاً   ولن تدركي لك حظّاً مُضاعا

وقال أيضاً في عذلها إيّاه : [من المديد]

---

1 الصفي : ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل القسمة وجمعه صفايا .
2 وحر : حقد وغيظ .
3 انصاع : انفتل راجعاً .
4 ضباع : يرجح أنها مرخم «ضباعة» زوجته .

بَكَرتْ باللَّوم تَلحانـاً   في بعير ضلَّ أو حـانا
عَلِقَتْ لـوّاً تُكرّرهـا   إنَّ لـوّاً ذاكَ أعيـانا

قال : وأدرك الإسلام فأسلم .

[تخدعه زوجه]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا أحمدُ بن زهير ، قال : حدَّثنا محمد بن سلام قال : كان للنَّمِر بن تولَب أخ يقال له الحارث بن تولَب ، وكان سيِّداً معظماً ، فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأةً منهم ، يقال لها جَمرة بنت نوفل ، فوهبها لأخيه النمر بن تولب ففرِكته[1] ، فحبسها ، حتى استقرّتْ ، وولدت له أولاداً ، ثم قالت له في بعض أيَّامها : أزِرني أهلي فإنّي قد اشتقتُ إليهم ، فقال لها : إنّي أخافُ إن صرتِ إلى أهلك أن تَغلِبيني على نفسك ، فواثقته لتَرْجعنَّ إليه . فخرج بها في الشهر الحرام ، حتى أقدَمها بلادَ بني أسد ، فلمّا أطلَّ على الحيّ تركتْه واقفاً ، وانصرفتْ إلى منزل بَعلِها الأوّل ، فمكثت طويلاً ، فلم ترجع إليه ، فعَرف ما صنعت وأنّها اختدَعته فانصرف وقال : [من الطويل]

جزى الله عنّا جَمرةَ ابنة نوفَلٍ   جـزاء مُغِـلٍّ بالأمانـةِ كاذبِ[2]
لهان عليها أمسِ موقـفُ راكبٍ   إلى جانب السَّرْحات أخيبِ خائبِ
وقـد سألتْ عنّي الوشاة ليَكذِبوا   عـليَّ وقـد أبليتها في النوائبِ[3]
وصدَّت كأنَّ الشمسَ تحتَ قِناعها   بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ

وقال فيها أيضاً : [من المتقارب]

كلّ خليـلٍ عليـه الرعا   ثُ والحُبَلاتُ كَذوبٌ مَلِقْ[4]

الحبَلات : واحدتها حَبَلة ، وهي جنس من الحلي قَدرُ ثَمر الطَّلْح .

وقامـتْ إليَّ فأحلفتُهـا   بهَـدْيٍ قلائـده تختفقْ[5]
بأن لا أخونَكَ فيما علمت   فإن الخيانَـةَ شرُّ الخُلقْ

وقال فيها أشعاراً كثيرة يطولُ ذكرُها .

---

1 فركته : أبغضته .
2 مغل : خائن .
3 أبليتها : أحسنت إليها .
4 الرعاث : مفردها رعثة .
5 تختفق : تتحرّك وتضطرب .

[يشبه حاتماً في شعره]

أخبرني اليزيديّ، عن محمد بن حبيب قال: كان أبو عمرو يُشبِّه شِعْر النمر بِشعرِ حاتم الطائيّ.

[أفتى الشعراء]

أخبرني الحُسين بن عليّ قال: حدَّثنا أحمد بن زهير، قال: حدَّثنا مُصعَب بن عبد الله الزُّبيريّ قال: بلغني أنّ صالحَ بنَ حسان قال يوماً لجلسائه: أيُّ الشعراء أفتى؟ قالوا: عمر بن أبي ربيعة، وقالوا: جميل، وأكثروا القول، فقال: أفتاهم النمر بن تولَب حين يقول: [من الطويل]

أهيمُ بدَعد ما حييتُ وإن أمُتْ فواحزنا مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعدي!

[جمرة توصيه بولده منها]

أخبرني الحسن قال: حدَّثنا أحمد بن زُهير، عن محمد بن سلام قال: حجَّ النمر بن تولب بعد هرب جمرةَ منه فنزل بمِنًى، ونزلت جمرةُ مع زوجها قريباً منه، فعرفته، فبعثت إليه بالسلام، وسألته عن خبره، ووصَّتْه خيراً بولده منها فقال: [من الطويل]

فحُيِّيتِ عن شَحطٍ بخيرِ حَديثنا ولا يأمنُ الأيّامَ إلاّ المُضَلَّلُ
يودُّ الفتى طولَ السلامة والغِنى فكيف يرى طولَ السَّلامة يفعلُ!

[شعره بين يدي الرسول]

أخبرني ابنُ المرزُبان قال: حدَّثنا أبو محمد اليزيديّ، عن الأصمعيّ. وأخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال: لما وفد النمر بن تولب على النبيّ ﷺ أنشده: [من الرجز]

يا قوم إنِّي رجل عندي خَبرْ لله من آياته هذا القَمَرْ
والشمسُ والشعرى وآياتٌ أُخَرْ من يتسامَ بالهدى فالخبثُ شَرّْ[1]
إنّا أتيناك وقد طال السفَرْ نَقودُ خَيلاً رُجُعاً فيها ضَرَرْ[2]
نُطعِمُها اللحمَ إذا عزَّ الشَّجَرْ

قال اليزيديّ، عن ابن حبيب خاصة، قال الأصمعيّ: أطعمها اللحم: أسقيها اللبن، والعرب تقول: اللبن أحد اللحميْنِ. وقال ابن حبيب: قال ابن الأعرابيّ: كانت العرب إذا لم تجد العَلَف دقّتِ اللحمَ اليابسَ، فأطعَمَتْه الخيل.

1 الشعرى: نجم في السماء وهما شعريان: الكبير والغميصاء، ويعدونهما أختي سهيل.
2 رجعاً: كليلة.

[يتسلّى عن جمرة]

أخبرني عمّي قال : حدَّثنا الكُرانيّ قال : حدَّثنا العُمريّ ، عن الهيثم بن عديّ ، عن ابن عيّاش ، وأخبرنا ابنُ المرزُبان قال : أخبرني عيسى بنُ يونس قال : حدَّثني محمد بن الفضل قال : حدَّثنا الهيثمُ بن عديّ ، عن ابن عبَّاس قال : لمّا فارق النمر بن تولب ، امرأتَه الأسديّة جزع عليها ، حتى خيفَ على عَقلِه ومكث أيّاماً لا يَطعمُ ، ولا ينام ، فلمّا رأت عشيرَتُه منه ذلك ، أقبلوا عليه يلومونَه ، ويصبّرونه ، وقالوا : إن في نساء العرب مندوحةً ومتَّسَعاً ، وذكروا له امرأة من فَخذه الأُدنَين يقال لها دَعْد ، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح ، فتزوَّجها ووقعت من قلبه وشغلته عن ذكر جَمْرةَ وفيها يقول : [من الطويل]

أُهِيمُ بدَعد ما حيِيتُ فإن أَمُتْ أُوَكِّلْ بدَعْدٍ مَن يَهيمُ بها بَعدِي

والنّاسُ يروون هذا البيتَ لنُصيب وهو خطأ .

أخبرني اليزيديّ عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ ، عن عمِّه . وأُخبرني إبراهيم بن محمد الصائغ ، عن ابن قتيبة ، عن عبد الرحمن ، عن عمِّه ، عن حماد بن ربيعة أنّه قال : أظرف النّاس النَّمر بن تولَب حيث يقولُ : [من الطويل]

أُهيمُ بدعـد مـا حييتُ فإن أُمت أُوكِّلْ بدعـد مَنْ يهيم بها بعدي

[يرثي جمرة]

أُخبرني ابن المرزُبان قال : أخبرني عبد الله بن محمد قال : أُخبرني محمدُ بنُ سلاّم قال : لمّا بلغ النَّمرَ بنَ تَولَب أن امرأته جَمرة تُوفِّيت ، نعاها له رجلٌ من قومه يقال له حِزام أو حَرام ، فقال : [من الوافر]

أَلَم تَـرَ أنَّ جمرةَ جاء مِنها بيانُ الحقِّ إنْ صدقَ الكلامُ
نَعاهـا بالنـديِّ لنا حـزامٌ حَديث مـا تحدثُ يـا حَرامُ
فـلا تبعَد وقد بعِدَتْ وأُجرى على جـَدثٍ تضمَّنَها الغَمامُ

قال الأصمعيّ : يقال بَعِد وأبْعَد .

[يهذي في كبره]

أُخبرني أبو الحَسَن الأسديّ قال : حدَّثنا الرياشيّ ، عن الأصمعيّ ، عن أَبي عمرو ، وأخبرني بـه هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعيّ قال : حدَّثنا أبو غسَّان دَماذ ، عن أبي عبيدة ، أبي عمرو قـال : أُدركَ النَّمرُ بن تولب النبيّ ﷺ ، فأسلم وَحسن إسلامه ، وعُمِّـر ، فطال عمره ، وكان جواداً واسعَ القِرى كثيرَ الأضياف وَهَّاباً لمالِه ، فلمّا كبِر

خَرِف وأُهتِر[1] ، فكان هِجِّيراه[2] : اصبَحوا الرَّاكبَ ، اغبقوا الرَّاكب اقرُوا ، انحروا للضيف ، أعطوا السائل ، تحملوا لهذا في حِمالته كذا وَكذا ، لعادته بذلك ، فلم يزل يَهذي بهذا وشبههِ مدّة خَرَفة حتى ماتَ .

[خرق أفضل من خرف]

قال : وخَرِفتْ إمرأةٌ مِنْ حَيّ كرام عظيم خطرُهم وخطرُها فيهم ، فكان هِجِّيراها : زَوِّجوني ، قولوا لزوْجي يدخل ، مهِّدوا لي إلى جانِب زوجي ، فقال عمرُ بن الخطاب ، وَقد بلغه خبرُها : ما لهِجَ به أخو عُكل النمِر بن تولب في خرَفه أفخرُ وأسْرى ، وأجملُ ممّا لَهِجتْ به صاحبتُكم . ثم ترحَّم عليه .

[يرثي أخاه]

أخبرني ابن المرزُبان قال : حدَّثني أَبو بكر العامريُّ ، قال : حدَّثني عليّ بنُ المغيرة الأثرم ، عن أبي عبيدة قال : مات الحارث بن تولَب ، فرثاه النمر فقال : [من الطويل]

لا زال صوبٌ مِنْ ربيع وصيِّف ... يجودُ على حِسْي الغميم فيثرِبِ[3]
فوالله ما أُسقي البلادَ لحبِّها ... ولكنّما أُسقيكَ حار بن تولَبِ
تضمَّنْتَ أَدواء العشيرة بينها ... وأنت على أعواد نَعش مُقلَّبِ
كأن امرءاً في النّاس كنتَ ابنَ أمه ... على فَلَج من بطن دجلة مطنبِ[4]

[يتمثّل بأبياته]

قال حمّاد الراوية : كان النمرُ بنُ تولب كثيرَ البيت السائر والبيتِ المتمثَّل به ، فمن ذلك قوله : [من الكامل]

لا تغضبنَّ على امرىءٍ في ماله ... وعلى كرائم صُلب مالكَ فاغضَبِ
وإذا تصبك خصاصة فارجُ الغِنى ... وإلى الذي يعطي الرغائبَ فارغبِ[5]

وقوله : [من المتقارب]

تلبَّسْ لدهركَ أثوابَه ... فلن يبتني النّاسُ ما هُدِّما

1 أهتر : فقد عقله من الكبر .
2 هجيراه : ديدنه وعادته .
3 صيف : مطر يجيء في الصيف أو بعد الربيع . الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .
4 فلج : نهر صغير .
5 وإذا في الشعر والشعراء 310/1 ومتى .

وأحبب حبيبك حبّـاً رويدا فليس يعولُـك أَن تصْـرِما
وَأَبغِضْ بغيضَك بُغضاً روَيداً إذا أَنت حاولـتَ أَن تحكما

وقاله : [من الطويل]

أَعاذلُ إن يصبحْ صداي بقَفَرةٍ بعيـدٍ نـآني ناصري وقريبي
تَرَيْ أَن ما أَبقيتُ لم أَكُ ربَّـه وأَن الذي أَفنيت كان نَصيبي

[يعفي صديقه من الدية ويتحمّلها]

نسخت من كتاب بخطّ السّكريّ أَبي سَعيد قال : محمدُ بن حبيب : كان للنَّمِرِ بن تولَب صديق فأتاه النمرُ في ناس من قومه يسألونه في ديةٍ احتملوها ، فلمّا رآهم ، وسألوه تبسَّم ، فقال النمر : [من الوافر]

تبسم ضاحكـاً لمـا رآني وأصحابي لـدى عُنَنِ التُّمامِ

فقال له الرجل : إن لي نفساً تأمرني أَن أعطيكم ، ونفساً تأمرني أَلاّ أَفعل ، فقال النمر : [من البسيط]

أَمّـا خليـلي فإنّي غيرُ معجِله حتـى يؤامـرَ نفسيْه كما زَعما
نفسٌ له من نفوسِ النّاس صالحةٌ تعطى الجزيلَ ونفس ترضع الغَنَما

ثم قال النَّمرُ لأصحابه : لا تسألوا أحداً ، فالديةُ كلُّها عليَّ .

[قصة سيف كالذي وصف النمر]

أَخبرني أَحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ قال : حدَّثنا أَبي قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ محمد بن عبد الله بنُ حسن بن عليّ قال : جاءَ أعرابيّ إلى أبي ، وهو مستتر بسُوَيقة[1] قبل مخرجه ، ومعه سيف قد علاه الصَّدأ ، فقال : يا ابن رسول الله ، إنّي كنت ببطن قُدَيد[2] ، أرعى إبلي وفيها فحل قَطِم[3] ، قد كنتُ ضربتُه ، فحقد عليَّ وأنا لا أَدري ، فخلا بي فشدَّ عليّ يريدُني ، وأنا أُحْضِر ، ودنا منّي حتى أن لغامه ليسقط على رأسي لقربه منّي . فأنا أَشتدُّ ، وأنا أنظر إلى الأرض لعلّي أرى شيئاً أذبّه عنّي به ، إذ وقعتْ عيني عَلى هذا السيف قد فَحصَ عنه السيل ، فظننته عوداً بالياً ، فضربتُ بيدي إليه ، فأخذته فإذا سيفٌ ، فذبَبْت به البعيرَ عنّي ذبّاً ، والله ما أردتُ به الذي بلغتُ منه ، فأصبتُ خيشومَه

1 سويقة : موضع قرب المدينة يسكنه آل عليّ بن أبي طالب .
2 قديد : موضع قرب مكّة .
3 القطم : الصَّؤول .

فرميت بفَقْمِه[1] ، فعلمتُ أنّه سيف جيّد ، وظننتُه من سيوف القوم الذين كانوا قُتِلوا في وقعة قُديد[2] ، وها هوذا قد أهديتُه لك يا ابن رسولِ الله قال : فأخذه منه أبي ، وسُرَّ به . وجلس الأعرابيّ يُحادثه ، فبينا هو كذلك إذ أقبلت غنمٌ لأبي ثلاثمائة شاةٍ فيها رِعاؤها ، فقال له : أبي : يا أعرابيُّ هذه الغنم والرُّعاة لك مكافأةً لك عن هذا السيف ، قال : ثم أُرسل به إلى المدينة ، أو أُرسل إلى قيْن[3] فأُتـي بـه من المدينة ، فأمر به فحُلِّيَ ، فخرجَ أكرَم سيوفِ الناس ، فأمـر فاتُّخِـذ لـه جَفن ، ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد . فلمّا كان اليوم الذي قُتِل فيه ، قاتـل بغيرِ ذلك السيف ، قال : وبقـيَ ذلك السيف عنـد أختـي فاطمة بنت محمد . فزرتها يوماً وهي بينبُع في جماعـة من أهـل بيتـي ، وكانـت عنـد ابن عمّها الحسن بـن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم أجمعين السلامُ ، فخرجتْ إلينـا ، وكانت بَرْزة[4] تجلس لأهلها كما يجلس الرجال ، وتحدِّثهـم ، فجلست تحدّثُنا ، وأمرت مولًى لها ، فنحرَ لنا جزوراً[5] ليهيـيء لنا طعاماً .

فنظرت إليها ، والجَزورُ في النخل باركة ، وقد بردت وهي تُسلَخُ ، فقالت : إنِّي لا أرى في هذه الجزور ، مضرباً حسَناً . ثم دعتْ بالسيْف ، وقالت : يا حسنُ ، فدتك أُختُـك ، هذا سيف أبيك ، فخذه واجْمَع يديك في قائمه ، ثم اضرب به أثناءَها من خلفها ، تريدُ عراقيبها ، وقد أثبتُّها للبُروك ، وهي أربعة أعظم ، قال : فأخذتُ السيفَ ثم مضيتُ نحوها ، فضربت عراقيبَها فقطعتُها ، والله ، أربَعَتَها وسبقني السيف ، فدخل في الأرض ، فأشفقْتُ عليه أن ينكسِرْ إن اجتذبتُه فحفرتُ عنهُ ، حتى استخرجتُه ، قال : فذكرتُ حينئذٍ قولَ النمر بن تولب : [من البسيط]

أُبقى الحـوادثُ والأيّامُ من نَمرٍ أسباد سيفٍ كريـم أثرُه بادي[6]
تظلّ تحفِـر عنـه الأرضَ مُدفعاً بعـد الذراعين والقَيدين والهادِي[7]

ويروى : تظلُّ تحفر عنـه إن ظفرتَ به

---

1 الفقم : اللحي وطرف الخطم .
2 وقعة قديد : وقعة لأبي حمزة الخارجي على أهل المدينة .
3 القين : الحداد والصيقل .
4 برزة : متجاهرة جليلة تجلس للقوم يتحدثون إليها وهي عفيفة .
5 جزور : بعير أو ناقة تجزر .
6 أسباد : مفرده سبد وهو البقية .
7 في شعر النمر بن تولب 53 : إن ضربت به . الهادي : العنق وجمعه هواد .

[يشكو المشيب]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال : أخبرني أحمد بن معاوية الباهليّ ، عن أبي عُبيدة قال : قيل للنمِر بن تولَب كيف أصبحت يا أبا ربيعة؟ فأنشأ يقول : [من الرجز]

أُصبحت لا يَحملُ بعضي بعضاً أَشكو العروقَ الآبضات أبضا[1]

كما تَشَكّى الأرحَبيُّ الغَرْضا كأنّما كان شبابي قرضاً[2]

[من توسلاته]

أخبرني هاشِم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال : حدَّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال : أنشدني حمّاد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدِّه : [من الوافر]

أعِذْني ربّ من حَصَرٍ وعِيٍّ ومن نَفسٍ أعالجُها علاجا

ومن حاجات نفسٍ فاعصِمنّي فإن لمضْمرات النفسِ حاجا

فأنت وليُّها وبرئتُ منها إليك فما قضيتَ فلا خِلاجا[3]

[عود إلى فتوته]

ثم قال : كان النمر أفتى خلقِ الله ، فقلت : وما كانت فتوّته ؟ قال : أوليس فتًى من يقول : [من الطويل]

أهيمُ بدَعد ما حييتُ فإن أَمتْ فواحزَنا مَن ذا يهيم بها بَعْدي

صوت

[من الطويل]

أيا صاحبيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا

وخُطَّا بأطراف الأسِنَّةِ مضجَعي ورُدَّا على عَيْنيَّ فضلَ رِدائيا

ولا تحسداني باركَ اللهُ فيكما من الأَرض ذات العَرض أن تُوسِعا لِيا

لعمري لئن غالتْ خراسانَ هامتي لقد كنتُ عن بابَيْ خُراسانَ نائيا[4]

1 الآبضات : الشادات . وفي شعر النمر بن تولب 70 : النابيات .
2 الأرحبيّ : كريم الفحول المنسوبة إلى قبيلة أرحب .
3 خلاجاً : نزاعاً وشكاً .
4 هامتي : رأسي .

فيا ليتَ شِعري هل أبيتَنَّ ليلةً   بجنبِ الغضا أُزْجي القِلاصَ النواجِيا[1]

الشعر لمالك بن الريب ، والغناء لمعبد ممّا لا يشكُّ فيه من غنائه ، خفيف ثقيل أوّل بالوُسطى في مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير ، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية عليّ بن يحيى ، وفيه لابن سُرَيج هَزَج بالخِنصر في مجرى البنصر عن ابن المكيّ ، وفيه لإبراهيم رَمل بالوسطى عن عبد الله بن موسى في الأوّل والثالث من الأبياتِ ، ولإبراهيم ثقيل أوّل في الخامس ثم الرابع عن الهشاميّ ، وقيل : إنّ الرَّمَل المنسوب إليه لنبيه .

1 النواجي : جمع ناجية أي سريعة .

[491] ـ أخبار مالك بن الريب ونسبه[1]

[نسبه]

هو مالك بن الريب بن حَوط بن قُرط بن حِسْل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

[لص قاطع طريق]

وكان شاعراً فاتكاً لصّاً ، ومنشؤه في بادية بني تميم بالبصرة من شُعراء الإسلام في أوّل أيّام بني أُميّة .

[الوالي يريد استصلاحه]

أُخبرني بخبره عليُّ بنُ سليمان الأَخفش قال : أَخبرنا أَبو سعيد السكَّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأَعرابيّ وعن هشام ابن الكلبيّ وعن الفضل بن محمد وإسحاق بن الجصَّاص وحَمَّاد الراوية وكلُّهم قد حكى من خبره نحواً ممّا حكاه الآخرون قالوا : استعمل معاوية بن أبي سُفيان سعيدَ بنَ عثمان بن عفّان عَلى خراسان ، فمضى سعيد بجنده في طريق فارس ، فلقيَه بها مالك بن الريب المازنيّ ، وكان من أجمل النّاس وجهاً ، وأَحسنهم ثياباً فلمّا رآه سعيد أعجبه ، وقال له : ما لكَ ، ويحَكَ تُفسد نفسَك بقطع الطريق ! وما يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العَبث والفساد ، وفيك هذا الفضل ! قال : يدعوني إليه العَجْز عن المعالي ، ومساواة ذوي المروءات ومكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيتُك واستصحبتك ، أتكفُّ عمّا كنتَ تفعل ؟ قال : إي والله أيّها الأمير ، أكفُّ كفّاً لم يكفَّ أحدٌ أُحسنَ منه ، قال : فاستصحبه ، وأُجرى له خمسمائة دِرهم في كلّ شهر .

[داود بن الحكم يتعقبه وأصحابه]

قالوا : وكان السبب الذي من أُجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنّه كان يقطع الطريق هو وأُصحابٌ له ، منهم شِظاظ ، وهو مولى لبني تميم ، وكان أخبثهم ، وأبو حرْدَبَة ، أحد بني أُثالة بن مازن ، وغويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز : [من الرجز]

اللهُ نجـاكَ مـن القصيم وَبطنِ فَلْج وبنـي تميمِ

---

1 انظر ترجمته في الشعر والشعراء 353/1 ، والخزانة 1 : 317–321 وشواهد المغني 215–216 واللآلي 8 : 41–419 وذيله 64 .

ومن أُبي حردبة الأثيم ومالكٍ وسيفه المسمومِ
ومن شِظاظ الأحمرِ الزَّنيم ومن غويث فاتح العُكومِ[1]

فساموا[2] الناسَ شرّاً ، وطلبهم مروانُ بن الحكم ، وهو عامل معاوية على المدينة ، فهرَبوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحيّ ، وهو عامله على بني عمرو بن حنظلة يطلبهم ، فهربوا منه .

[يتوعد من يتوعده]

وبلغ مالكَ بنَ الريب أنّ الحارث بن حاطب يتوعّده فقال : [من الوافر]

تألّى حِلفةً في غير جُرْمٍ أُميري حارث شِبهُ الصِّرارِ[3]
عليّ لأجْلِدَنْ في غيرِ جُرم ولا أُدنى فينفعني اعتذاري
وقلتُ وقد ضممتُ إليَّ جأشي تحلَّلْ لا تألَّ عليَّ حارِ
فإنّي سوف يكفينيكَ عَزمي ونصٌّ العيسِ بالبلدِ القفارِ[4]
وعنسٌ ذات معجمة أمونٌ علنداة موثَّقَة الفَقارِ[5]
تَزيف إذا تواهقتِ المطايا كما زاف المشرِّف للخِطارِ[6]
وإن ضربتْ بلَحييها وعامت تفصَّم عنهما حلقُ السِّفارِ[7]
مِراحاً غير ما ضغْنٍ ولكنْ لَجاجا حين تشتبهُ الصحاري
إذا ما استقبلتْ جَوْنا بَهيما تفرَّج عن مخيَّسة حِضارِ[8]
إذا ما حال روض رُباب دوني وَتَثليثٍ فشأنُكَ بالبكارِ[9]

---

1 الزنيم : الملحق بقوم ليس منهم ولا يحتاجون إليه . العكوم : جمع عكم وهو الحمل .
2 ل : فسعروا .
3 الصرار : ما يشدّ فوق خلف الناقة من خيط .
4 نص العيس : إجهادي النوق على السير الشديد وفي ل : ونصّي .
5 العنس : الناقة الصلبة القوية . ذات معجمة : ذات قوة وسمن وبقاء على السير . أمون : موثقة الخلق مأمونة الكلال . علنداة : ضخمة شديدة طويلة .
6 تزيف : تسرع في تمايل . تواهقت : تبارت وتنافست .
7 تفصم : تكسر من غير انفصال . السفار : حديدة أو جلدة توضع على أنف البعير كالحكمة للفرس .
8 مخيسة : مذللة منقادة . حضار : جمعت قوة وجودة سير .
9 رباب : أرض بين ديار بني عامر والحارث بن كعب . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكّة .

وأنيــابٌ سيُخلفُهــنّ سَيفي ... وشدَّاتُ الكميِّ عَلى التِّجارِ[1]
فإن أُسطَعْ أُرِحْ منــه أُناسي ... بضربــة فاتــك غيرِ اعتذارِ
وإن يُفلتْ فإنِّي سوفَ أَبغـي ... بنيــهِ بالمدينــة أو صِرارِ[2]
أَلا مــن مبلغٌ مـروانَ عنِّي ... فإنِّي ليسَ دهــري بالفِرارِ
ولا جــزِع من الحدَثانِ يوماً ... ولكنِّــي أرود لكــم وبارِ

وبار : أرض لم يطأ أحد ثراها .

بهزمــار تــرادُ العِيس فيها ... إذا أُشفقنَ من قَلق الصِّفارِ[3]
وهنَّ يحشْن بالأعناق حَوْشا ... كأن عظامهــنَّ قِـداحُ بارِ[4]
كأنَّ الرحْـل أُسأَرَ من قَراها ... هــلالَ عشيّة بعـد السِّرارِ[5]
رأيتُ وقد أَتى بُحْرانُ دُوني ... لليــلى بالغُميِّم ضــوء نارِ[6]
إذا ما قلتُ : قد خمدَتْ زَهاها ... عُصيٌّ الرند والعصْف السواري[7]
يُشَبُّ وقودهــا ويلوحُ وَهْنا ... كما لاح الشَّبوب من الصِّوارِ[8]
كأَن النَّارَ إذْ شُبتْ لليــلى ... أَضاءَتْ جيدَ مُغزلــة نَوارِ[9]
وتصطادُ القلوبَ على مطاهــا ... بلا جَعْـد القرون ولا قِصارِ[10]
وتبسم عن نقيِّ اللون عَذْب ... كما شِيفَ الأَقاحــي بالقطارِ[11]
أتجزعُ أَن عرفــتَ ببطن قَوٍّ ... وصحراء الأَديهم رسمَ دارِ[12]

---

1 أنياب جمع ناب وهي الناقة المسنة .
2 صرار : ماء قرب المدينة على سمت العراق .
3 بهزمار في ل : بموماة . الصّفار : تلتصق بالضلوع فتعضّها عند الجوع .
4 يحشن : يرمين .
5 أسأر : أبقى . والقرا : الظهر . السرار : آخر الشهر .
6 الغميم : ماء لبني سعد .
7 الرند : شجر طيب الرائحة يستعمل في البخور . العصف : جمع عصوف وهي الريح الشديدة .
8 الشبوب : الشاب من البقر . الصوار ، كغراب : القطيع من البقر .
9 مغزلة : ذات غزال . نوار : نفور .
10 القرون الجعدة : القصيرة ، والقرون : الضفائر . قصار : اسم من قصر .
11 شيف : جليّ ، ومنه درهم مشوف مجلو .
12 بطن قو : واد بين البصرة والمدينة .

وإن حلَّ الخليطُ ولستَ فيهم ... مرابع بين دحْـلَ إلى سَرارِ[1]
إذا حلُّوا بعائجـةٍ خـلاءٍ ... يُقطِّفُ نـوْرَ حَنْوتِها العذاري[2]

[يقتل حارسه ويخلص صديقه]

فبعث إليه الحارث رجلاً من الأنصار فأخذه ، وأخذ أبا حردبة ، فبعث بأبي حردبة وتخلّف الأنصاريّ مع القوم الذين كان مالكٌ فيهم ، وأمر غلاماً له ، فجعلَ يسوق مالكاً . فتغفَّلَ مالكٌ غلامَ الأنصاريّ ، وعليه السيف ، فانتزعه منه ، وقتله به ، وشدَّ على الأنصاريّ ، فضربه بالسيفِ حتّى قتله ، وجعل يقتل مَن كان معه يميناً وشمالاً .

ثم لحق بأبي حرْدبة ، فتخلّصه ، وركِبا إبلَ الأنصاريّ ، وخرجا فراراً من ذلك هاربين ، حتى أتيا البحرين ، واجتمعَ إليهما أصحابُهما ، ثم قطعوا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذي أحدثه مالكٌ ، فلم يزل بفارس ، حتى قدِم عليه سعيد بن عثمان ، فاستصحبه .

[شعره في مهربه]

فقال مالك في مهربه ذلك : [من الطويل]

أَحقّـاً على السلطان أمّا الذي لَهُ ... فيُعطِي وأَمّا مـا يـرادُ فيمنعُ
إذا ما جعلتُ الرملَ بيني وبينَهُ ... وأعرضَ سهبٌ بين يبرين بلقَعُ[3]
من الأُدمى لا يستجمُّ بها القَطا ... تكـلُّ الريـاحُ دونَـه فتقطَّعُ[4]
فشأنكم يـا آل مَروانَ فاطلبُوا ... سِقاطي فما فيـه لباغيه مَطمعُ[5]
وَمـا أنـا كالعير المقيـم لأهلِه ... على القَيْد في بُحبوحة الضَّيم يَرتعُ
ولـولا رسولُ اللهِ أن كان منكمُ ... تبيَّن مَن بالنَّصف يَرضى ويقنعُ

وقال أيضاً : [من البسيط]

لو كنتمُ تنكرونَ الغدرَ قلت لكم ... يا آل مروانَ جاري منكم الحكمُ
وَاتَّقيكـم يمـينُ الله ضاحيـةً ... عند الشهودِ وَقد توفي بـه الذممُ

1 مرابع : موضع قريب من حزن بني يربوع . سرار : واد .
2 الحنوة : نبت طيّب الريح .
3 يبرين : قرية كثيرة النخل والعيون بحذاء الأحساء .
4 الأدمى : موضع ببلاد سعد .
5 سقاطي : عثاري وسقوطي .

لا كنتُ أحدث سوْءا في إمارتكم ... وَلا الذي فات منّـي قبل ينتقمُ
نحنُ الذيــن إذا خفتُــم مجلّلةً ... قلتم لنــا : إنّنا منكم لتَعتَصِمُوا[1]
حتى إذا انفرجَتْ عنكم دجُنّتُها ... صرتم كجَرَمٍ فـلا إلٌّ وَلا رَحِمُ

وقال مالكٌ حين قَتل غلام الأنصاريّ الذي كان يقودُه : [من الطويل]

غلامٌ يقول السيف يُثقِـل عاتقي ... إذا قادني وَسْطَ الرجال المجَحْدلُ[2]
فلولا ذُبابُ السيفِ ظَـلَّ يقودُني ... بنِسعتــه شثْنُ البنـــان حَزنْبلُ[3]

[أراد اغتيال مالك فاغتاله]

قالوا : وبَينا مالك بن الريب ذاتَ ليلة في بعض هناته وهو نائم ، وَكان لا ينام إلاّ متوشِّحاً بالسيف ، إذ هو بشيء قد جَثَم عليه لا يدري ما هو ، فانتَفضَ به مالك ، فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسودُ كان يقطع الطريق في تلك الناحية ، فقال مالك في ذلك : [من البسيط]

أدلجتُ في مهمهٍ ما إن أرى أحداً ... حتى إذا حان تعريسٌ لِمَـن نَزلا
وضعتُ جنبي وقلتُ : الله يكلؤني ... مهما تنم عنكَ من عينٍ فما غَفلا[4]
والسيفُ بيني وبين الثوب مُشعِرَه ... أخشى الحوادث إنّي لم أكن وَكِلا[5]
مــا نمــتُ إلاّ قليلاً نمتُه شئِزاً ... حتى وجدتُ على جُثمانيَ الثِّقلا[6]
داهية من دواهــي الليــلِ بيّتني ... مُجاهــداً يبتغي نفسي ومـا ختَلا
أهويتُ نفحاً لــه والليل ساترُه ... إلاّ توخيتُه والجـرس فانخزَلا[7]
لمّا ثنــى اللهُ عنّــي شرَّ عَدْوتــه ... رقدت لا مُثبَتاً ذُعْـراً ولا بَعِلا[8]
أما ترى الدّار قَفــراً لا أنيسَ بها ... إلاّ الوحوشَ وأمسى أهلُها احتمَلا

1 مجللة : نازلة عامة .
2 جحدل فلان فلاناً : صرعه .
3 النسعة : قطعة من سير أو حبل من أدم تشد به الرحال . شثن : غليظ . حزنبل : قصير وثيق الخلق .
4 عين في ل : ليلٍ .
5 مشعره : جاعله شعاري .
6 شئزاً : قلقاً .
7 نفحاً : ضرباً . انخزل : انقطع .
8 بعلاً : دهشاً فرقاً .

بين المُنيفةِ حيث استنَّ مَدفعُها وبين فردةَ من وحشيِّها قبلا[1]
وقد تقولُ وما تخفى لجارتها إنِّي أُرى مالكَ بنَ الريب قد نَحَلا
من يشهد الحربَ يصلاها ويسعِرُها تراه ممّا كسته شاحباً وجِلا
خذها فإنِّي لضرَّاب إذا اختلفت أيدي الرّجال بضرب يختِلُ البطَلا[2]

وقال مالك في ذلك أيضاً : [من الكامل]

يا غاسلاً تحتَ الظلام مطيّةً متخايِلاً لا بلْ وغير مخايلِ
أنَّى أُنِخْتُ لشابكٍ أنيابُه مستأنس بدُجى الظلام مُنازلِ[3]
لا يستريع عظيمةً يُرمى بها حصَّاءَ تحسر عن عظام الكاهلِ
حرباء تنصّبه وبيت هواجر عاري الأَشاجع كالحسام الناصِلِ[4]
لم يدرِ ما غرفُ القُصور وفيؤها طاوٍ بنخل سوادِها المتمايلِ
يقظ الفؤادِ إذا القلوب تآنست جزعاً ونُبَّهَ كلُّ أروع باسلِ
حيث الدُّجى متطلِّعاً لغفوله كالذئب في غلَس الظلام الخاتِلِ
فوجدته ثَبْتَ الجنان مُشيَّعا ركَّابَ مَنسِج كلِّ أمرٍ هائلِ[5]
فقراك أبيض كالعقيقة صارماً ذا رَونق يغشى الضريبة فاصلِ[6]
فركبتَ رَدعك بين ثنيي فائزٍ يعلو به أثر الدّماء وشائلِ[7]

[رجل حرب لا سائس إبل]

قال : وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خُراسان ، حتى إذا كانوا في بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن ، فطلبوا صاحب إبلهم ، فلم يجدوه ، فقال مالكٌ لغلام مِنْ غِلمان سعيد : أُدْنِ منّي فلانة ، لناقة كانت لسَعيد غزيرة ، فأدناها منه ، فمسحها وأبسَّ[8] بها حتى

---

1 المنيفة : ماء لتميم على فلج بين نجد واليمامة . استنّ : وضح . مدفعها : مسيلها ومجراها . فردة : جبل في ديار طيىء . قبلاً : عياناً .
2 يختل البطلا : أي ينزع أعلى البيضة .
3 شابك : الأسد المشتبك الأنياب .
4 عاري الأشاجع : رؤوس الأصابع ، جمع أشجع .
5 مشيعاً : شجاعاً .
6 العقيقة : البرقة المستطيلة في عرض السحاب يكثر استعارتها للسّيف .
7 الردع في الأصل : الزعفران ، ويقال للقتيل : ركب ردعه إذا خرّ لوجهه على دمه . فائز : المراد به السيف .
8 أبس : مسح ضرعها .

درَّت ، ثم حَلَبها ، فإذا أحسن حلب حلبه النّاس وأغزره دِرَّة ، فانطلق الغلام إلى سعيد ، فأخبره ، فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقوم بأمر إبلي ، فتكونَ فيها ، وأُجزلَ لك الرزقَ إلى ما أرزقُك ، وأضع عنك الغَزْو ؟ فقال مالك في ذلك : [من الطويل]

إنّي لأستحيي الفوارسَ أن أُرى ... بأرض العدا بوَّ المخاضِ الروائمِ[1]
وإنّي لأستحيي إذا الحربُ شَمَّرَتْ ... أن ارْخِيَ دون الحرب ثوبَ المُسالمِ
وما أَنا بالنائي الحفيظة في الوغى ... ولا المتّقي في السلمِ جَرَّ الجرائمِ
ولا المتأنّــي في العواقــب للذي ... أهمُّ بــه مــن فاتكاتِ العزائمِ
ولكننــي مستوحدُ العــزم مِقدَمٌ ... على غمــرات الحــادث المتفاقمِ
قليلُ اختلاف الرأْي في الحربِ باسلٌ ... جميعُ الفؤاد عنـد حــلِّ العظائمِ

فلمّا سمع ذلك منه سعيدُ بنُ عثمان ، علِم أنّه ليس بصاحب إبل ، وأنّه صاحب حرب ، فانطلق به معه .

[مالك والذئب]

قالوا : وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم في بعض مغازاته إذ بيَّته ذئب ، فزجره فلم يزدجر ، فأعاد ، فلم يبرح ، فوثب إليه بالسيف ، فضربه ، فقتله ، وقال مالك في ذلك : [من الطويل]

أذئبَ الغضا قد صرتَ للنّاس ضُحكة ... تُغادى بك الركبانُ شرقاً إلى غربِ
فأنــت وإن كنــتَ الجريءَ جنانُه ... مُنيتَ بضِرغــام مــن الأُسْد الغُلْبِ
بمَــن لا ينــامُ الليــلَ إلاّ وسيفُه ... رهينــةُ أَقــوام سِراعٍ إلى الشَّغْبِ
أَلم تربي يا ذئبُ إذ جئــتَ طارقاً ... تخاتِلُنــي أنّي امــرؤ وافــرُ اللُّبِّ
زجرتكَ مــرّاتٍ فلمّــا غلبتَنــي ... ولم تنزجرْ نهنهتُ غربَك بالضربِ[2]
فصرت لَقًــى لمّــا علاكَ ابنُ حرَّة ... بأَبيض قطّــاع يُنَجّي مــن الكَرْبِ
أَلا ربَّ يومٍ ريبَ لو كنتَ شاهداً ... لهالك كــرّي عنــد مَعمعمة الحربِ
ولستَ تَــرى إلاّ كَمِيًّــا مجــدَّلاً ... يـــداه جميعـــاً تَثبتانِ مــن التُّربِ
وآخــر يهــوِي طائرَ القلبِ هارباً ... وكنتُ امرءاً في الهيْجِ مجتمعَ القلبِ

---

1 الروائم : جمع رائم ورائمة : عطوف على ولدها .
2 نهنهت : كفكفت .

أصولُ بذي الزرِّين أمشي عِرِضْنةً	إلى الموتِ والأقرانُ كالإبلِ الجُربِ[1]
أرى المــوتَ لا أنحاشُ عنـه تكرّما	ولو شئتُ لم أركَب على المركَب الصعبِ
ولكـــن أبـتْ نفسي وكانت أبيَّـةً	تَقاعَسُ أو ينصاعَ قـومٌ من الرعبِ

[ابنته تخشى فراقاً لا لقاء بعده]

قال أبو عبيدة : لمّا خرج مالكُ بنُ الريب مع سعيد بن عثمان تعلّقت ابنته بثوبه ، وبكت ، وقالت له : أخشى أن يطولَ سفرُكَ أو يحول الموتُ بيننا فلا نلتقي ، فبكى وأنشأ يقول : [من الخفيف]

ولقـد قُلْتُ لابنتي وهـي تبكـي	بدخيــلِ الهُمــوم قلبــاً كئيبا
وهي تُذري من الدّموع على الخدّيـ	ـن مــن لوعـة الفراقِ غُرُوبا
عَبَرات يكِدن يجرحْن مـا جُزْ	ن بــه أو يدعْــنَ فيــه نُدوبا
حـذرَ الحتفِ أن يصيب أباهــا	ويلاقــي في غير أهــلٍ شَعوبا[2]
اسكُتي قـد حززتِ بالدَّمعِ قلبي	طالمـا حــزَّ دمعُكــنَّ القلوبا
فعسى اللهُ أن يدافـــع عنِّــي	ريبَ مــا تحذريــن حتى أؤوبا
ليس شيءٌ يشاؤه ذُو المعـــالي	بعزيــزٍ عليـــه فادْعـي المُجيبا
ودَعــي أن تُقَطِّعـــي الآن قَلبي	أو تُرينــي في رحلتــي تَعذيبا
أنـــا في قبضـــةِ الإلـــه كُنْـ	ـتُ بعيداً أو كنتُ منـكِ قَريبا
كم رأينــا امــرءاً أتى مـن بعيدٍ	ومقيمــاً على الفـــراشِ أُصيبا
فدعينـــي مـــن انتحابِـكِ إنِّي	لا أُبــالي إذا اعتزمـتُ النَّحيبا
حسبيَ اللهُ ثــم قرّبــتْ لِلسَّـ	ـيرِ عــلاةً أنجِبْ بهــا مَركُوبا[3]

[خروجه من أجل ضرطة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمد الخُزاعيّ قال : حدَّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان سببُ خروج مالك بن الريب إلى خُراسان واكتتابه مع سعيد بن عثمان ، هَرباً من ضرطَةٍ ، فسألته كيف كان ذلك ؟ قال : مرَّ مالك بليلى الأخيليّة ، فجلس إليها يحادثُها طويلاً ، وأنشدَها . فأقبلت

---

1 الزرين : الحدين . عرضنة : أي أمشي بقوّة .

2 شعوب : علم على المنية .

3 علاة : ناقة مُشرفة .

عليه ، وأُعجبتْ به حتى طَمِع في وصلها ، ثم إذا هو بفتًى قد جاء إليها ، كأنّه نصلُ سَيف ، فجلس إليها ؛ فأعرضتْ عن مالك وتهاونَتْ به ، حتى كأنّه عندها عُصفور ، وأقبلت على صاحبها مليّاً من نَهارها ، فغاظهُ ذلكَ من فعلها ، وأقبل على الرجل ، فقال : مَن أنتَ ؟ فقال : توبةُ بن الحُمَيِّر ، فقال : هل لك في المصارعةَ ؟ قال : وما دعاكَ إلى ذلك وأنت ضيفُنا وجارُنا ؟ قال : لا بدَّ منه ، فظنَّ أنّ ذلك لخوفِه منه ، فزداد لَجاجاً ، فقام توبةُ فصارعه ، فلمّا سقط مالك إلى الأرض ضَرَطَ ضَرْطة هائلة ، فضحكت ليلى منه . واستحيا مالكُ ، فاكتتب بخُراسان وقال : لا أُقيم في بلد العرب أبداً ، وقد تحدّثتْ عنّي بهذا الحديثِ ، فلم يزل بخُراسان حتى مات ، فقبره هناك معروف[1] .

[يتذاكر مع أصحابه ماضيهم]

وقال المدائنيّ ، وحدَّثني أبو الهيثم : قال : اجتمع مالكُ بن الريب وأبو حَردبة وشِظاظ يوماً ، فقالوا : تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه في سَرِقتنا ، فقال أبو حَردبة : أعجب ما صنعت ، وأعجَبُ ما سرقت أني صحبتُ رُفقةً فيها رجل على رَحْل ، فأعجبني ، فقلت لصاحبي ، والله لأسرقنَّ رَحْلَه ، ثم لا رضيتُ أو آخذَ عليه جُعالة ، فرَمقْته ، حتى رأيتُه قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بخِطام جَمله ، فقدته ، وعَدَلْتُ به عن الطريق ، حتى إذا صيّرتُه في مكان لا يغاثُ فيه إن استغاث ، أنخت البعيرَ وصرعته ، فأوثقت يدَه ورجلَه ، وقدتُ الجمل ، فغيّبتُه ثم رجعت إلى الرُّفقة ، وقد فقدوا صاحبهم ، فهم يسترجعون ، فقلتُ : ما لكمُ ؟ فقالوا : صاحبٌ لنا فقدناه ، فقلتُ : أنا أعلم النّاسِ بأثره ، فجعلوا لي جُعالة ، فخرجت بهم أتبع الأثرَ ، حتى وقفوا عليه ، فقالوا : ما لك ؟ قال : لا أُدري ، نَعست ، فانتبهتُ لخمسين فارساً قد أخذوني ، فقاتلتهم ، فغلَبُوني .

قال أبو حَردبة ؛ فجعلت أضحَك من كذبه ، وأعطوني جُعالَتي ، وذهبوا بصاحبهم .

وأعجب ما سرقت أنّه مرَّ بي رجل معه ناقةٌ وجمل ، وهو على الناقة ، فقلت : لآخذنَّهما جميعاً ، فجعلت أعارضه وقد رأيتُه قد خَفق برأسه ، فدرت ، فأخذتُ الجملَ ، فحللتُه ، وسقته ، فغيبتُه في القَصيم ، وهو الموضع الذي كانوا يسرِقون فيه ، ثم انتبه ، فالتفت ، فلم يَرَ جملَه ، فنزل وعقَلَ راحلته ، ومضى في طلب الجمل . ودُرْت فحللت عِقال ناقته ، وسقتُها .

فقالوا لأبي حَردَبة : ويحك ! فحتَّام تكون هكذا ! قال : اسكتوا ، فكأنّكم بي وقد تبت ، واشتريتُ فرساً ، وخرجتُ مجاهداً ، فبينا أنا واقف إذ جاءَني سهمٌ كأنّه قطعة

---

1 يُروى هذا الخبر فيما سبق مع رجل آخر .

رِشاء ، فوقعَ في نحري ، فمتُّ شهيداً . قال : فكان كذلك : تابَ ، وقدِمِ البصرةَ ، فاشترى فرساً ، وغزا الرّوم ، فأصابه سهم في نحره فاستُشهد .

ثم قالوا لشِظاظ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذتَ في لصوصيّتك ، ورأيت فيها ، فقال : نعم كان فلانٌ (رجل من أهل البصرة) له بنتُ عمّ ذاتُ مال كثير ، وهو وليُّها ، وكانت له نِسوة ، فأبت أن تتزوَّجَه ، فحلف ألاّ يزوِّجَها من أحد ضراراً لها ، وكان يخطبُها رجل غنيّ من أهل البصرة ، فَحرِصَت عليه ، وأبى الآخر أن يزوِّجَها منه ، ثم إنَّ وليّ الأمر حجَّ ، حتى إذا كان بالدوّ[1] ، على مرحلة من البصرة حذاءها ، قريب منه جبل يقال له سَنام ، وهو منزل الرفاق إذا صدرتْ ، أو وردتْ ، مات الوليّ ، فدُفِن برابية ، وشُيِّد على قبره ، فتزوّجت الرجلَ الذي كان يخطبها . قال شِظاظ :

وخرجت رُفقة من البصرة معهم بَزّ ومتاع ، فتبصرتهم وما معهم وأتبعتُهم حتى نزلوا ، فلمّا ناموا بيَّتُّهم ، وأخذتُ من متاعهم . ثم إنّ القوم أخذُوني ، وضربوني ضرباً شديداً ، وجرَّدوني ، قال : وذلك في ليلة قَرَّة ، وسلبوني كلَّ قليل وكثير ، فتركوني عُرياناً ، وتماوتُّ لهم ، وارتحل القومُ ، فقلت : كيفَ أصنعُ ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيتُه ، فنزعتُ لوحَه ، ثم احتفرتُ فيه سَرَبا ، فدخلت فيه ، ثم سددتُ عليَ باللوح ، وقلت : لعلّي الآنَ أدفأ فأتبعَهم . قال : ومرَّ الرجل الذي تزوّج بالمرأة في الرُّفقة ، فمرَّ بالقبر الذي أنا فيه ، فوقف عليه ، وقال لرفيقه : والله لأنزلنَّ إلى قبر فلان ، حتى أنظرَ هل يحمي الآنَ بُضْعَ فلانة ؟ قال شِظاظ : فعرفت صوتَه فقلعتُ اللوحَ ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القَبر ، وقلت : بلى وربّ الكعبة لأحمينَّها ، فوقع والله على وَجهه مَغشيّاً عليه ، لا يتحرّك ولا يعقل . فسقط من يده خِطام الراحلة ، فأخذْت وعهد الله بخطامها فجلستُ عليها ، وعليها كلُّ أداة وثياب ونقد كان معه ، ثم وجّهتها قصدَ مطلع الشمس هارباً من النّاس ، فنجوتُ بها ، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدِّثُ الناس بالبصرة ، ويحلف لهم أنّ الميّت الذي كان منعَه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بسَلَبِه وكَفنه . فبقي يومه ، ثم هرب منه ، والناس يعجَبون منه فعاقلُهم يكذّبه ، والأحمقُ منهم يصدقه ، وأنا أعرف القصَّةَ ، فأضحَكُ منهم كالمتعجّب .

[مغامرة أخرى لشظاظ]

قالوا : فزدنا ، قال : فأنا أزيدكم أعجَبَ من هذا وأحمقَ من هذا ؛ إنّي لأمشي في الطريق أبتغي شيئاً أسْرِقه ، قال : فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، قال : وكان هناك شجرةٌ ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظِلٌّ غيرَها ، وإذا أنا برجل يسيرُ على حمار له ، فقلت له : أتسمعُ ؟

---

1 الدوّ : أرض ملساء بين مكّة والبصرة .

قال : نعم ، قلتُ : إنّ المقيل الذي تريد أن تقيله يُخسَفُ بالدوابّ فيه ، فاحذره ، فلم يلتفت إلى قولي . قال : ورمقتُه ، حتى إذا نام أقبلتُ على حماره ، فاستقتُه ، حتى إذا برزْت به ، قطعتُ طَرَف ذَنَبه وأُذنيه ، وأخذتُ الحمارَ ، فخبأتُه وأبصرتُه حين استيقظ من نومه ، فقام بطلب الحمارَ ، ويقفو أثرَه ، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طَرَف ذَنَبه وأُذنيه ، فقال : لعمري لقد حُذِّرتُ لو نفعني الحذر ، وأستمرّ هارباً خوف أن يُخسَف به ، فأخذتُ جميع ما بقيَ من رحله فحملتُه على الحمار ، واستمرّ فألحق بأهلي .

[الحجاج يصلب شظاظاً]

قال أبو الهيثم : ثم صلب الحجّاجُ رجلاً من الشُّراة بالبصرة ، وراح عشيّاً ، لينظر إليه ، فإذا برجل بإزائه مُقبِل بوجهه عليه ، فدنا منه ، فسمعه يقول للمصلوب : طال ما ركبتَ فأعقِبْ ، فقال الحجّاج : مَن هذا ؟ قالوا : هذا شِظاظٌ اللِّصّ قال : لا جرَمَ ! والله ليُعقِبَنَّك ، ثم وقف ، وأمر بالمصلوب ، فأنزِل وصَلَبَ شِظاظاً مكانَه .

[مات مالك حتف أنفه]

قال ابنُ الأعرابيّ : مَرِض مالكُ بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خُراسان في طريقه ؛ فلمّا أشرف على الموت تخلّف معه مُرّةُ الكاتب ورجل آخرُ من قومه من بني تميم وهما اللذان يقولُ فيهما : [من الطويل]

أيا صاحبيْ رَحْلي دنا الموتُ فانزلا　　برابية إنّي مقيمٌ لياليا

ومات في منزله ذلك ، فدفناه ، وقبرُه هناك معروف إلى الآن ، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثي بها نفسَه .

قال أبو عبيدة : الذي قاله ثلاثة عشر بيتاً ، والباقي منحول ، ولّدهُ الناس عليه .

صوت

[من الطويل]

فما بيضةٌ باتَ الظليمُ يَحفُّها　　ويرفعُ عنها جُؤجُؤًا مُتجافيا

بأحسنَ منها يوم قالتْ : أظاعنٌ　　مع الرَّكب أم ثاوٍ لدينا لياليا ؟[1]

وهبَّتْ شمالٌ آخرَ الليل قَرّةٌ　　ولا ثوب إلاّ بُرْدُها وردائيا[2]

1 أظاعن في الديوان : أراحل .

2 الشطر الأول في الديوان : وهبت لنا ريح الشّمال بقرة .

رما زال بُردى طيِّباً مـــن ثيابِها إلى الحولِ حتى أنهَجَ الثوبُ باليا[1]

الشعر لعبد بني الحَسحاس ، والغناء لابن سُريج في الأوّل والثاني من الأبيات ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق ، وفي الثالث والرابع لُمخارق خفيف ثقيل عمله على صنعة إسحاق في :

أماويَّ إن المـــال غادٍ ورائحُ

وكادَه بذلك ليقال إنّ لحنه أخذه منه ، وألقاه على عجوز عُمير ، فألقته على النّاس ، حتى بلغ الرشيدَ خبره ، ثم كشفه فعلِم حقيقته ؛ ومَن لا يعلم بنسبه إلى غيره ، وقد ذكر حَبْش أنّه لإبراهيم ، وذكر غيره أنّه لابن المكّيّ .

وقد شرحتُ هذا الخبر في أخبار إسحاق .

1 أنهج : خلق وبلي . الثوب في الديوان : البرد .

[492] ـ أخبار عبد بني الحسحاس

[نسبه]

اسمه سُحَيم ، وكان عبداً أسودَ نوبيّاً أعجميّاً مطبوعاً في الشعر ، فاشتراه بنو الحَسحاس ، وهم بطن من بني أسد ، قال أبو عبيدة : الحَسحاسُ بن نُفاثة بن سَعيد بن عمرو بن مالك بن ثَعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

قال أبو عبيدة ، فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ عن أبي حاتم عنه : كان عبدُ بني الحَسحاس عبداً أسودَ أعجميّاً ، فكان إذا أنشد الشعر ، استحسنَه أم استحسنَه غيرُه منه ، يقول : أهشَنْتُ واللهِ ، يريد أحسنتُ والله ، وأدرك النبيّ ﷺ ، ويقال : إنّه تمثّل بكلمات من شعره غير موزونة .

[يستشهد الرسول ببيت له]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدَّثنا أحمد بن منصور قال حدَّثنا الحسنُ بن موسى قال حدَّثنا حمّاد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن الحسن أنّ النبيّ ﷺ تمثَّل :

كفى بالإسلام والشيبِ ناهيا

فقال أبو بكر : يا رسولَ الله : [من الطويل]

كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

فجعلَ لا يطيقُه ، فقال أبو بكر : أشهد أنّك رسولُ الله ﴿وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له﴾ .

قال محمد بن خلف وحدَّثني أحمدُ بن شداد عن أبي سلمة التَّبوذكي عن حمّاد بن سلمة ، عن رجل ، عن الحسن مثله ، وروي عن أبي بكر الهذليّ أنّ اسم عبد بني الحسحاس حَيَّة .

[كان أسود الوجه]

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : كان عبدُ بني الحسحاس حُلوَ الشعر رقيقَ الحواشي ، وفي سواده يقول : [من الطويل]

وما ضَرَّ أثوابي سوادِي وإنَّني ... لكالمسك لا يسلو عن المسكِ ذائقُهْ
كُسيتُ قَميصاً ذا سواد وتحتَه ... قميصٌ من القُوهيّ بيض بنائقُهْ[1]

ويروى : وتحته قميص من الإحسان .

---

1 القوهيّ : منسوب إلى قوهستان ، ويطلق القوهي على الثوب الأبيض . البنائق : جمع بنيقة أي ما يحيط بالعنق من الثوب .

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثمة قال : أنشدني مُصعَب بن عبد الله الزُّبيريّ لعبد بني الحسحاس ، وكان يستحسنُ هذا الشعرَ ويعجب به ، قال : [من البسيط]

أشعارُ عبد بني الحسحاس قُمْنَ له عند الفخارِ مَقام الأصلِ والورِقِ
إن كنتُ عبداً فنفسي حرّةٌ كَرَماً أو أسودَ اللونِ إنّي أبيضُ الخُلُقِ

وقال الأثرم : حدَّثني السَّرِيُّ بنُ صالح بن أبي مِسهر قال : أخبرني بعضُ الأعراب ، أن أوّل ما تكلّم به عبدُ بني الحسحاس من الشعر أنّهم أرسلوه رائداً فجاء وهو يقول : [من الرجز]

أنعتُ غيثاً حسناً نباتُه كالحَبَشيّ حولَه بناتُه

فقالوا : شاعرٌ والله ، ثم انطلق[1] بالشعر بعد ذلك .

[بيت له يستحسنه عمر]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : أنشد سُحيمٌ عمرَ بنَ الخطّاب قوله : [من الطويل]

عُميرة ودّع إن تجهَّزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال عمر : لو قلتَ شعرَك كلّه مثلَ هذا لأعطيتُك عليه .

[لا حاجة لعثمان به]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : حدّثني خالي يوسف بن الماجِشون قال : كان عبد الله بن أبي رَبيعة عاملاً لعثمان بن عفّان على الجند ، فكتب إلى عثمانَ : إنّي قد اشتريتُ غلاماً حَبشيّاً يقول الشعرَ ، فكتب إليه عثمانُ : «لا حاجة لي إليه ، فاردده ، فإنّما حظُّ أهل العبد الشاعرِ منه ، إن شَبِعَ أن يتشبَّب[2] بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوَهم» ، فردَّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس .

وروى إبراهيم بن المنذرِ الحزاميّ هذا الخبر عن ابن الماجِشون قال : كان عبدُ الله بن أبي ربيعة ، مثل ما رواه الزّبير ، إلاّ أنّه قال فيه : إن جاع هَرَّ ، وإن شَبع فَرَّ .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال : حدّثني أبو بكر العامريّ عن الأثرم عن أبي عبيدة . وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمَر قولَه : [من الطويل]

---

1 ل : نطق .

2 ل : ينسب .

تُوسِّدُني كفّــاً وتَثني بمِعْصَمٍ عليَّ وتحوي رِجلَها من ورائيا

فقال عمر : ويلكَ إنَّك مقتول .

أُخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ قال : حدَّثني أحمد بن القاسم قال : حدَّثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ ، عن ابن أبي عائشة قال : أنشد عبد بني الحسحاس عمرَ قوله : [من الطويل]

كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهياً

فقال له عمر : لو قدَّمتَ الإسلام على الشيب لأُجزتك .

أُخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وحبيبُ بنُ نصر قالا : حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : حدَّثنا معاذُ بن معاذ وأبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيف ، أنّ عبد بني الحسحاس أنشد عمرَ هذا وذكر الحديث مثل الذي قبله .

[كان قبيح الوجه]

أُخبرني محمد بن خلف قال : حدَّثنا إسحاق بن محمد قال : حدَّثنا عبد الرحمن ، ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : كان عبد بني الحسحاس قَبِيحَ الوجه ، وفي قبحه يقول : [من الطويل]

أُتيتُ نساء الحارثيِّــين غُدوةً بوجــهٍ بَـراه اللهُ غيرَ جَميلِ

فشبَّهْنَني كلبــاً ولستُ بِفوقِه ولا دونــه إن كان غيرَ قليلِ

[كان يشبب بنساء مواليه]

أُخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلاَّم ، قال : أُتي عثمانُ بن عفّان بعبد بني الحسحاس ليشتريَه فأعجب به فقالوا : إنّه شاعر وأرادوا أن يرغّبوه فيه ، فقال : لا حاجة لي به ؛ إذ الشاعرُ لا حريم له ، إن شبع تشبَّب[1] بنساء أهله ، وإن جاع هجاهم ، فاشتراه غيرُه ، فلمّا رحل قال في طريقه : [من الطويل]

أشوقاً ولَمّــاً تمضِ لي غيرُ ليلة فكيف إذا سار المطيُّ بنا شَهْرا ؟

وما كنت أَخشى مالكاً أَن يبيعَني بشيء ولو أَمست أَناملُــه صِفرا

أُخوكم ومولى مالِكم وحليفُكم ومن قد ثَوى فيكم وعاشرَكُم دَهْرا

فلمّا بلغهم شعرُه هذا رَثوا له ، فاستردّوه .

---

1 ل : نسب .

فكان يشببُ بنسائهم ، حتى قال : [من الكامل]

ولقد تحدَّرَ من كريمةِ بعضِكم عرَقٌ على متن الفِراش وطِيبُ[1]

قال : فقتلوه .

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال : حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال : حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجِشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها : فلمّا استردّوه نَشِب يقولُ الشعر في نسائهم ، فأخبرني مَن رآه واضعاً إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبِّب بأخت مولاه وكانت عَليلَة ، ويقول : [من المنسرح]

مـاذا يريـدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جَمـال لوجهـه تَبَـعُ
ما يَرْتجي خاب من محاسِنها أمـا لَـهُ في القِبـاح مُتَّسَعُ
غيَّر مـن لونهـا وصفرهـا فارتـدَّ فيـه الجمال والبِدَعُ
لو كان يبغي الفداءَ قلتُ له : ها أنـا دونَ الحبيبِ يا وجعُ

أخبرني محمد بنِ خَلف قال : حدَّثنا أبو بكر العامريّ ، عن عليّ بن المغيرة الأثْرَم قال : قال أبو عبيدة : الذي تناهى إلينا من حديث سُحيم عبدِ بني الحسحاس أنّه جالسَ نِسوةً من بني صُبَيْر بن يربوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب وشِدّة المغالبة على إبداء المحاسن ، فقال سُحَيم : [من الطويل]

كأن الصُّبيريّاتِ بـومَ لقينَنا ظباءٌ حنَت أعناقهنَّ في المكانِسِ
فكم قد شقَقنا من رداء مُنَيَّر ومن برقع عن ناظرٍ غيرِ ناعسِ
إذا شُقَّ بردٌ شُقَّ بالبرد بُرقُعٌ على ذاك حتى كلُّنا غيرُ لابسِ[2]

فيقال : إنّه لما قال هذا الشعرَ اتّهمه مولاه ، فجلس له في مكان كان إذا رَعى نام فيه ، فلمّا اضطجع تنفَّس الصُّعداء ، ثم قال : [من السريع]

يا ذِكرةً ما لكَ في الحاضرِ تذكُرُها وأنتَ في الصادرِ
من كلّ بيضاءَ لهـا كعثبٌ مثلُ سنام البكـرة المائرِ

قال : فظهر سيّدُه من الموضع الذي كان فيه كامناً ، وقال له : ما لَكَ ؟ فلجلَج في منطقه ، فاستراب به ، فأجمعَ على قتله ، فلمّا وردَ الماءَ خرجت إليه صاحبتُه ، فحادثتْه ، وأخبرتْه بما

1 الشطر الأول في الديوان : فلقد تحدّر من جبين فتاتكم . متن في الديوان : على ظهر .

2 على ذاك في الديوان : دواليك .

يرادُ به ، فقام ينفض ثوبَه ويُعفي أثره ، ويلقُط رضّاً[1] من مَسَكِها[2] كان كَسرَها في لِعبِه معها ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

أتُكتَم حييتُم على النـأي تُكتَما ... تحيـةَ مَـن أمسى بحبِّـكِ مُغرَما

ومـا تُكتَمـين إن أتيتِ دَنِيَّـةً ... ولا إن ركبنا يا ابنةَ القوم مَحْرَما

ومثلِكِ قد أبرزتُ من خِدرِ أمّها ... إلى مجلسٍ تجـرُّ بُـرداً مسَّهما

الغناء للغريض ثقيل أوّل بالوسطى وفيه ليحيى المكّيّ ثاني ثقيل ، قال : [من الطويل]

وماشيـةٍ مَشْيَ القطـاة اتّبعتُها ... من السترِ تخشى أهلَها أن تَكلَّما

فقالـتْ : صهٍ يا ويحَ غيرك إنّني ... سمعت حديثاً بينهم يَقطُـر الدَّما

فنفضتُ ثوبيها ونَظّـرت حولهـا ... ولم أخشَ هـذا الليلَ أن يتصرَّما

أُعفّـي بآثـار الثيـابِ مبيتَها ... وأُلقط رضّـاً من وقوف تحطَّما[3]

قال : وغدوا به ليقتلوه ، فلمّا رأته امرأة كانت بينها وبينه مودَّةٌ ثم فسدت ، ضحكت به شماتةً فنظر إليها وقال : [من الطويل]

فإن تضحكي منّي فيا رُبَّ ليلةٍ ... تركتُكِ فيهـا كالقَباء المفرَّجِ

فلمّا قدّم ليقتل قال : [من الكامل]

شُدُّوا وثاقَ العبـد لا يُفلِتْكُم ... إن الحياةَ مـن المماتِ قريبُ

فلقد تحدَّر مـن جبين فَتاتِكم ... عَرَقٌ على مَتْنِ الفراش وَطِيبُ

[يحرق في أخدود]

قال : وقُدِّم فقُتِل . وذكر ابن دَأْب أنّه حُفِر له أُخدود ، وأُلقيَ فيه ، وأُلقيَ عليه الحطَبُ فأُحرِق .

[أصابهن كلهن إلاّ واحدة]

أخبرني محمدُ بنُ مَزْيد بن أبي الأزهرَ قال : حدَّثنا حمّادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال : كان عبدُ بني الحسحاس يسمَّى حيَّة ، وكان لسيِّده بنتٌ

1 رضا : كسراً .

2 مسكها : من سوارها أو خلخالها .

3 وقوف : جمع وقف أي ، سوار من ذبل أو عاج .

بِكر ، فأعجبها ، فأمرته أن يتمارضَ ، ففعل وعصب رأسه . فقالت للشيخ : أسرِحْ أيّها الرجُل إبلكَ ، ولا تَكِلْها إلى العبد ، فكان فيها أيّاماً ، ثم قال له : كيف تجدُك ؟ قال : صالحاً ، قال : فَرُحْ في إبلك العشيّة ، فراح فيها ، فقالت الجاريةُ لأبيها : ما أحسِبُك إلاّ قد ضيَّعتَ إبلك العشيّةَ ، أن وَكلْتها إلى حيّة ، فخرج في آثار إبله فوجده مستلقياً في ظلّ شجرةٍ ، وهو يقول :

يا رُبَّ شجوٍ لك في الحاضر ... تذْكُرهـا وأَنـتَ في الصادرِ
مـن كلِّ حمـراءَ جُماليّـةٍ ... طيّبـةِ القـادم والآخـرِ[1]

فقال الشيخ : إنّ لهذا[2] لشأناً ، وانصرف ، ولم يُرِه وجهَه . وأتى أهل الماء ، وقال لهم : تعَلَّموا والله أنّ هذا العبدَ قد فضحنا ، وأخبرهم الخبر ، وأنشدهم ما قال ، فقالوا : اقتله ، فنحنُ طوعُك ، فلمّا جاءَهم وثبوا عليه ، فقالوا له : قلتَ وفعلتَ ، فقال : دعوني إلى غد حتى أُعْذِرَها[3] عند أهل الماء ، فقالوا : إنّ هذا صواب فتركوه ، فلمّا كان الغد اجتمعوا فنادى : يا أهل الماء ، ما فيكم امرأةٌ إلاّ قد أصبتُها إلاّ فلانةَ فإنّي على موعد منها ؛ فأخذوه فقتلوه .

وممّا يغنّى فيه من قصيدة سحيم عبد بني الحسحاس ، وقال : إنّ من النّاس مَن يرويها لغيره : [من الطويل]

تجمَّعْنَ من شتّى ثلاثاً وأربعاً ... وواحـدةً حتـى كَمَلْنَ ثمانيا
وأَقبلن من أقصى الخيام يَعُدنَني ... بقيَّة مـا أَبقـينَ نَصلاً يمانيا
يعُدْن مريضاً هنَّ قد هِجن داءَهُ ... أَلا إنّمـا بعضُ العوائـدِ دائيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأوّل ، والذي ابتداؤه «تجمعنَ من شتى ثلاث» لبنان .

والذي أوّله : «وأَقبلن من أَقصى الخيام» . ذكر الهشاميّ أنّه لإسحاق وليس يشبه صَنعتَه ولا أُدري لَمن هو ؟

[مخارق يكيد لإسحاق]

أخبرني جحظة عن ابن حمدون أنّ مخارقاً عملَ لحْناً في هذا الشعر : [من الطويل]

وَهبَّتْ شمالاً آخرَ الليل قَـرَّةً ... ولا ثـوبَ إلاّ بردُها ورِدائيا

1 جمالية : جميلة .

2 لهذا في ل : لهذين .

3 أعذرها : أثبت لها عذراً .

على عمل صنعة إسحاق في :

أماويَّ إن المـال غاد ورائح

ليكيد به إسحاق ، وألقاه على عجوز عُمَير الباذ عيسى ، وقال لها : إذا سئلتِ عنه فقولي : أخذتُه من عجوزٍ مدنية ، ودار الصوت حتى غنّيَ به الخليفة ، فقال لإسحاق : ويلك أخذتَ لحنَ هذا الصوتِ تُغنّيه كلَّه ، فحلف له بكلّ يمين يرضاه أنّه لم يفعَلْ وتضمَّن له كشفَ القصّة ، ثم أقبل على مَنْ غنّاهم الصوتَ فقال : عمّن أخذتَه ؟ فقال : عن فلان ، فلقيه ، فسأله عمّن أخذه فَعَرفه ، ولم يزل يكشف عن القصّة ، حتى انتهت من كلّ وجه إلى عَجوز عمير ، فسئلت عن ذلك ، فقالت : أخذتُه عن عجوز مدنية ، فدخل إسحاق على عُمَير ، فحلف له بالطلاق والعِتاق وكلّ مُحرِج من الأَيْمان ألاّ يكلمَه أبداً ولا يدخل داره ولا يترك كيدَه وعداوتَه أو يصْدقَه عن حال هذا الصوت وقصّتِه ، فصدَقه عُمير عن القصّة ، فحدَّث بها الواثق بحضرة عمير ومُخارق ، فلم يمكن مُخارقاً دفعُ ذلك ، وخجل خجلاً بان فيه ، وبطل ما أراده بإسحاق .

صوت

[من الطويل]

ثلاثــةُ أبيــات فبيتٌ أُحبُّــه وبيتان ليسا من هوايَ ولا شَكلي

ألا أيّهــا البيتُ الذي حيلَ دونَه بنا أنتَ من بيتٍ وأهلُكَ من أهلِ

الشعر لجميل ، والغناء لإسحاق ماخوريّ بالبِنصر من جامع أغانيه ، وفيه رَمَل مجهول ذكره حَبَش لعُلّويه ولم أجِد طريقته .

[493] ـ متمم العبدي والجويرية

أخبرني الحسين بن يحيى المراديّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حدَّثني متمم العبديّ قال : خرجت من مكّة زائراً لقبر النبيّ ﷺ ، فإنّي لَبِسُوق الجُحْفَةِ[1] إذا جُوَيريّة تسوقُ بعيراً ، وتترنّم بصوت مليح طيِّب حُلْو في هذا الشعر : [من الطويل]

ألا أيّها البيتُ الذي حِيل دونــه بنا أنت من بيتٍ وأَهْلُكَ من أهلِ
بنــا أنت من بيت وحولك لَذَّةٌ وظِلُّكَ لو يُسْطاعُ بالبارد السهلِ
ثلاثــةُ أبيــات فبيتٌ أُحِبُّــه وبيتان ليسا من هوايَ ولا شكلي

فقلت : لَمن هذا الشعر يا جُويرية ؟ قالت : أما ترى تلك الكُوَّة الموقّاةَ بالكِلّة الحمراء ؟ قلت : أراها ، قالت : من هناكَ نهض هذا الشعرُ ، قلت : أو قائلةُ في الأحيـاء ؟ قالت : هيهات ، لو أنَّ لميّت أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك ، فأعجبني فصاحةُ لسانها ورقّةُ ألفاظِها ، فقلت لها : أَلَكِ أبوان ؟ فقالت : فقدت خيرَهما وأجلَّهما ، ولي أُمٌّ ، قلت : وأين أُمُّـكِ ؟ قالت : منك بمرأى ومسمع ، قال : فإذا امـرأة تبيعُ الخَـرَزَ على ظهـر الطريق بالجُحْفَة ، فأتيتُهـا ، فقلتُ : يا أُمَّتاه ، استمعي منِّي ، فقالتْ لها : يا أُمَّهْ ، فاستَمعي من عمِّي ما يلقيه إليكِ ، فقالتْ : حيّاكِ الله ، هيه ، هل من جائية خبر[2] ؟ قلتُ : أهذه ابنتُك ؟ قالت : كذا كان يقول أبوها ، قلتُ : أفتزوِّجينها ؟ قالت : أَلِعلَّةٍ رغبتَ فيها ؟ فما هي والله مَنْ عندها جمالٌ ، ولا لَها مـال ، قلتُ : لحلاوة لسانِها وحُسن عقلِها ، فقالت : أَيُّنا أَملَكُ بها ؟ أنا أمْ هي بنفسها ؟ قلت : بل هي بنفسها ، قالت : فإيّاها فخاطِبْ ، فقلتُ : لعلّها أن تستحيَ من الجواب في مثل هذا ، فقالت : ما ذاكَ عندها ، أنا أخبر بها ، فقلتُ : يا جارية ، أما تستمعين ما تقول أُمُّكِ ؟ قالت : قد سمعت ، قلت : فما عندكِ ؟ قالت : أَوَليس حسبك أنْ قلت : إنّي أَستحيي من الجواب في مثل هذا ، فإن كنتُ أستحيي في شيء فلِمَ أفعلُه ؟ أُتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطكَ ، لا واللهِ لا يشُدُّ عليّ رجل حِواءه وأنا أجدُ مَذْقَةَ[3] لبن أو بقلـةً الـين

---

1 الجحفة : قرية كانت على طريق المدينة من مكّة على أربع مراحل وهي ميقات أهل مصر والشام .

2 مثل : ويروى : هل من مغربة خبر . ورد في مجمع الأمثال 404/2 ، والمستقصى 390/2 ، والأمثال لمجهول 119 .

3 مذقة : لبن مخلوط بالماء .

بها مِعاي ، قال : فورد والله عليَّ أعجبُ كلام على وجه الأرض ، فقلتُ : أو أتزوّجكِ والإذنُ فيه إليكِ ، وأعطي اللهَ عهداً أنّي لا أقربكِ أبداً إلاّ عن إرادتِك ؟ قالت : إذا والله لا تكون لي في هذا إرادةٌ أبداً ، ولا بعد الأبد إن كان بَعْده بَعْد ، فقلت : فقد رضيتُ بذلك ، فتزوّجتها ، وحملتها وأُمَّها معي إلى العراق ، وأقامت معي نحواً من ثلاثينَ سنة ما ضممتُ عليها حِواي قطُّ ، وكانت قد عَلِقتْ من أغاني المدينة أصواتاً كثيرة ، فكانت ربّما ترنَّمت بها ، فأشتهيها ، فقلت : دَعيني من أغانيكِ هذه فإنّها تبعثني على الدُّنُوِّ منك . قال : فما سمعتها رافِعةً صوتها بغناء بعد ذلك ، حتى فارقَتِ الدُّنيا ، وإن أُمّها عندي حتى الساعة ، فقلت : ما أدري متى دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديث هذه .

صوت

[من الخفيف]

أيّها النــاسُ إن رأيـي يُرينـي ـ وهــو الرأيُ ـ طوفَةً في البلادِ

بالعــوالي وبالقنابــل تَــرْدي بالبطاريــق مِشيَــةَ العُــوّادِ[1]

وبجيش عرمـــرَمٍ عربـــيٍّ جَحْفل يستجيبُ صوتَ المنادي

مــن تميـم وخندِفٍ وإيــاد والبهاليــلِ حِمْيـرٍ ومُــرادِ

فإذا سرتُ سارت النّـاسُ خَلفي ومَعــي كالجبــالِ في كلِّ وادِ

سَقِّني ثــم سقِّ حميرَ قومـــي كأسَ خمـرٍ أُولي النُّهى والعِمادِ

الشعر لحسَّان بن تُبَّع ، والغناء لأحمد النصيبي خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه .

---

1 تردي : تُسْرع . البطاريق : جمع بطريق : قائد الروم ، تحت إمرته عشرة آلاف رجل .

[494] ـ أخبار حسان بن تبع

[يطوف الأرض كلَّها]

أخبرني بخبر حسَّان الذي من أجله قال هذا الشعر عليّ بن سليمان الأخفش عن السكريّ ، عن ابن حبيب ، عن ابن الأعرابيّ . وعن أبي عبيدة وأبي عمرو ، وابن الكلبيّ وغيرهم ، قال : كان حسَّانُ بن تُبَّع أحوَل أعسَر[1] ، بعيدَ الهمّة شديدَ البطش ، فدخل إليه يوماً وجوهُ قومه ، وهم الأقيالُ مِنْ حِمير ، فلمّا أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم : [من الخفيف]

أيّها النـاسُ إن رأيي يُريني ... وهْـوَ الرأي طوفةً في البلادِ

بالعـوالي وبالقنابـل تَـرْدي ... بالبطاريـقِ مِشيـةَ العُـوّادِ

وذكر الأبيات التي مضت آنفاً ، ثم قال لهم : استعدّوا لذلك ، فلم يراجعه أحد لهيبته ، فلمّا كان بعد ثلاثة خرج ، وتبعه الناسُ ، حتى وطىءَ أرض العَجم ، وقال : لأبلغنَّ من البلاد حيث لم يبلُغ أحدٌ من التبابعة ، فجال بهم في أرض خُراسان ، ثم مضى إلى المغرِب ، حتى بلغ رُومية[2] ، وخلف عليها ابنَ عمّ له ، وأقبل إلى أرض العراق ، حتى إذا صار على شاطىء الفُراتِ ، قالت وجوهُ حِمير : مالنا نُفني أعمارَنا مع هذا ! نطوفُ في الأرضِ كلِّها ، ونفرّق بيننا وبين بلدنا وأولادِنا وعيالنا وأموالنا ! فلا ندري من نُخْلفُ عليهم بعدَنا !

فكلّموا أخاه عَمْراً ، وقالوا له : كلِّم أخاكَ في الرجوع إلى بلده ، ومُلكه . قال : هو أعسرُ من ذلك وأنكر ، فقالوا : فاقتلْه ، ونملّكُك علينا ، فأنت أحقّ بالملك من أخيك ، وأنت أعقل وأحسنُ نظراً لقومك ، فقال : أخاف ألاّ تفعلوا ، وأكونُ قد قتلتُ أخي ، وخَرج الملك عن يدي ، فواثَقوه ، حتى ثَلِج[3] إلى قولهم ، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلهم إلاّ ذا رُعيْن ، فإنّه خالفهم ، وقال : ليس هذا برأي ، يذهب المُلْك من حِمير . فشجَّعه الباقون على قتل أخيه ، فقال ذو رعين : إن قتلتَه باد ملكُك .

فلمّا رأى ذو رعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومةٍ ، فقال : يا عمرو : إنّي مستودِعكَ هذا الكتاب ، فضعه عندك في مكان حَريز ، وكتب فيه : [من الوافر]

---

1 أعسر : يعمل بيده اليسرى .

2 رومية : مدينة بالمدائن بنيت وسميت بأحد الملوك .

3 ثلج إلى قولهم : استراح .

أَلا مَــنْ يشتري سهراً بنومٍ سعيد مَــنْ يبيتُ قَريـرَ عَيْنِ
فإن تكُ حِميرٌ غَدَرَتْ وخانتْ فمعذرةُ الإلــهِ لــذي رُعَيْنِ

[قتله أخوه فامتنع منه النوم]

ثم إنّ عَمْراً أتى حسَّانَ أخاه وهو نائم على فراشِهِ ، فقتله ، واستولى على مُلكه . فلم يبارَكْ فيه ، وسلَّط الله عليه السهر ، وامتنع منه النومُ ، فسأل الأطباء والكهّان والعُيّاف ، فقال له كاهن منهم : إنّه ما قتل أخاه رجل قطُّ إلاّ مُنِع نومَه ، فقال عمرو : هؤلاء رؤساء حِمير حملوني على قتله ليرجعوا إلى بلادهم ، ولم ينظروا إليَّ ولا لأخي .

فجعل يقتل مَن أَشار عليه منهم بقتله ، فقتلهم رجلاً رجلاً ، حتى خَلَص إلى ذي رُعين وأيقنَ بالشرّ ، فقال له ذو رعين : ألم تعلم أنّي أعلمتك ما في قتله ، ونهيتك وبيّنت هذا ؟ قال : وفيمَ هو ؟ قال : في الكتاب الذي استودعتُك .

فدَعا بالكتاب ، فلم يجدْه ، فقال ذو رعين : ذهـب دمـي على أخْذِي بالحزم ، فصرت كمَن أشار بالخطأ ، ثم سأل الملك أن يُنعم في طلبه ، ففعل ، فأُتِـيَ به فقرأه ، فإذا فيه البيتان ، فلمّا قرأهما قال : لقد أخذتَ بالحزم ، قال : إنّي خشيت ما رأيتك صنعتَ بأصحابي .

[ذو شناتر وذو نواس]

قال : وتشتّت أَمرُ حِمير حِينَ قُتِل أشرافُها ، واختلفت عليه ، حتى وثب على عمرو لَخنيعةُ يَنوف ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، فقتله ، واستولى على ملكه ، وكان يقال له ذو شَناتر[1] الحميريّ ، وكان فاسقاً يعمـل عمـل قـوم لوط ، وكان يبعثُ إلى أولاد الملوك فيلوط بهم ، وكانت حِمير إذا ليطَ بالغلام لم تملّكه ، ولم ترتفع به ، وَكانت له مَشرَبَة[2] ، يكون فيها يشرف على حرسه ، فإذا أُتِيَ بالغلام أخرج رأسه إليهم وفي فيه السواكُ ، فيقْطعون مشافر ناقة المنكوح وذنبها ، فإذا خـرجَ صيح بـه : أرطْبٌ أَم يباس[3] ؟ فمكث بذلك زماناً .

حتى نشأ زُرعةُ ذو نواس ، وكانت له ذُؤابة ، وبها سمِّي ذا نُواس ، وهو الذي تهوَّد ، وتسمى يوسف ، وهو صاحب الأخدود بنَجران ، وَكانوا نصارى ، فحرقهم ، وحرقَ الإنجيلَ ، وهدَّم الكنائس ، ومن أجله غزت الحبشةُ اليمن ، لأنـّهم نَصارى ، فلمّا غلبوا على اليمن اعترضَ البحرَ ، واقتحَمه على فرس فغَرِق .

---

1 شناتر : أصابع بلغة حمير .

2 مشربة : عزفة مرتفعة .

3 يباس : يابس أو يبيس .

فلمّا نشأ ذو نواس قيل له : كأنّك وَقد فُعِل بكَ كذا وكذا ، فأخذ سِكّيناً لطيفاً خفيفاً وسمَّه ، وجعل له غلافاً ، فلمّا دَعا به لخنيعة جعله بين أخمصه ونعله ، وأتاه على ناقة له يقال لها : سرابٌ ، فأناخها ، وصَعِد إليه ، فلمّا قام يجامعه كما كان يفعلُ انحنى زُرعة ، فأخذ السكين فوَجأ بها بطنَه ، فقتله ، واحتزّ رأسه ، فجعل السواك في فيه ، وأطلعه من الكُوّة ، فرفع الحرسُ رؤوسهم ، فرأوه ، ونزل زُرعةُ ، فصاحوا : زُرعةُ يا ذا نواس ، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس استُ ذي نُواس ، رَطب أم يباس ؟ وجاءَ إلى ناقته ، فركبَها ، فلمّا رأى الحرس اطّلاع الرأس صعدوا إليه ، فإذا هو قد قتل . فأتوا زُرعة ، فقالوا : ما ينبغي أن يملِكنا غيرُك بعد أن أرحْتنا من هذا الفاسق ، واجتمعتْ حميرٌ إليه ، ثم كان مِنْ قصَّته ما ذكرناه آنفاً .

صوت

[من البسيط]

يا ربــةَ البيتِ قومي غيرَ صاغرةٍ ضُمِّي إليكِ رحالَ القوم والقُرُبا[1]

في ليلــة مِنْ جُمادى ذاتِ أنديةٍ لا يُبصر الكلبُ من ظلمائها الطُّنُبا[2]

لا ينبحُ الكلبُ فيها غَير واحدةٍ حتى يَلُــفَّ على خيشومه الذَّنبا

الشعر لمُرَّة بنَ محكان السَّعديّ ، والغناء لابن سُريج ، رَمَل بالوسطى ، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو ، وذكر حَبَش أنّ فيه لمعبد ثاني ثقيل بالوُسطى ، والله أعلم .

1 القُرُب : جمع قراب وهو غمد السيف .

2 الطنب : الحبل الطويل يشد به السّرادق وجمعه أطناب .

[495] ـ أخبار مرّة بن محكان

[نسبه]

هو مُرَّة بن مَحكان ولم يقع إلينا باقي نسبه ، أَحدُ بني سعد بن زيد مناة بن تَميم . شاعر مُقِلّ إسلاميّ من شُعراء الدولة الأمويّة ، وكان في عصر جرير والفرزدق ، فأَخملا ذكره ، لنباهتهما في الشعر .

[ينحر مائة بعير]

وكان مُـرَّة شريفاً جواداً وهو أَحد من حُبِس في المناحَرةِ والإطعام . أَخبرني الحسن بن عليّ قـال : حدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز ، عن المدائنيّ ، قـال : كان مُرَّة بن مَحكان سخيّاً ، وكان أبو البكراء يوائمهُ في الشرف ، وهما جميعاً من بني الرُّبيع ، فأنهب مُرَّةُ بنُ محكان مالَهُ الناسَ ، فحبسَه عبيد الله بن زياد ، فقال في ذلك الأُبيرِد الرّياحيّ : [من الطويل]

حبستَ كريمـاً أَن يجـودَ بماله ... سعـى في ثـأْي من قومـهِ متفاقمِ
كأنَّ دماءَ القـوم إذ عَلقـوا بـه ... على مكفَهِـرٍّ مـن ثَنايـا المخارمِ
فإن أنتَ عاقبت ابن مَحكان في النَّدى ... فعاقـب هـداك اللهُ أعظُـمَ حاتمِ

قال : فأَطلقه عُبيد الله بن زياد ، فذبحَ أبو البكراءَ مائة شاة ، فنَحَرَ مُرَّة بن محكان مائة بعير ، فقال بعضُ شعراء بني تميم يمدح مُرّة : [من الوافر]

شرى مائـةً فأنهبها جواداً ... وأَنتَ تناهب الحدَف القِهادا

الحدف : صغار الغنم . والقهاد : البيض .

أَخبرني أحمدُ بنُ محمد الأسديّ أبو الحسن ، قال : حدَّثنا الرياشيّ قال : سئل أَبو عبيدة عن معنى قول مُرّة بن مَحكان :

ضمِّي إليك رحـالَ القوم والقُرُبا

ما الفائدة في هذا ؟ فقال : كان الضيفُ إذا نزل بالعرب في الجاهليّة ضموا إليهم رَحلَه ، وبقـى سِلاحُه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات ، فقال مُرّة بن محكان يخاطب امرأته : ضمِّي إليكِ رحال هؤلاء الضَّيفان وسلاحَهم ، فإنّهم عندي في عزّ وأَمْن من الغارات والبَيات ، فليسوا ممّن يحتاجُ أن يبيتَ لابساً سلاحه .

[مصعب بن الزبير يقتله]

أَخبرني محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدَّثنا أَبو حاتـم ، عـن أَبي عبيدة ، عن يونس ، قال : كان الحارث بن أَبي ربيعة على البصرة أيّام ابن الزُّبير ، فخاصم إليه رجلٌ

من بني تميم ، يقال له مُرّة بن مَحكان ، رجلاً ، فلمّا أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مُرّة بنُ مَحكان يقول : [من الطويل]

أحـارِ تثبّـتْ في القَضاء فإنّـه ... إذا ما إمامٌ جار في الحكم أقصَدا[1]

وإنّكَ موقوف على الحكم فاحتفظْ ... ومهما تصبْه اليومَ تُدرِكْ به غدا

فإنّيَ مِمَّا أُدرِكُ الأمـرَ بالأنـى ... وأُقطـع في رأس الأميـر المُهنَّدا[2]

فلمّا وُلّيَ مُصعبُ بنُ الزّبير دعاه ، فأنشده الأبياتَ ، فقال : أما والله لأقطعنّ السيف في رأسك قبل أن تقطعَه في رأسي ، وأمر به فحُبِس ، ثم دسَّ إليه من قتله .

أخبرني الحسين بن يحيى ، عن حمّاد عن أبيه ، عن ابن جامع ، عن يونس قال : جاءَ رجل من قريش إلى الغَريض فقال له : بأبي أنتَ وأمي إنّي جئتُك قاصداً الطائف أسألك عن صوت تُغنّيني إيّاه ، قال : وما هو ؟ قال : لحنك في هذا الشعر : [من الطويل]

تشرَّبَ لـونَ الرازقـيّ بياضُه ... أو الزعفرانَ خالط المسكَ رادعُهْ

فقال : لا سبيل إلى ذلك ، هذا الصوتُ قد نهتني الجنُّ عنه ، ولكنّي أغنيك في شِعر لمُرَّة بنِ مَحكان ، وقد طرقه ضيفٌ في ليلة شاتِيةٌ ، فأنزَلهم ، ونَحَر لهم ناقته ، ثم غنّاه قوله : [من البسيط]

يا رَبَّة البيت قومـي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمّي إليك رحالَ القَوْمِ والقُرُبا

فأطربه ، ثم قال له الغريض : هذا لحن أخذتُه من عبيد بن سُريج ، وسأغنيك لحناً عملته في شعر على وزن هذا الشعر وَرويّه للحطيئة ، ثم غنّاه : [من البسيط]

ما نَقَمـوا مـن بغيضٍ لا أبا لهـمُ ... في بائس جـاء يحدو أينُقاً شُزُبا

جاءتْ به مـن بلاد الطُّور تحمِلُه ... حصَّاءُ لم تتركْ دون العصا شَذَبا

فقام القرشيّ ، فقبَّلَ رأسه ، فقال له : فدتك نفسي وأهلي ، لو لم أقدُم مكّة لعمرة ولا لبِرّ وتقوى ، ثم قدمتُ إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلكَ قليلاً . ثم انصرف .

وحدَّثني بعض مشايخ الكتَّاب أنّه دخل على أبي العَنْبَس بن حَمدون يوماً ، فسأله أن يُقيم عنده فأقام ، وأتاهم أبو العَنْبَس بالطعام ، فأكلوا ، ثم قُدِّم الشراب فشَربوا ، وغنّاهم أبو العنبس يومئذٍ هذا الصوتَ : [من الطويل]

ألا مُـتَّ لا أعطيتَ صبراً وعزمةً ... غداة رأيـتَ الحيَّ للبين غاديا

---

1 أقصد : قتل مكانه .

2 بالأنى : الحلم .

ولم تعتصرْ عينيك فَكهــةُ مازحٍ   كأنّك قد أبدعتَ إذ ظلتْ باكيا

فأحسن ما شاء ، ثم ضرب ستارتَه وقال :

يــا ربّــةَ البيتِ غَنّي غير صاغرة

فاندفعت عِرفانُ ، فغنّت : [من البسيط]

يا ربّــةَ البيت قومي غيرَ صاغرة   ضُمّي إليك رِحــال القوم والقُرُبا

قال : فما سمعت غناءً قطّ أحسن ممّا سمعتُه من غنائهما يومئذٍ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ألا متَّ لا أُعطِيتَ صبراً وعزمةً   غــداة رأيــتَ الحيّ للبين غاديا

ولم تعتصر عينيك فَكهــةُ مازح   كأنّك قد أُبدعت إذ ظلتَ باكيا

فصيّرتَ دمعــاً أن بكيتَ تَلَدُّداً   بــه لفــراقِ الألف كفوًا مُوازيا

لقد جلَّ قدر الدَّمع عندكَ أنْ ترى   بكـــاءك للبـــين المُشتّ مُساويا

الشعر لأعرابيّ أنشدناه الحِرْميُّ بن أبي العلاء ، عن الحسين بن محمد بن أبي طالب الدينارِيّ عن إسحاق الموصليّ لأعرابيّ .

قال الدينارِيّ : وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب ، وهو قائله وأظنّ هذا الشعر له ، والغناء لعمرو بن بانة ثقيل أوّل بالبنصر من كتابه .

صوت

[من الطويل]

فإن تــكُ من شيبانَ أُمّي فإنني   لأَبيضَ من عجل عريض المَفارقِ

وكيف بذكرى أُمَّ هارون بعدما   خبطنَ بأيديهــنَّ رمــلَ الشقائقِ

كأنّ نَقــاً مــن عالــج أُزّرَتْ به   إذا الزُّلّ أَلهاهــنَّ شَدُّ المناطقِ

وإنّا لتَغــلي في الشّتاء قُدُورُنا   ونصبرُ تحتَ اللاّمعــاتِ الخوافِقِ

عروضه من الطويل والشعر للعُدَيل بن الفَرخ العِجْليّ ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه ، عن يونس وإسحاق ، وفيه لهشام بن المرّيَّة لحن من كتاب إبراهيم ، وفيه لسنان الكاتب ثقيل أوّل عن الهشاميّ وحَبَش ، وقال حبش خاصة : فيه للهذليّ أيضاً ثاني ثقيل بالوسطى .

[496] ـ أخبار العديل ونسبه

[نسبه]

العُدَيل بن الفَرخ بن مَعن بن الأسود بن عمرو بن عَوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سُمى بن الحارث ، وهو العُكابة[1] ، بن ربيعة بن عِجْل بن لُجيم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعميّ بن جديلةَ بن أسد بن ربيعة بن نِزار .

وقال أبو عبيدة : كان العُكابة اسمَ كلب للحارث بن ربيعة بن عِجل ، فلقب باسم كلبه ، وغَلَب عليه . قال : وكان عِجل من مُحمّقي العرب ، قيل له : إن لكلّ فَرسٍ جوادٍ اسماً وإن فرسَك هذا سابق جواد ، فسمِّه ، ففقأ إحدى عينيه وقال : قد سمّيته الأعور ، وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

رمتْني بَنــو عجــل بــداء أبيهــمُ وهل أحدٌ في النّاسِ أحمقُ من عجلِ ؟
أليسَ أبوهــمْ عــارَ عــينَ جواده فصارتْ به الأمثالُ تضرب بالجهلِ

[هو ودابغ]

والعُدَيل شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأمويّة ، وكان له ثمانيةُ إخوة ، وأُمّهم جميعاً امرأة من بني شيبان ، ومنهم مَن كان شاعراً فارساً : أسود وسوادة وشَملة ، وقيل سلمة ، والحارث ، وكان يقال لأمّهم درماء .

وكان للعُديل وإخوته ابنُ عمّ يسمّى عَمْراً ، فتزوّج بنت عمّ لهم بغير أمرهم ، فغضِبوا ورصدوه ليضربوه ، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمّى دابغاً ، فوثب العُديلُ وإخوتُه ، فأخذوا سُيوفَهم ، فقالت أمّهم : إنّي أعوذ بالله من شرّكم ، فقال لها ابنها الأسود : وأيَّ شيءٍ تخافينَ علينا ؟ فوالله لو حملنا بأسيافنا على هذا الحِنْوِ حِنو قُراقر[2] لما قاموا لنا فانطلقوا حتى لقوا عَمْراً ، فلمّا رآهم ذُعِر منهم وناشدهم ، فأبوا ، فحمل عليه سَوادة فضرب عَمْراً ضربة بالسيف ، وضربه عمرو فقطع رِجله فقال سوادة : [من الوافر]

ألا مَن يشتري رِجلاً برجْل تأبَّــى للقيــام فــلا تقومُ

وقال عمرو لدابغ : اضربْ وأنت حرّ ، فحمل دابغ ، فقتل منهم رجلاً ، وحمل عمرو ، فقتل آخر ، وتداولاهم ، فقتلا منهم أربعةً ، وضُرِب العُدَيل على رأسِه ، ثم تفرّقوا ، وهـربَ

---

1 ل : العباب .

2 قراقر : موضع ، معجم البلدان 4 : 317 .

دابغ ، حتى أتى الشام ، فداوى[1] ربضةُ بن النُّعمان الشيبانيّ للعُدَيل ضربتَه ، ومكث مدة . ثم خرج العُدَيل بعد ذلك حاجّاً ، فقيل له إنّ دابغاً قد جاء حاجّاً ، وهو يرتحل ، فيأخذُ طريقَ الشام ، وقد اكترى ، فجعل العُدَيلُ عليه الرصدَ ، حتى إذا خرج دابغ ركِب العديلُ راحلتَه وهو متلثّم ، وانطلق يتبعه ، حتى لقيه خلفِ الرّكاب يحدو بشعر العُدَيل ويقول : [من الرجز]

يا دارَ سلمى أقفرتْ من ذي قارْ وهــل بإقفــارِ الديارِ مــن عارْ
وقــد كسينَ عرَقــاً مثل القارْ يخرجْن من تحت خلال الأوبارْ

فلحقه العديل ، فحبس عليه بعيره ، وهو لا يعرفه ، ويسير رويداً ، ودابغ يمشي رُويداً ، وتقدّمت إبلُه فذهبت ، وإنّما يريدُ أن يباعده عنها بوادي حُنَين ، ثم قال له العديل : والله لقد استرخى حَقَبُ[2] رحلي ، أنزِلْ فأغيّر الرّحْلَ ، وتُعينُني . فنزل فغيَّر الرّحْلَ ، وجعل دابغٌ يُعينه ، حتى إذا شدَّ الرَّحْلَ أخرج العُديلُ السيف ، فضربه حتى بَرَدَ ، ثم ركب راحلتَه فنجا ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

ألَمْ تَرَني جلّلتُ بالسيفِ دابغاً وإن كان ثأراً لم يُصبه غليلي
بوادي حنينٍ ليلةَ البدر رعتُه بأبيض من ماء الحَديد صَقيلِ
وقلتُ لهم : هذا الطريقُ أمامَكم ولَم أكُ إذ صاروا لَهم بدَليلِ[3]

[جرثومة العنزي يعير العديل]

وقال أبو اليقطان : كان العُديلُ هجا جرثومة العَنزيّ الجلاّنيّ فقال فيه : [من االطويل]

أهاجي بني جِلاّن إذ لم يكنْ لها حديثٌ ولا في الأولين قديمُ

فأجابه جرثومة فقال : [من الطويل]

وإنّ امرءاً يهجو الكرام ولم ينَل مــن الثــأرِ إلاّ دابغاً للئيمُ
أتطلُب في جِلاّنِ وتراً ترومُه وفاتــك بالأوتــارِ شَرٌّ غريمِ[4]

[العديل يهرب من الحجّاج]

قالوا : واستعدى مولى دابغ على العُديل الحجّاجَ بن يوسُف ، وطالبه بالقَوَد فيه ، فهرب العُديـلُ من الحجّاج إلى بلد الروم ، فلمّا صار إلى بلد الروم ، لجأ إلى قيصرٍ ، فأمّنه ، فقال في الحجّاج : [من الطويل]

أُخــوَّفُ بالحّجاج حتّــى كأنّما يُحرِّكُ عظــم في الفؤادِ مَهيضُ

1 ل : فودى .
2 الحقب : الحزام يلي حقو البعير .
3 أك في ل : آل .
4 في هذا البيت إقواء .

ودون يد الحجّاج من أن تنالَني   بِساط لأيدي الناعجاتِ عَريضُ[1]
مهامُـــه أَشبــاه كأن سَرابَهـــا   مُلاءٌ بأَيدي الراحضات رَحيضُ[2]

فبلغ شعرهُ الحجّاج ، فكتب إلى قيصر : لتبعثَنَّ به أو لأُغْزِينّك جيشاً يكون أوّله عندكَ وآخره عندي ، فبَعث به قيصر إلى الحجّاج ، فقال له الحجّاج لمّا أُدخِل عليه : أأنت القائل : ودون يد الحجّاج من أن تنالَني . . . فكيف رأيتَ اللهَ أمكَنَ منك ؟ قال : بل أنا القائل أيّها الأميرُ : [من الطويل]

فلو كنتُ في سلمى أَجاً وشعابِها   لكــان لحجَّــاجٍ عــليّ سبيلُ
خليــلُ أَميرِ المؤمنــين وسيفُه   لكــلِّ إمــام مُصطَفًى وخليلُ
بَنـى قُبَّـةَ الإسلامِ حتى كأَنَّما   هَدى الناسَ من بعد الضلالِ رسولُ

فخلَّى سبيله ، وتحمل دِيَةَ دابغ في ماله .

[الحجّاج يعفو عن العديل]

أخبرني عمِّي وحبيب بن نصر المهلّبيّ ، قالا : حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال : حدَّثني محمد بن منصور بن عَطيّة الغنويّ قال : أَخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر عن أبي عثمان البُقطُريّ قال : خرج العُدَيل بن الفَرخ يريد الحجّاج ، فلمّا صار ببابه حجبه الحاجبُ ، فوثب عليه العُديلُ ، وقال : إنّه لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريش أَكبرُ منّي ولا أَولى بهذا الباب ، فنازعه الحاجبُ الكلامَ ، فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب الحجّاج إلى يزيدَ بن المهلّب ، فلمّا دخل إليه أَنشأَ يقول : [من الطويل]

لئــن أرتـج الحجاجُ بالبخلِ بابَه   فباب الفتى الأزديّ بالعُرف يُفتحُ
فتًى لا يبالي الدَّهرَ مــا قَلَّ مالُه   إذا جعلتْ أَيـدي المكارمِ تسنَحُ
يداه يدٌ بالعرف تُنهبُ ما حوتْ   وأُخرى على الأعداءِ تَسطو وتجرحُ
إذا مــا أَتــاه المرمِلــون تيقَّنوا   بأَن الغِنى فيهم وَشيكاً سَيسرَحُ[3]
أَقــام على العافــين حُرَّاسَ بابِه   يُنادونهم والحُــرُّ بالحــرّ يَفرحُ
هلمّوا إلى سَيْبِ الأَمير وَعُرفِــه   فإنَّ عطايــاه على النّـاس تَنْفَحُ

1 الناعجات : السارعات .
2 الراحضات : الغاسلات . والرحيض : المغسول .
3 المرملون : من نفذ زادهم .

وليس كعِلجٍ مــن ثمــودَ بكَفّه من الجودِ والمعروف جِذم مطوَّحُ

فقال له يَزيدُ : عرَّضْتَ بنا وَخاطرْتَ بدمِك ، وبالله لا يصلُ إليك وأنتَ في حيِّزي ، فأمر له بخمسين ألف درهم ، وحمله على أفراس ، وَقال له : الحقّ بعلياء نَجد ، واحذر أن تعلقك حبائلُ الحجّاج أو تحتجنَك محاجنُهُ ، وابعث إليَّ في كلّ عام ، فلك عليّ مثلُ هذا ، فارتحل . وبلغ الحجّاجَ خَبَرُه ، فأحفظه ذلك على يزيد ، وطلب العُدَيلَ ، ففاته ، وقال لمّا نجا : [من الطويل]

ودونَ يـد الحجّاج من أن تنالَني بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ

قال : ثم ظَفِر به الحجّاج بعد ذلك ، فقال : إيه ، أنشدني قولَكَ :

ودون يد الحجاج من أن تنالني

فقال : لم أقل هذا أيّها الأمير ، ولكنّي قلت : [من الطويل]

إذا ذُكِر الحجّاجُ أُضمرتُ خِيفة لهـا بـين أحناء الضلوع نَفيضُ

فتبسم الحجّاجُ ، وقال : أولى لك ! وعفا عنه ، وفرضَ له .

[سادات بكر يشفعون له عند الحجّاج]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : لمّا لجَّ الحجّاج في طلب العُدَيل لفظتْه الأَرض ، ونَبا به كلُّ مكان هربَ إليه ، فأتى بكرَ بنَ وائل ، وهم يومئذٍ بادُون جميعٌ ، منهم بَنو شيبان وبنو عجل وبنو يشكُر ، فشكا إليهم أمرَه ، وقال لهم : أنا مقتول ، أفتُسلمونني ، هكذا وأنتم أعزُّ العرب ؟ قالوا : لا والله ، ولكنَّ الحجّاجَ لا يُراغَم ، ونحن نستوهِبُك منه ، فإن أجابنا فقد كُفِيتَ ، وأن حادَّنا في أمرك منعناكَ ، وسألنا أمير المؤمنين أن يَهبكَ لنا . فأقام فيهم ، واجتمعتْ وجوه بكرِ بن وائل إلى الحجّاج ، فقالوا له : أيّها الأميرُ ، إنّا قد جَنَيْنا جميعاً عليكَ جنايةً لا يُغفر مثلُها ، وها نحن قد استسلمنا ، وألقينا بأيدينا إليك ، فإمّا وهبتَ فأهلُ ذلك أنت ، وإمَّا عاقبتَ ، فكنتَ المسلَّطَ الملك العادل . فتبسَّم ، وقال : قد عفوت عن كلّ جرم إلاّ جُرْمَ الفاسق العُديل ، فقاموا على أرجلهم ، فقالوا : مثلُك أيّها الأميرُ لا يَستثني على أهلِ طاعته وأوليائه في شيء فإن رأيتَ ألاّ تكدِّر مِنَنك باستثناء ، وأن تهبَ لنا العُدَيل في أوّلِ مَن تَهَبَ ! قال : قد فعلت فهاتوه قبَّحه الله ، فأتوه به ، فلمّا مَثَل بين يديه أنشأ يقولُ : [من الطويل]

فلو كنتُ في سلمى أجاً وشعابِها لكــان لحجّــاجٍ عــليَّ دليلُ
بنـى قُبـة الإسلامِ حتى كأنّما هَدى الناسَ من بعد الضلال رسولُ
إذا جار حُكْم النَّاس ألجأ حكمَه إلى اللهِ قــاض بالكتاب عقولُ

خليــلُ أميرِ المؤمنـين وسيفُـه ... لكلِّ إمــامٍ صاحــبٌ وخليلُ
بــه نصرَ اللهُ الخليفــةَ منهمُ ... وثبَّــتَ مُلكــاً كادَ عنـه يَزُولُ

ويروى : به نَصرَ اللهُ الإمامَ عليهم .

فأنت كسيفِ اللهِ في الأرضِ خالدٍ ... تصولُ بعــونِ اللهِ حــينَ تصولُ
وجازيْتَ أصحابَ البلاء بلاءَهم ... فَمــا منهــمُ عمَّا تُحِبُّ نُكولُ
وصُلتَ بمرّاقِ العراقِ فأصبحتْ ... مَناكِبُهــا للوطءِ وهــي ذَلولُ[1]

أقام الواحد مقامَ الجمع في قوله : ذلول .

أذقت الحِمامَ ابني عُبادٍ فأصبحوا ... بمنزلِ موهــونِ الجَنــاحِ ثكولِ[2]
ومن قَطَريٍّ نلــتَ ذاك وحوله ... كتائــبُ مــن رجَّالــةٍ وخُيولُ
إذا ما أتت بابَ ابن يوسُف ناقتي ... أتــتْ خيرَ منزولٍ بــه ونَزيلِ[2]
وما خفتُ شيئاً غيرَ ربِّيَ وحدَه ... إذا ما انتحيتُ النفسَ كيفَ أقولُ ؟
ترى الثقلينِ الجنّ والأنسَ أصبحا ... على طاعــةِ الحجَّاجِ حينَ يقولُ

فقال له الحجّاجُ : أولى لك فقد نجوتَ ! وفرض له ، وأعطاه عطاءه ، فقال يمدح سائر قبائلَ وائل ، ويذكر دفعَها عنه ، ويفتخرُ بها : [من الكامل]

صَرَمَ الغواني واستراح عــواذلي ... وصحوتُ بعــد صَبابــةٍ وتمايُلِ
وذكرت يــوم لوى عتيقٍ نسوةً ... يخْطِــرْن بــين أكِلَّــةٍ ومراحلِ
لعــب النعيمُ بهــنّ في أظلاله ... حتــى لبِسنَ زمــانَ عيشٍ غافلِ

صوت

يأخــذْن زينتهُنّ أحسنَ ما ترى ... وإذا عَطِلــن فهــنَّ غيرُ عواطلِ
وإذا خبــأن خدودَهــنّ أرينَنا ... حدَقَ المها وأَجَدْنَ سهــمَ القاتلِ
ورميننــي لا يستترن بجُنَّــةٍ ... إلاّ الصِّبــا وعَلمْــن أين مَقاتلي
يلبَسن أرديــةَ الشباب لأهلِها ... ويجــرُّ باطلُهــنَّ حبــلَ الباطلِ

الغناء في هذه الأبيات الأربعة لابن سُريج ثاني ثقيل بالوُسطى من رواية يحيى المكّيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يَحيى المكّيّ إلى ابن سُريج .

1 مراق : قرية كثيرة النخيل والآبار والعيون على طريق البصرة .

2 في هذا البيت إقواء .

بيضُ الأنوق كأنّهـــنّ ، ومن يُرِدْ بَيْضَ الأنـــوق فوكرُهـا بمعاقلِ[1]
زعم الغواني أن جهلك قد صحا وسوادَ رأسك فضلُ شيب شاملِ
ورآك أهلُـــكَ منهـــمُ ورأيتَهم ولقد تكونُ مع الشباب الخاذلِ
وإذا تطاولـتِ الجبـالُ رأيتَنـا بفـــروع أرعَـنَ فوقها مُتطاولِ
وإذا سألت ابنَــيْ نـــزارٍ بيّنا مَجْدي ومنزلتي مــن ابنَيْ وائلِ
حدِبَــتْ بنو بكـر علـيَّ وفيهمُ كلُّ المكـارِمِ والعديــدِ الكاملِ
خَطروا ورائـــي بالقنا وتجمَّعتْ منهـــم قبائـــلُ أُردِفـــوا بقبائلِ
إنّ الفوارسَ مـــن لُجَيمٍ لم تزَل فيهـــم مهابـــةُ كلٌ أبيضَ ناعلِ[2]
متعمّمٍ بالتّـــاجِ يسجـــدُ حولَـه مِـــنَ آل هَـوذة للمكارمِ حاملِ[3]
أو رهط حنظلة الذيـــن رماحُهمْ سُمُّ الفوارسِ حتْف موتٍ عاجلِ[4]
قوم إذا شَهَرُوا السيوف رأَوْا لها حقّـاً ولم يَـــكُ سَلُّها للباطلِ
ولئن فخرْتُ بهـــم لمثلِ قَديمهم بسَطَ المُفاخِـــر للسّان القـائلِ
أُولاد ثعلبـــة الذيـــن لِمثلِهـــم حِلْم الحليم وردُّ جهـــلِ الجاهلِ
ولَمَجْـــدُ يشكرَ سَوْرةٌ عاديَّـــةٌ وأَب إذا ذكـــروه ليس بخاملِ
وبَنـــو القدارِ إذا عددْتَ صنيعَهم وضَح القديمُ لهـم بكـــلّ محافلِ
وإذا فخـــرْتَ بتغلبَ ابنةِ وائل فاذكر مكارمَ من ندًى وشمائلِ[5]
ولتغلبَ الغلبـــاء عـــزٌّ بيِّـــنٌ عاديَّـــة ويزيـــد فـــوقَ الكاهلِ
تسطو على النُّعمان وابـــنِ محرّق وابنـــي قَطـــامِ بعِـــزّة وتناوُلِ
بالمقربات يبِتْنَ حـــول رحالِهـــم كالقـــدٌ بعـــد أجلّـــة وصواهلِ
أُولاد أعـــوجَ والصريح كأنَّهـــا عِقبـــانُ يـــوم دُجُنَّـــةٍ ومَخايلِ
يلقِطنَ بعـــد أزومِهـــنَّ على الشّبا عَلَق الشكيـــمُ بألسُن وجحافلِ

---

1 الأنوق : العقاب .

2 لجيم بن صعب بن وائل .

3 آل هوذة: هو هوذة بن علي وفد على كسرى وقاتل المندر بن ماء السماء يوم عين أباغ .

4 رهط : من بني عجل بن لجم .

5 وشمائل في ل : وأوائل .

قــوم هــم قتلوا ابن هندٍ عَنْوة وقنــا الرّماح تذودُ وِرْدَ الناهلِ
منهم أَبــو حَنَشٍ وكان بكفّــه رِيُّ السِّنان وريُّ صــدرِ العاملِ
ومُهلهِل الشعراء إن فَخــروا بــه ونَدى كُلَيْــبٍ عنـد فضلِ النائلِ
حَجَب المنيَّةَ دون واحــد أُمِّــه مــن أن تبيتَ وصدرُهـا ببلابِلِ
وأَبى مجالسةَ السِّبابِ فلم يكنْ يُستبُّ مجلسُه وحــــقٌّ النازلِ
حتى أَجــارَ على الملوكِ فلم يدعْ حَرِبــاً ولا صَعِــراً لرأس مائلِ
في كلّ حــيّ للهُذيــل ورهطِه نَعَــم وأخــذُ كريمــةٍ بتناولِ
بيضٌ كرائــمُ ردَّهـــن لعَنوة أسلُ القَنــا وأُخــذَنَ غيرَ أَراملِ
أَبناؤهنَّ مــن الهُذيــل ورهطِه مثلُ الملــوك وعشنَ غيرَ عواملِ

وقال أبو عمرو أيضاً : قال العُدَيل لرجل من موالي الحجّاج كان وجَّهه في جيش إلى بني عِجْل يطلب العُدَيل حين هرب منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق إبلَه ، وأحرق بيته ، وسلب امرأته وبناتِه وأخذ حُليَّهن ، فدخل العُدَيلُ يوماً على الحجّاج ومولاه هذا بين يديْه واقف فتعلَّق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول : [من الكامل]

صوت

سلبتَ بناتــي حَلْيَهنّ فلــم تدَعْ سِواراً ولا طوْقاً على النَّحر مُذهبا

هكذا في الشعر : سلبتَ بناتي ، والغناءُ فيه : سلبتَ الجواري حَلْيهنّ .

ومــا عــزَّ في الآذان حتى كأنّما تُعطِّــل بــالبيض الأوانسَ رَبربا
عواطــلُ إلاّ أن تــرى بخدودها قسامَة عِتــقٍ أَوَ بنانــا مُخضَّبا[1]
فككتَ البُرينَ عن خِـدال كأَنها بَــراديُّ غِيلٍ ماؤه قـد تنضّبا[2]
من الدُّر والياقوتِ عن كلّ حُرَّةٍ ترى سِمطَها بين الجُمانِ مُثَقَّبا
دَعَوْن أَميرَ المؤمنين فلــم يُجب دعـــاءً ولم يُسمعنَ أُمّاً وَلا أَبا

غنَّى في الأوّل والرابع من هذه الأبيات أحمدُ النصيبيّ الهَمذانيّ ثان ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيهما ثقيل أوّل بالسبّابة والوُسطى ، نسبه ابن المكّي إلى عبد الرحيم الدّفّاف ، ونسبه الهشاميّ إلى عبد الله بن العبّاس .

---

1 قسامة : حُسْن .

2 البرين : جمع برة ، وهي هنا الخلخال . خدال : السوق الغليظة المستديرة جمع خدلة . برادي : جمع بَردي ، وهو نبات مائي يكتب على أوراقه إذا جفّت . غيل : أجمة وكل واد فيه ماء .

[رجل من قوم العديل يُصيب أنف عجليّ]

وقال أبو عمرو الشيبانيّ : أُصاب رجل من رهط العُديل من بني العكابة أنف رجل من بني عِجل يقال له جَبَّار ، فقال العُدَيلُ في ذلك ، وكان عَدُوّاً له : [من الطويل]

ألَم تَـرَ جَبَّـاراً ومـارِنَ أنفه ... لـه ثُلَـمٌ يهوِيْـن أن يتنخَّعا
ونحـنُ جَدَعْنـا أنفَـه فكأنّما ... يَرى الناسَ أعداءً إذا هـو أُطلَعا
كُلُـوا أنـفَ جَبّار بِكاراً فإنّما ... تركناه عن فَرطٍ من الشَرِّ أَجدعا[1]
معاقـدُ مـن أيديهـمُ وأنوفهمْ ... بِكارا وثِيباً تركـبُ الحَزْن ظُلَّعا

قال : وكان رجلٌ من رَهط العُدَيل أيضاً ضربَ يد وكيع أحدِ بني الطاغية ، وهما يشربان ، فقطعها وافترقا ، ثم هرب العُدَيلُ وأبوه إلى بني قيس بن سعد لما قال الشعر الأوّل يفخَر بقطع أنف جبّار ويد وكيع ؛ لأنّهم حلفوا أن يقطعوا أنفَه ويدَه دَون من فَعلَ بهم ، فلجأ إلى عُفَير بن جُبَير بن هلال بن مُرّة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشَم بن قيس بن عجل ، فقال العُديلُ في ذلك : [من الطويل]

تركتُ وكيعاً بعدما شاب رأسُه ... أشلَّ اليمـين مستقيمَ الأَخادِعِ
فَشَرِّب بها وُرْقَ الإفال وكُلْ بها ... طعامَ الذليل وانجَحِرْ في المَخادعِ[2]

فقالتْ بنو قَيسِ بن سعد للفَرخِ أبي العُدَيل : يا فرخُ ، أنصفْ قَومك ، وأعطِهم حقَّهم ، فركبَ إليهم الفرخُ ، ومعه حسّانُ بن وقّاف ودينار (رجلان من بني الحارث) فأسرتْه بنو الطاغية ، وانتزعوه من الرجلين ، وتوجَّهوا به نحو البصرة ، فرجع حسّان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم ، فركب النفير في طلب بني الطاغية ، فأدركوا منهم رجلاً فأسروه بدل الفرخ . ثم إنّ عُفَيْراً لَحِقَ بهم ، فاشترى منهم الجراحةَ بسبعين بعيراً ، وأخذ الفرخ منهم فأطلَقه ، فقال العُدَيلُ في ذلك : [من الطويل]

مـا زال في قيسِ بن سعد لجارهمْ ... على عَهدِ ذي القرنين مُعْطٍ ومانعُ
هم استنقذوا حسّانَ قسراً وأنتمُ ... لِئام المقـام والرّمـاحُ شوارعُ
غدرتـم بدينارٍ وحسّانَ غَدرةً ... وبالفَرخ لمـا جاءَكم وهْو طائعُ
فلولا بنو قيسِ بن سعد لأَصبحَتْ ... عـليَّ شداداً قَبضُهـنَّ الأَصابعُ

---

1 بكاراً : مبادرين مسرعين .

2 وُرق : جمع أورق وهو ما في لونه بياض إلى سواد . الإفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .

أَلا تسأَلون ابــــن المشَتَّم عنهمُ جُعامــةَ والجيرانُ وافٍ وظالعُ[1]

وأَخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثنا الرّياشي عن الأَصمعيّ قال : قال أَبو النجم للعُديل بن الفرخ : أرأيت قولك : [من الطويل]

فــإن تــكُ من شيبانَ أُمّي فإنّني لأَبيضُ عجــليٌّ عريضُ المَفارقِ ؟

أَكنتَ شاكّاً في نسبك حين قلتَ هذا ؟ فقال له العُدَيْل : أَفشككت في نفسك أو شعرك حين قلت : [من الرجز]

أَنا أَبو النجم وشعري شعري للهِ دَرِّي مــا يُجِــنُّ صدري

فأَمسك أَبو النَّجم واستحْيا .

[العديل ومالك بن مسمع]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : حدّثنا الرياشيّ عن العُتبيّ قال : حَمَل زيادٌ إلى معاويةَ مالاً من البصرة ، ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مِسمَع ، وكانت ربيعةُ مجتمعةً عليه كاجتماعها على كُلَيب في حياته ، واستغاثوا به ، وقالوا : يَحمِلُ المال ، ونبقى بلا عطاء . فركب مالك في ربيعة ، واجتمع الناسُ إليه ، فلحِق بالمال فردّه ، وضرب فُسطاطاً بالمِربد ، وأنفق المالَ في النّاس حتى وفّاهم عطاءَهم ، ثم قال : إن شئتم الآن أَن تحملوا فاحملوا ، فما راجعه زياد في ذلك بحرف ، فلمّا وليَ حمزةُ بن عبد الله بن الزّبير البَصرة جمع مالاً ؛ ليحمِلَه إلى أبيه ، فاجتمع النّاس إلى مالك ، واستغاثوا به ، ففعل مثل فعلِه بزياد ، فقال العُديلُ بنُ الفَرخ في ذلك : [من الطويل]

إذا مــا خَشينا مــن أُميرٍ ظُلامة دعونــا أَبــا غسَّانَ يوماً فعسكرا
ترى الناسَ أَفواجاً إلى باب دارِه إذا شاءَ جاؤُوا دارِعِينَ وحُسَّرا[2]

وأَوَّلُ هذه القصيدة :

أَمِــن منزلٍ مــن أُمّ سَكْن عشيَّةً ظِلِلْــتُ بــه أَبكــي حزيناً مُفكِّرا
معي كلّ مُسترخــي الإزار كأَنّه إذا ما مشى من جنِّ غِيل وعَبقَرا[3]
يُزجِّي المَطايــا لا يبــالي كلالَها مُقلّصة خُوصا مــن الأَيْن ضُمَّرا[4]

---

1 ظالع : غامز في مشيه .
2 حسّر : جمع حاسر : مَن لا سلاح معه .
3 غيل وعبقر : مكانان تزعم العرب أنّهما من مساكن الجنّ .
4 خوص : جمع خوصاء أي غائرة العين . من الأين : من التعب .

[العديل شاعر بكر بن وائل]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني عليّ بن الحسَن الشيبانيّ قال : حدَّثني عبدة بن عِصْمة بن معبد القَيسيّ قال : حدَّثني جدِّي أبو أُمِّي فِراس بن خنِدِف ، عن أبيه ، عن جدِّه عليّ بن شَفيع قال : لقيتُ الفرزدقّ منصرفَه عن بكر بن وائل ؛ فقلت له : يا أبا فِراس : مَنْ شاعرُ بكر بن وائل مِمَّن خلفْتَه خلفك ؟ قال : أميم بني عِجل ، يعني العديلَ بنَ الفرخ ، على أنّه ضائع الشعر ، سروقٌ للبيوت .

[مدح أو تحريض]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال : حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن إسحاق عن الهيثم بن عديّ ، عن حمّاد الراوية قال : لمّا قدِم الحَجَّاجُ العراقَ قال العُدَيل بنُ الفَرخ : [من الطويل]

دعوا الجُبنَ يا أُهل العراق فإنّما يُهان ويُسبى كلُّ مَن لا يقاتلُ

لقد جرَّد الحجّاجُ لِلحقِّ سيفَه أَلا فاستقيموا لا يميلنَّ مائلُ

وخافوه حتى القومُ بينَ ضُلوعهم كَنَزْوِ القطا ضُمَّتْ عليه الحبائلُ

وأُصبح كالبازي يقلِّبُ طرفَه على مرقب والطيرُ منه دواحلُ[1]

قال : فقال الحجّاج ، وقد بَلَغتْه ، لأصحابه : ما تقولون ؟ قالوا : نَقُول : إنّه مدحك ، فقال : كلاّ ولكنّه حرَّض عليّ أهلَ العراق ، وأمر بطلبه فهرَب وقال : [من الطويل]

أُخوَّفُ بالحجّاج حتى كأنّما يُحرِّكُ عَظْم في الفؤادِ مَهيضُ

ودون يَدِ الحَجّاج من أَن تنالَني بِساطٌ لأَيدي الناعجات عَرِيضُ

مهامُه أَشباه كأَنَّ سَرابَها مُلاءٌ بأَيدي الغاسلات رَحيضُ

فجد الحجَّاجُ في طلبه حتى ضاقتْ عليه الأرضُ ، فأتى واسطاً ، وتنكَّر ، وأَخذ رُقعةً بيده ، ودخل إلى الحجَّاج في أَصحاب المظالم ، فلمّا وقف بين يديه أَنشأَ يقولُ : [من الطويل]

هأَنذا ضاقتْ بيَ الأرض كلُّها إليكَ وقد جوَّلْتُ كلَّ مكانِ

فلو كنتُ في ثَهلان أو شُعبَتَيْ أَجاً لخلتُكَ إلاّ أَن تَصُدَّ تَراني[2]

فقال له الحجّاج : العديلُ أنتَ ؟ قال : نعم ، أيّها الأمير ، فَلَوى قضيبَ خيزُران كان في يده في عنقه ، وجعل يقول : إيه .

1 دواحل : معناها فارة ومستترة .

2 ثهلان : جبل لنمير .

بساط لأيـــدي الناعجات عريض

فقال : لا بِساط إلاّ عفوُك ، قال : اذهب حيث شئتَ .

[حوشب بن يزيد وعكرمة بن ربعي يتنازعان الشرف]

أخبرني محمدُ بنُ خَلف بن المَرْزُبان قال : حدَّثنا أَحمد بن الهيثم بن فِراس قال : حدَّثنا العُمَريّ ، عن الهيثم بن عدِيّ ، عن ابن عيّاش قال : كان حوشب بن يَزيد بن الحُويْرث بن رُوَيْم الشيبانيّ وعِكرِمَة بن ربِعيّ البكريّ ، يتنازعان الشرف ، ويتباريان في إطعام الطعام ونحر الجُزُر في عسكر مصعب ، وكاد حوشَب يغلب عِكرِمَة لسَعة يده . قال : وقَدِمَ عبدُ العزيز بنُ يسار مولى بُجَير ، قال : وهو زوج أُمّ شُعْبة الفقيه ، بسفائنِ دَقيق ، فأتاه عِكرِمة فقال له : اللهَ اللهَ فيَّ ، قد كاد حوشَبٌ أن يستعليَني ، ويغلبَني بماله ، فَبِعْني هذا الدقيقَ بتأخير ، ولك فيه مثلُ ثمنه رِبْحاً ، فقال : خذه ، وأعطاه إيّاه ، فدفعه إلى قومه ، وفرَّقَه بينَهم ، وأمرهم بعَجنه كلِّه ، فعجنوه كلَّه ، ثم جاء بالعجين كلِّه ، فجمعه في هُوَّة عظيمة ، وأمر به ، فغُطِّيَ بالحشيشِ ، وجاء بَرمكةَ[1] ، فقرّبوها إلى فرس حوشب ، حتى طلَبها ، وأفلت ، ثم ركضوها بين يديه وهو يَتبعُها ، حتى ألقوها في ذلك العجين وتبِعها الفرس ، حتى تورَّطا في العجين وبقيا فيه جميعاً ، وخرج قومُ عِكرِمة يصيحون في العسكر : يا معشر المسلمين ، أَدركوا فرسَ حوشبَ ، فقد غرق في خميرة عكرِمة ، فخرج النّاس تعجُّباً من ذلك أن تكون خميرةٌ يغرَقُ فيها فرس ، فلم يبق في العسكر أحدٌ إلاّ ركبَ ينظر ، وَجاؤوا إلى الفرس ، وهو غريق في العجين ما يبين منه إلاّ رأسُه وَعنقُه ، فما أُخرج إلاّ بالعُمُد والحِبال ، وغلب عليه عِكرِمة ، وافتضح حوشَب ، فقال العديل بن الفرخ يمدحهما ، ويفخر بهما : [من الطويل]

وعكرِمةُ الفيّاضُ فينا وَحوشَبٌ ... همـا فتيا النّاسِ اللَّذا لم يغمَّرا

هما فتيا النّاسِ اللذا لم يَنَلْهما ... رئيسٌ ولا الأقيالُ من آلِ حِمْيَرا

قال : وفي حوشَب يقولُ الشاعر :

وأَجـوَدُ بالمــالِ من حاتمٍ[2] ... وأنحَــرُ للجزْر من حَوشَبِ

[شعر العديل بين السهل والفحل]

أَخبرني محمد بن يونس الكاتب قال : حدَّثنا أَحمد بن عبيد ، عن الأصمعيّ قال : دخلتُ على الرشيد يوماً وهو مَحموم فقال : أنشدني يا أصمعيّ شعراً مَليحاً ، فقلت :

---

1 الرمكة : الفرس والبرذونة تتّخذ للنسل .

2 مثل : ورد في الدرر الفاخرة 107/1 ، 126 وجمهرة الأمثال للعسكري 298/1 و336 ، ومجمع الأمثال للميداني 182/1 ، والمستقصى للزمخشري 53/1 .

أرصيناً فحلاً تُريده يا أميرُ المؤمنين أم شجيّاً سهلاً ؟ فقال : بل غَزَلاً بين الفحْل والسَّهل ، فأنشدتُه للعُدَيل بن الفَرخ العِجْليّ : [من الطويل]

صحا عن طِلاب البِيض قبل مَشيبه ... وراجع غَضَّ الطرف فهو خَفيضُ
كأنِّيَ لم أَرعَ الصِّبا ويروقُني ... من الحيّ أحْوى المقلتين غَضيضُ
دَعاني له يوماً هوًى فأجابَه ... فُؤادٌ إذا يلقى المِراضَ مريضُ
لُمستأنساتٍ بالحديثِ كأنَّه ... تهلُّلُ غُرٍّ بَرْقُهنَّ وَميضُ

فقال لي : أعدْها ، فما زلتُ أكررها عليه ، حتى حفِظها .

[موته ورثاء الفرزدق له]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال : حدَّثني الرياشيّ ، عن محمد بن سَلاَّم ، قال : قدِم العُدَيل بن الفرخ البصرة ، ومدح مالك بن مِسْمع الجَحْدريّ ، فوصله ، فأقام بالبصرة ، واستطابها ، وكان مقيماً عند مالك ، فلم يزل بها إلى أن مات ، وكان يُنادمُ الفرزدق ، ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه : [من الطويل]

وما وَلَدتْ مثلَ العُدَيلِ حليلةٌ ... قديماً ولا مستحدثاتُ الحلائلِ
وما زال مذ شَدَّتْ يداه إزاره ... بـه تَفتَح الأَبوابَ بكرُ بن وائلِ

صوت

[من المنسرح]

إنِّي بدَهْماء عزَّ ما أَجدُ ... عاودني من حِبابها زُؤُدُ
عاودني حبُّها وقد شَحَطَتْ ... صرفُ نواها فإنَّني كَمِدُ

قوله : «عزَّ ما أَجد» أي : شدَّ ما أجد . وحبابُها : حبّها ، وهو واحد ليس بجمع ؛ والزُّؤُدُ : الفزع والذعر . وصرفُ نواها : الوجه الذي تصرِفُ إليه قصدَها إذا نأت . والكمد : شِدّة الحُزن .

الشعر لصخر الغيِّ الهُذَليّ ، هكذا ذكر الأصمعيّ وأبو عمرو الشيبانيّ ، وذكر إسحاق عن أبي عبيدة أنّه رأى جماعة من شعراء هُذَيل يختلفون في هذه القصيدة فيرويها بعضُهم لصَخْر الغيِّ ، ويرويها بعضهم لعمرو ذي الكلب ، وأنّ الهيثم بن عديّ حدَّثه عن حمّاد الراوية أنّها لعَمْرو ذِي الكلب .

* * * *

الفهرس